شكـــــــر و تقدير

قال تعالى : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[1]، فالشكر لله أولا على ما منّ به علي من إكمال هذا البحث .

وبعد شكر الله يسرني ويشرفني أن أتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير وفائق الاحترام وجميل العرفان إلى الذي يقف القلم عاجزا عن شكره أستاذي المشرف **"الأستاذ الدكتور حسين علي عكاش"** لما أسداه لي من نصائح وتوجيهات نيرة وملاحظات لا مثاهية ، فله مني أسمى عبارات الشكر والتقدير .

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى السادة الأساتذة في لجنة المناقشة

كما أشكر كل عمال المكتبات التي تم لي زيارتها والوقوف عليها ، دون أن أنسى أخي وصديقي "مجيد محمد حبريشة " .

---

(1) - سورة ، إبراهيم ، آية : 9

إهـــداء

إلى جناب سيدنا رسول الله حامل رسالة الإسلام شريعة ومنهاجا ، إيمانا وإسلاما وإحسانا

محمد صلى الله عليه وسلم

إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء ، إلى من كان رضاؤها ودعواتها نورا في طريقي ، إلى من نسجت سعادتي بخيوط من نسيج قلبها ، إلى من انتظرت هذه اللحظات بفارغ الصبر

أمي الغالية

إلى الذي سعى وشقى لأنعم بالراحة والهناء ، إلى الذي لم يبخل بشيء من أجل دفعي في طريق العلم

أبي العزيز

إلى من حبهم يجري في عروقي ليسكن قلبي . . . إلى من عاشوا معي حياتي حلوها ومرها

إلى جميع أفرادي أسرتي

إلى من سطرت معهم على جدران الزمان أجمل وأصدق الذكريات

أصدقائي وأقربائي

إلى كل الذين يسعدهم أن أصل إلى ما وصلت إليه ، إليكم جميعا أهدي هذا العمل .

وإلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد بكلمة طيبة

المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي قضى بحفظ دينه ، وشرع الدعوة إليه ، ويسر أسبابها ورفع مكانة القائمين بها ووعدهم بالأجر والنصر، والصلاة والسلام على رسوله المبعوث رحمة للعالمين القائل : (تركتكم على بيضاء نقية ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك)[1]، الذي أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة ، فبين الشرع وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين

وبعد : فإن الله تعالى لما خلق الخلق لم يخلقهم عبثا ، فقال ﷻ : ﴿۞ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ ﴿١١٦﴾﴾[2]

بل جرت سنته تعالى في خلقه مذ عمرت بهم الأرض أن يشرع لهم الشرائع ويبعث فيهم رسلا من أنفسهم يبشرونهم بالفلاح في الدارين إن أطاعوا وينذرهم بالخسران المبين إن خالفوا فقال تعالى : ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴿١٦٤﴾﴾[3]

وكما أن رحمة الله التي جرت بها سنته في الكائنات أن يأتي بالنور بعد الظلمة، وبالمطر بعد الجفاف، فإن من حسن صنيعه أن بعث إلى هذه الأمة رسولها عند طغيان الجهالة ، وانتشار الغواية ، فكانت بعثة رسول الله ـ ﷺ ـ هاديا ومبشرا ونذيراً، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيراً، فقال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَٰكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴿٤٥﴾﴾[4]

---

(1) ـ يوسف بن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ن : دار الكتب العلمية ، بيروت ، رقم الحديث 2303 ، ج 2 ، ص 1163 .
(2) ـ سورة ، المؤمنون ، آية : 116.
(3) ـ سورة ، النساء ، آية : 164.
(4) ـ سورة ، الأحزاب ، آية : 45.

واختاره ﷻ خاتم النبيين فقال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾[1]

ومن رحمته التي وسعت كل شيء أنه لم يترك الناس الذين جاؤوا بعد وفاته ـ ﷺ ـ حيارى بلا هداة ، ولا مرشدين ، ولم يتركهم يبتعدون عن دين الله دون أن يجدوا من يعيدهم إلى الصراط المستقيم ، بل أورث الله علماء الأمة العاملين تركة نبيه عليه الصلاة وأتم التسليم فمنهم دعاة وأعلام يدعونها إلى الله ﷻ على هدى وبصيرة ، امتثالا لقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[2] ، فهم يضيئون لهذه الأمة طريقها بدعوتهم وعملهم وجهادهم، أعلامًا ينشرون الدعوة الإسلامية في جميع بقاع الأرض، يحثون من اهتدى بالزيادة من الرشاد، ويردّون من انحرف عن الصراط المستقيم وسلك طريق الغَواية والفساد، ولا شك أن الاطلاع على سير هؤلاء الدعاة وجهودهم ومناهجهم في الدعوة، وفي الردّ على أعداء الدين، وفي الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ـ يعدُّ نبراسًا يضيء الطريق للسالكين، ويقوي العزائم في السير على الطريق القويم، فمن واجبنا تجاه هؤلاء الدعاة التعريف بجهودهم ومناهجهم في الدعوة، وما قاموا به في سبيل الدعوة إلى الإسلام ، فكان من هؤلاء الأعلام العلم الإمام سيدي عبد السلام بن سليم بن سالم الفيتوري المعروف بالأسمر الذي سيكون موضع دراستي في هذا البحث إن شاء الله تعالى تحث عنوان :

((الشيخ عبد السلام الأسمر ومنهجه في الدعوة من خلال رسائله إلى مريديه))

---

(1) ـ سورة ، الأحزاب ، آية : 40
(2) ـ سورة ، يوسف ، آية : 108

أولاً - أهمية الموضوع :

تأتي أهمية الموضوع في خطوطه العريضة من ورود نصوص في الكتاب والسنَّة تُعلي شأن الدعاة والعلماء، وتتحدَّث عن فَضلهم؛ ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾[1]

قال تعالى:﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِداً وَقَآئِماً يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [2] ، قال تعالى:﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[3] ، قال تعالى:﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِماً بِٱلْقِسْطِ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾[4] ، قال تعالى:﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىَ أَدْعُواْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[5]

كما ورَد في الحديث الشريف عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن الله لا يَقبض العلم انتزاعًا يَنتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا))[6] ، وقال حميد بن عبد الرحمن: سمعتُ معاوية خطيبًا يقول: سمعتُ النبي ﷺ يقول: ((مَن يُرِدِ الله به خيرًا يفقهه في الدين))[7] ، ولن تَخلو الأمة عبر التاريخ من علماء يَحملون لواء الدعوة، ويَنشرون دين الإسلام، ويهدون الناس إلى الخير؛ ابتغاء مَرضاة الله وقد حفظ التاريخ جهودهم في ذلك ،

---

(1) - سورة ، المجادلة ، آية : 11.
(2) - سورة ، الزمر ، آية : 10.
(3) - سورة ، فاطر ، آية : 28.
(4) - سورة ، آل عمران ، آية : 18.
(5) - سورة ، يوسف ، الآية : 108.
(6) - الدارمي ، سنن الدارمي ، تح : حسين سليم أسد الداراني ، ن : دار المغني للنشر والتوزيع ، ط 1 ، باب في ذهاب العلم ، رقم الحديث 245 ، ج1 ، ص 308
(7) - الدارمي ، سنن الدارمي ، باب الاقتداء بالعلماء ، رقم الحديث 232 ، ج 1 ، ص 301.

وهذه الدراسة جاءت لتُسهم في بيان منهج العلماء العاملين، والدعاة الناصِحين؛ من خلال عرض ودراسة منهج الدعوة لذى أحد العلماء الدعاة، وهو الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري ـ رحمه الله ـ فهو داعية أسهم في نشر الدعوة الإسلامية في عصره، وقد امتاز الشيخ الأسمر ـ رحمه الله ـ بأسلوب فريد في عرض حقائق الإسلام ومبادئه والدعوة إليهما، كما تميَّزت رسائله الدعوية أيضًا بتنوُّع الموضوعات في الدعوة إلى الله تعالى. وهذا يؤكِّد أهمية مَعرِفة منهج الشيخ في الدعوة إلى هذه الموضوعات، سواء في كتاباته، أم في رسائله ، أم في مجال التعليم وغيرها، ومِن ثَمَّ إفادة المهتمِّين بالدعوة من هذه المنهجية ؛ إذ يعدُّ الشيخ أنموذجًا للدعاة في أسلوبه ومنهجه ودعوته.

وسيَتناول هذا البحث منهج الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري ـ رحمه الله ـ في كل ما قام به الشيخ عبد السلام الأسمر ـ رحمه الله ـ من جهود في نَشرِ الإسلام وتبليغه وبيان أحكامه وآدابه لمُختلف أصناف المدعوّين بشتى الأساليب من خلال رسائله ألى مريديه .

ثانيًا ـ أسباب اختيار الموضوع: أما اختيار الموضوع فله عدة أسباب هي :

1. أن محاولة تتبع شخصية علمية عرفت بالعلم والدعوة إلى الله يزيد من فتح آفاق الباحث على معارف وعلوم لم يسبق له الاطلاع عليها .
2. همة (الأسمر) واجتهاده المتواصل في بذل العلم جعل من لفت الأنظار إليه أمرًا يستحق الاهتمام والإشادة .
3. كما أن الشيخ عبد السلام الاسمر لم ينل نصيبه من الدراسة والبحث مثل ما حظي به غيره من العلماء والدعاة من الجانب الدعوي .
4. إن بناء صرح علمي في بلادنا يكمن في دراسة مسيرة شخصيات لها دور كبير في نشر العلم في هذه البلاد.
5. الرغبة في حصْر المنهجية الدعوية للشيخ عبد السلام الأسمر رحمه الله .
6. الحاجة إلى التعرف على الأساليب التي تضمَّنتْها رسائل الشيخ في الدعوة إلى الله تعالى، وكيفية الإفادة منها.
7. الإسهام في تقريب سيرة الشيخ عبد السلام الأسمر مِن العاملين في مجال الدعوة.
8. جدة الموضوع؛ فلم يسبق أن قدِّمت دراسة علمية متخصِّصة تتحدَّث عن منهج الشيخ الأسمر ـ رحمه الله ـ في الدعوة إلى الله.
9. اقتراح الدكتور المشرف لهذه الشخصية بوصفها موضوع بحث علمي جدير بالتتبع والدارسة .
10. الاطلاع على أساليب الدعوة عند الدعاة كأمثال عبد السلام الأسمر الفيتوري ما يمكننا الاستفادة منها في الدعوة إلى الله في عصرنا الحديث .

ثالثًا ـ أهداف الدراسة:

أهداف البحث : لقد توخيت من خلال كتابة هذا البحث تحقيق أمور من أهمها :
1 ـ الإسهام في بيان منهج الشيخ عبد السلام الأسمر في الدعوة إلى الله من خلال رسائله ليكون نبراسا يضيئ للدعاة طريقهم في الدعوة .
2 ـ توجيه نظر الدعاة إلى أهمية استخدام وسيلة الرسالة في الدعوة وأنها من أسهل الوسائل وأنجح الطرق في الدعوة .
3 ـ توضيح ما يترتب على التفريط بالمنهج الرباني في الدعوة من آثار سلبية ونتائج عكسية على الدعوة
4- الوقوف على منهج الشيخ الأسمر ـ رحمه الله ـ في دعوته لمُختلف أصناف المدعوّين.
5- التعرف على الأساليب التي اتبعها الشيخ ـ رحمه الله ـ في دعوته.

رابعًا ـ تساؤلات الدراسة:

تَسعى هذه الدراسة للإجابة عن سؤال رئيس، هو:
ما هو منهج الشيخ عبد السلام الأسمر ـ رحمه الله ـ في الدعوة من خلال رسائله إلى مريديه ؟
ويتفرَّع من هذا السؤال الأسئلة التالية:
1- ما العوامل المؤثرة في نشأة الشيخ عبد السلام الأسمر ـ رحمه الله؟
2- ما جهود الشيخ عبد السلام الأسمر ـ رحمه الله ـ العِلميَّة المتعلِّقة بالدعوة ؟
3- ما أصناف المدعوّين في دعوة الشيخ عبد السلام الأسمر ـ رحمه الله ـ من خلال رسائله؟
4- ما هي موضوعات الدعوة لدى الشيخ عبد السلام الأسمر ـ رحمه الله ـ في رسائله؟
5- ما هي أساليب الدعوة المتبعة عند الشيخ عبد السلام الأسمر ـ رحمه الله ـ من خلال رسائله ؟
6 ـ كيف يمكن الاستفادة من منهج الشيخ الأسمر ـ رحمه الله تعالى ـ في الدعوة ؟

خامسًا ـ الدراسات السابقة:

تبيَّن لي بعد استقصائي لعناوين الرسائل الجامعية وسؤال أهل الاختصاص في مجال الدعوة، عدم وجود دراسة علمية مُتخصِّصة تناولت دراسة منهج الشيخ عبد السلام الأسمر ـ رحمه الله ـ في الدعوة ، وهذا لا يَعني عدم وجود رسائل وكتب عن الشيخ ـ رحمه الله ـ فهناك عدد مِن الكتب لكنها ليسَت في مجال الدعوة، وهي كما يلي:
1 ـ عبد السلام الأسمر أرآؤه وأفكاره في ميزان الشريعة الإسلامية ، محمد عز الدين الغرياني ، طباعة : مطابع الجماهرية سبها.

وهو كتاب صغير يحتوي على بعض الآراء التي قام الكاتب فيه بإلقاء الضوء على فكْر الشيخ عبد السلام الأسمر ـ رحمه الله ـ وبيان آرائه من خلال بعض مؤلفاته ، ولم يَتناول الكاتب فيها شيئًا عن جهود أو منهج الشيخ في الدعوة إلى الله تعالى

2 ـ روضة الأزهار ومنية السادة الأبرار، للشيخ كريم الدين البرموني، تحقيق : عبد الحميد عبد الله الهرامة، القاهرة : معهد المخطوطات العربية

3 ـ مواهب الرحيم ، للشيخ محمد بن محمد بن مخلوف الشريف ـ التونسي ـ
4 ـ فتح العلي الأكبر في تاريخ حياة سيدي عبد السلام الأسمر، الطيب بن عثمان بن طاهر المصراتي .
وقد تعرض فيه المؤلِّف إلى سيرة الشيخ كما أكثر فيه من ذكر الكثير من الكرامات التي تنسب إلى الشيخ . مواهب الرحيم ، للشيخ محمد بن محمد بن مخلوف الشريف ـ التونسي ـ
5 ـ فتح العليم ، للشيخ عبد السلام التاجوري
6 ـ على هامش حياة سيدي عبد السلام الأسمر الفيتوري ، لمحمد بن إسحاق المليحي الإسكندري ، مطبوع بمصر ، توزيع مكتبة النجاح بطرابلس
7 ـ النفحات الشاذلية والأسرار الأسمرية، لأحمد حامد عبد الكريم (شيخ الطريقة العروسية).
8 ـ النفحات الفيتورية، للشريف أحمد بن محمد بن عبد الكريم الشريف (شيخ الطريقة العروسية بسوهاج بمصر)
9 ـ الإمام عبد السلام الأسمر الفيتوري ، تأليف : محمد عبد السلام كامل العدوي ، الناشر : المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع
10 ـ مجلة الجامعة الأسمرية ، السنة السادسة 1377و.ر ، 2008م ، العدد الحادي عشر، تحت عنوان : الأسمرية من الزاوية إلى الجامعة.
11 ـ رسائل الأسمر إلى مريديه، وهي الجزء المحقق المطبوع من أطروحة الدكتوراه، التي قدمها الشيخ الدكتور مصطفى عمران رابعة لنيل درجة دكتوراه الدولة في الدراسات الإسلامية بجامعة محمد الخامس بالمملكة المغربية، والتي ستكون مدار التحليل والاستنباط في بحثي هذا إن شاء الله تعالى .
12 ـ العارف بالله، عبد السلام الأسمر وآراؤه في التصوف، أحمد احمد شبل أبو السعادات، رسالة دكتوراه، نوقشت في كلية أصول الدين، قسم العقيدة والفلسفة، تحت إشراف : محي الدين أحمد الصافي، سنة المناقشة، 1976م ، القاهرة .
ورغم أهمية ما سبق من الكتب والدراسات العلمية السابقة، إلا أنه ليس هناك من تناول منهج الشيخ عبد السلام الأسمر ـ رحمه الله ـ في الدعوة ، ولعلَّ تخصيصه بدراسة دعوية علمية يخدم هذا الموضوع دعويًّا بشكل خاص، والتخصُّص الدعوي

بشكل عام؛ إذ تتناول هذه الدراسة حصر المنهجية الدعوية للشيخ الأسمر ـ رحمه الله ـ من خلال رسائله إلى مريديه

سادسًا ـ منهج الدراسة :

يبدو لي من أن المنهج الذي سوف أتبعه في جمع وصياغة هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي ، وإن كانت طبيعته تستوجب أن أستعين ببعض الماهج الأخرى .

سابعاً ـ تقسيم الدراسة :

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن أقسمه إلى مقدمة وتشتمل على :

1- أهمية الموضوع.

2- أسباب اختيار الموضوع.

3- أهداف الدراسة.

4- تساؤلات الدراسة.

5- الدراسات السابقة.

6- منهج الدراسة.

7- تقسيم الدراسة.

الفصل الأول : تمهيد :

أولا : الشيخ عبد السلام الأسمر عصره وحياته

المبحث الأول: الاحوال السائدة في عصره

المطلب الأول : الحالة السياسية

المطلب الثاني : الحالة العلمية

المطلب الثالث : الحياة الدينية

المطلب الرابع : الحالة الاجتماعية

المبحث الثاني : حياته الاجتماعية

المطلب الأول : مولده واسمه ونسبه ونشأته

المطلب الثاني : صفاته الخَلقية الخُلقية

المطلب الثالث : وفاته

المبحث الثالث : حياته العلمية

المطلب الأول : طلبه للعلم ومشايخه وتلاميذه

المطلب الثاني : مكانته العلمية

المطلب الثالث : أقوال العلماء فيه

المطب الرابع: جهوده العلمية

أولا : التأليف

ثانيا : الرحلات

ثالثا : التدريس
المبحث الرابع : عقيدته ومذهبه الفقهي ومنهجه الصوفي
المطلب الأول : عقيدته
المطلب الثاني : مذهبه الفقهي
المطلب الثالث : منهجه الصوفي
المطلب الرابع : أهم الانتقادات التي وجهت إليه
ثانيا : التعريف بمفاهيم الدراسة
المبحث الأول : تعريف الكتابة
المطلب الأول : تعريف الكتابة لغة
المطلب الثاني : تعريف الكتابة اصطلاحا
المطلب الثالث : مكانة الكتابة في الشريعة الإسلامية
المبحث الثاني : تعريف الرسالة
المطلب الأول : تعريف الرسالة لغة
المطلب الثاني : تعريف الرسالة اصطلاحا
المطلب الثالث : أنواع الرسالة
المطلب الرابع : مشروعية استخدام الرسائل بوصفها وسيلة دعوية
المطلب الخامس : أهمية وسيلة الرسائل في الدعوة
المطلب السادس : الدواعي والاسباب لكتابة الرسائل
المبحث الثالث : وصف رسائل الأسمر
المطلب الأول : مصادر الأسمر في رسائله إلى مريديه
المطلب الثاني : سمات رسائل الأسمر وقواعدها وأهدافها
المبحث الرابع : تعريف الدعوة
المطلب الأول : تعريف الدعوة لغة
المطلب الثاني : تعريف الدعوة اصطلاحا
المطلب الثالث : فضل الدعوة إلى الله
المطلب الرابع : أهداف الدعوة إلى الله
المطلب الخامس : أركان الدعوة إلى الله
المطلب السادس : حكم الدعوة
المطلب السابع : رأي الأسمر في حكم الدعوة
المبحث الخامس : تعريف المنهج لغة واصطلاحا
المطلب الأول : تعريف المنهج لغة
المطلب الثاني : تعريف المنهج اصطلاحا
المطلب الثالث : أهمية المنهج

المطلب الرابع : أنواع المناهج الدعوية
المطلب الخامس : اسس المنهج الدعوي في رسائل الأسمر
المطلب السادس : ملامح وسمات المنهج الدعوي في رسائل الأسمر
المطلب السابع : أهداف المنهج الدعوي في رسائل الأسمر
الفصل الثاني : منهج الأسمر في الدعوة
المبحث الأول : الأساليب البلاغية في رسائل الأسمر
المطلب الأول : الوضوح
المطلب الثاني : القوة في الاقناع
المطلب الثالث : الجمال لقصد الامتاع
المبحث الثاني : الحكمة والموعظة الحسنة
المطلب الأول : أسلوب الحكمة
المطلب الثاني : الموعظة الحسنة
المبحث الثالث : القصة وضرب الأمثال والشعر
المطلب الأول : أسلوب القصة
المطلب الثاني : أسلوب الأمثال
المطلب الثالث : أسلوب الشعر
المبحث الرابع : الترغيب والترهيب
المطلب الأول : أسلوب الترغيب
المطلب الثاني : أسلوب الترهيب
المبحث الخامس : الرفق والقدوة الحسنة في الدعوة
المطلب الأول : الرفق في الدعوة
المطلب الثاني : القدوة الحسنة
المبحث السادس : موضوعات الدعوة في رسائل الأسمر إلى مريديه
المطلب الأول : موضوعات العبادات
المطلب الثاني : موضوعات الأخلاق
الفصل الثالث : مجالات الدعوة في رسائل الأسمر
أولا : ((العقيدة))
المبحث الأول : منهج الأسمر في الاستدلال على مسائل العقيدة
المطلب الأول : الاستدلال بالنقل
المطلب الثاني : الاستدلال بالعقل
المطلب الثالث : منهج القرآن في اثبات العقيدة
المبحث الثاني : منهج الأسمر في تقرير الإيمان
المطلب الأول : تعريف الإيمان لغة واصطلاحا

المطلب الثاني : الفرق بين الإيمان والإسلام
المطلب الثالث : زيادة الإيمان ونقصانه
المبحث الثالث : منهج الأسمر في تقرير الصفات
المطلب الأول : تعريف الصفة لغة واصطلاحا
المطلب الثاني : منهج الأسمر في تقرير الصفات الواجبة لله تعالى
المطلب الثالث : منهج الأسمر في تقرير الصفات المستحيلة والجائزة لله تعالى
المطلب الرابع : منهج الأسمر في تقرير صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام
المبحث الرابع : منهج الأسمر في تقرير أركان الإيمان
المطلب الأول : الإيمان بالله
المطلب الثاني : الإيمان بالملائكة
المطلب الثالث : الإيمان بالرسل
المطلب الرابع : الإيمان باليوم الآخر
المطلب الخامس : الإيمان بالقضاء والقدر
المبحث الخامس : منهج الأسمر في تقرير أصول الشرك
المطلب الأول : تعريف الشرك لغة واصطلاحا
المطلب الثاني : مفهوم الشرك في القرآن الكريم
المطلب الثالث : مفهوم الشرك في السنة النبوية
المطلب الرابع : أنواع الشرك في رسائل الأسمر
المطلب الخامس : أصول الكفر عند الأسمر
ثانيا : ((التصوف))
المبحث الأول : أهميته ومكانته ودوره في الدعوة وحاجة المسلم إليه
المطلب الأول : أهمية التصوف
المطلب الثاني : مكانة التصوف في الشريعة الإسلامية
المطلب الثالث : دور التصوف في الدعوة إلى الله
المطلب الرابع : حاجة المسلم إلي التصوف
المبحث الثاني : مصادر التصوف عند الأسمر
المطلب الأول : المنابع التي استقى منها الأسمر علم التصوف
المطلب الثاني : معنى التصوف عند الأسمر من خلال رسائله
المطلب الثالث: أصول التصوف في رسائل الأسمر
المبحث الثالث : أبرز سمات منهج التزكية عند الأسمر
المطلب الأول : التدرج
المطلب الثاني : الشمول
المطلب الثالث : التشدد

المطلب الرابع : إسلامية الأصول
المطلب الخامس : موافقة الشرع الحنيف
المبحث الرابع : أسس المنهج التربوي عند الأسمر
المطلب الأول : الشيخ المربي وأهميته في السلوك
المطلب الثاني : المريد وآدابه
المطلب الثالث : العهد وأهميته في المنهج الصوفي
المطلب الرابع : منهج الطريقة عند الأسمر
المبحث الخامس : مراتب وأساليب التزكية في رسائل الأسمر
المطلب الأول : مراتب التزكية
المطلب الثاني : أساليب التزكية
المطلب الثالث : شروط ومؤهلات الانتساب إلى التصوف عند الأسمر
المبحث السادس : موقف الأسمر من التصوف وبعض قضاياه
المطلب الأول : موقفه من التصوف بشكل عام
المطلب الثاني : موقفه من الولاية
المطلب الثالث : موقفه من الكرامة
المطلب الرابع : موقفه من القول بإسقاط التدبير
المطلب الخامس : موقفه من شطحات ابن عربي
المطلب السادس : موقفه من الحضرة
الفصل الرابع : سبل وكيفية الاستفادة من رسائل ومنهج الأسمر في الدعوة في العصر الحاضر
المبحث الأول : سبل الاستفادة من رسائل الأسمر
المطلب الأول : سبل استفادة الداعية
المطلب الثاني : سبل استفادة المدعو
المطلب الثالث : سبل استفادة موضوع الدعوة
المبحث الثاني : كيفية الاستفادة من رسائل الأسمر في العصر الحاضر
المطلب الأول : كيفية الاستفادة من سيرة الأسمر
المطلب الثاني : كيفية الاستفادة من أساليب الدعوة في رسائل الأسمر في العصر الحاضر
المطلب الثالث : كيفية الاستفادة من موضوعات الدعوة في رسائل الأسمر في العصر الحاضر
المطلب الرابع : كيفية الاستفادة من آثار رسائل الأسمر في العصر الحاضر
خاتمة البحث ونتائجه
وفيها ذكر أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس الفنية، وتشتمل على :

1- فهرس الآيات الكريمة.

2- فهرس الأحاديث الشريفة.

3- فهرس الأعلام.

4- فهرس المصادر والمَراجِع.

5- فهرس الموضوعات

الفصل الأول
الشيخ عبد السلام الأسمر عصره وحياته

الفصل الأول : تمهيد

أولا : الشيخ عبد السلام الأسمر عصره وحياته

المبحث الأول: الأحوال السائدة في عصره :

من المعلوم أنه من أراد أن يعطي فكرة عن شخصية من الشخصيات وبيان آثارها في المجتمع ، لا سيما إذا كان لتلك الشخصية آثار وأعمال يتوارد ذكرها في كتب التراجم ، أن يدرس الظروف المحيطة بها والبيئة التي عاشت فيها حتى يتمكن الباحث من الوقوف على العوامل والمؤثرات التي أدت إلى ظهور تلك الشخصية ونبوغها واشتهارها ذلك لأن أي شخص يتأثر بالأحوال والظروف المحيطة به ، كما يتأثر بالبيئة وبمن حوله من أساتذته ومعلميه ، كما يؤثر هو الآخر في تلاميذه ومن يحيطون به ويعاشرونه ، فللأحوال السياسية والاجتماعية والعلمية أثر بالغ في تكييف اتجاهه ومنهجه الذي يسلكه ، من أجل ذلك كان لزاما على الباحث وهو يدرس شخصية الشيخ عبد السلام الأسمر أن يعطي القارئ فكرة موجزة عن عصره في النواحي التالية :

المطلب الأول : الحالة السياسية

لقد شهدت الفترة التي عاش فيها الشيخ عبد السلام الأسمر ، وقبله بقليل أحداثا مهمة ليست في التاريخ الليبي فحسب ، وإنما في تاريخ المغرب العربي كله .

فدول المغرب الثلاث التي قامت على أنقاض دولة الموحدين وهي :

1 ـ دولة بني حفص بتونس والمغرب الليبي والشرق الجزائري

2 ـ دولة بني زيان بالوسط والغرب الجزائري

3 ـ دولة بني مرين بالمغرب الأقصى

وقد تميزت مرحلة حكم هذه الدول بالاضطراب السياسي حيث إن ما يسمى اليوم بالحدود السياسية بين هذه الدول لم تكن مضبوطة وثابتة ، وظلت هذه الدول تتنازع السلطة والنفوذ ، وتسعى كل منها إلى مد رقعتها على حساب جارتيها ، فقد حاول كل من الحفصيين والمرينيين بسط نفوذهم على كامل المغرب العربي على نمط دولة الموحدين ، لكن أيًا من الدولتين لم تستطع تحقيق أهدافها إلا في مراحل قصيرة ، وسرعان ما عادت دولا إقليمية محدودة[1] .

وقد وصلت هذه الدويلات في أواخر القرن الخامس عشر إلى مستوى كبير من التدني والانحلال ، وأخذ زمام الأمور يفلت من يدها ، وأدى هذا الوضع إلى غياب

---

(1) ـ انظر : حبيب وداعة الحسناوي ، الأوضاع السياسية في شمال أفريقيا وأثرها في نشوء الطرق والزوايا الصوفية ، مجلة الجامعة الأسمرية ، العدد 11 ، ص 59.

السلطة الفعلية فيها ، وضعف قدراتها العسكرية وإلى انتشار الفتن والانقسامات والصراع والاقتتال بين أفراد الأسر الحاكمة التي ظلت طوال فترة حكمها تعيش في خصومات وصراعات داخلية على الملك والنفوذ ، حيث نجد خروج الابن ضد أبيه ، والأخ ضد أخيه ، وابن العم ضد عمه ، ووسط هذا الانقسام والتناحر العائلي ظهر أدعياء آخرون ومتآمرون ومغامرون يدعون لأنفسهم ويستقطبون الأنصار والأتباع من بين العامة الذين كانوا دائما الضحية في هذه الاضطرابات ، وهم وقود هذه الحروب ، وهم من يقع عليهم تمويلها بما كان يفرض عليهم من ضرائب وغرامات وغيرها ، فكانوا تحت ضغط الظلم والاستغلال الذي يتعرضون إليه يستجيبون لهذا أو ذاك من الفرقاء وينصتون لكل ناعق[1] ، وقد كثرت الحروب وسادت الفوضى وانعدم الأمن وضعف البناء الداخلي للدول ، فبدأت تذبل شيئا فشيئا وتعمها الانقسامات والاضطرابات الداخلية فالحروب بينها لا تهدأ ، ومحاولات الطامعين من أبنائها في الحكم لا تكل ، وكل هذا جعلها جميعا تسرع الخطا نحو السقوط ، فتسابقت دول الغرب النصراني لاحتلال أجزاء من أطرافها ، وأعلنت الكثير من ولاياتها وأمصارها استقلالها ، مشكلة بذلك إمارات صغيرة متهافتة ومتناثرة الأطراف ، ومناطق نفوذ هشة وتقاطعت الخطوط فيما بينها ، فلا تكاد تعرف لهذه الكيانات حدودا مرسومة ، أو تخوما معروفة ، هذا هو حال المغرب العربي في تلك الفترة[2] ، أما فيما يخص طرابلس الغرب فقد كانت هي والمدن المحيطة بها تابعة لسلطان الدولة الحفصية أبي عمرو عثمان المنصور (839 ، 893 هـ) ، واستطاعت أن تتخلص من هذه التبعية وتعلن استقلالها الداخلي مقيمة حكما ذاتيا قوامه مجلس للشورى على رأسه شيخ من شيوخها ، وكان أول شيوخ طرابلس الذين حكموها حكما مستقلا الشيخ منصور[3] ، وقد تعاقب حكم الشيوخ على طرابلس حتى سقوطها في يد الأسبان سنة

---

(1) ـ انظر : أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري، ن : المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 2، ج 1، ص 29.

(2) ـ انظر : ايتوري روسي ، طرابلس تحت حكم الاسبان وفرسان مالطا ، ص 18 .

(3) ـ الشيخ منصور أول حاكم انتخب للبلاد على إثر جلسة عامة عقدها الطرابلسيون في الجامع الكبير، ألقى فيها إمام الجامع خطبة مؤثرة ، ثم قام وأخذ بيد الشيخ منصور وبايعه وأقسم أمامه يمين الولاء والطاعة ، فكان ذلك إيذانا بتنصيبه حاكما للبلاد، وما أن سمعت بذلك قبائل : غريان وبني وليد وترهونة ومصراتة وزوارة حتى بايعته حاكما للبلاد، انظر : الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي ، شارل فيرو ، نقلها من الفرنسية وحققها بمصادرها العربية ووضع مقدمتها النقدية الدكتور محمد عبد الكريم الوافي ، ن : جامعة قاريونس ، بنغازي ، ص 61 .

916 هـ ، 1510 م[1] ، وعاش الأسبان أوضاعا سيئة في طرابلس ، ولذلك ما كادت منظمة فرسان القديس يوحنا تطلب من الأمبراطور شارل الخامس[2] ، أن يمنحها جزيرة مالطا ، لكي تستأنف منها نشاطها الصليبي ضد المسلمين ، بعد أن فقدت جزيرتها الجميلة " رودس "[3] ، على يد الأتراك[4]، حتى استجاب لطلبها شارطا عليهم أن تتولى المنظمة أيضا مهمة الدفاع عن قلعة ومدينة طرابلس، وترددت المنظمة كثيرا في قبول هذا الشرط ، وأخيرا رضخت لإرادة الامبراطور الذي وقع وثيقة التنازل عن طرابلس للمنظمة في الرابع والعشرين من مارس سنة 1530م ، بعد أن ظلت طرابلس عشرين سنة تحت حكم الاسبان .

وهكذا كان على طرابلس أن تخضع عشرين سنة أخرى تحت حكم فرسان القديس يوحنا ، وما كانت الأوضاع تختلف عن فترة حكم الأسبان ، فقد كان الفرسان حبيسي أسوار المدينة في حالة طوارئ دائمة يسطر عليهم الرعب والخوف اللذان كان مصدرهما تنامي النفوذ العثماني على السواحل الإفريقية ، وازدياد ضغط مجاهدي تاجورة[5] ، عليهم ، وقد زاد من قوة هؤلاء المجاهدين ظهور بعض قادة الأتراك بينهم[6] ، أمثال :

---

(1) ـ انظر : محمد مصطفى بازامة ، ليبيا في عشرين سنة من حكم الاسبان، ص 80

(2) ـ شارل الخامس هو : شارلكان ملك إسبانيا ورأس الإمبراطورية الرومانية في ذلك الوقت ، انظر : منير البعلبكي ، معجم أعلام المورد ، ن : دار العلم للملايين ، ط 1 ، ص 18 .

(3) ـ رودس : أبعد جزائر بحر الأرخبيل ناحية الشرق ، وهي على بعد إثني عشر ميلا تقريبا من الشاطي الجنوبي لآسيا الصغرى ، وقد ظلت تحت حكم السلطان العثماني إلى أن استولت عليها إيطاليا إبان حرب عام 1912م ، ثم انتقلت إلى الحكم الإيطالي نهائيا بمقتضى معاهدة " لوزان " في 24 يوليو 1923 م أنظر دائرة المعارف الإسلامية ، ج10 ، ص 213 .

(4)ـ انظر : خلف بن دبلان بن خضر الوذيناني، الفتح العثماني لجزيرة رودس،: ط، د،ن : ن، ص6

(5)ـ مدينة ليبية تقع في الجنوب الشرقي من مدينة طرابلس، انظر : الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية، ص 75 .

(6) ـ انظر : عبد الرحمن محمد الجيلاني ، تاريخ الجزائر العام ، ج 5 ، ص 46.

خير الدين بربروسا[1] ، ومراد أغا[2] ... ، واستمرت حملات الأتراك لتحرير طرابلس حتى اليوم السادس من شعبان 958 هـ ، التاسع من أغسطس 1551م ، صدرت الأوامر إلى الجيش بإحكام الحصار على طرابلس الذي استمر عدة أيام قصفت خلالها طرابلس قصفا شديدا مما جعل الفرسان يرفعون راية الإستسلام ، وفي اليوم الثالث عشر من شعبان 958 هـ ، السادس عشر من أغسطس 1551م ، احتفل القادة الأتراك بتحرير طرابلس[3]، وهكذا انتهى الحكم النصراني لمدينة طرابلس الذي دام أربعين عاما، وبدأ حكم من نوع آخر هو الحكم التركي أو ما يطلق عليه العهد العثماني الأول، الذي أصبحت فيه طرابلس قاعدة هامة من قواعد البحرية العثمانية في البحر الأبيض المتوسط ، وبرزت مشاركتها في الأحداث كافة التي وقعت في هذه الفترة سواء في استرداد المواقع المحتلة من التراب التونسي، أو في الإغارة على المواقع المعادية على السواحل الأوروبية ورد الهجمات المضادة ، وتبلغ المشاركة ذروتها في المعارك الكبرى التي دارت حول مالطا، وقد بدأ هذا العهد بولاية مراد أغا ، الذي خلفه درغوت باشا ، فيحيى ، فمصطفى باشا الذي توفي الشيخ عبد السلام الأسمر في فترة حكمه سنة 981 هـ ، 1573م ، أما آخر ولاة هذا العهد فهو محمود أبو أميس الذي خلع عن الحكم بعد خمسة عشر يوما من ولايته وكان ذلك في يوم

---

(1) ـ خير الدين وعروج " بربروسا " أخوان ولدا في إحدى جزائر أرخبيل باليونان ، من أب يسمى يعقوب بن يوسف كان يصنع الفخار بهذه الجزيرة نشآ معا على هواية الحياة البحرية ، وحب المغامرة ، واتخذ عروج مركبا للتجارة ، وأخذ يعمل عليه ليؤمن معيشتة ، ولكنه أسر من قبل القراصنة الإيطاليين " البنادقة " حيث نكلوا به أشد تنكيل ، وأذاقوه الذل والهوان ، وما أن تخلص من أسره حتى كرس نفسه للقتال والغزو في البحر للقضاء على القراصنة الأوربيين فنزل هو وأخوه خير الدين ميدان الكفاح بالبحر المتوسط ، وربط صلتهما بالسلطان العثماني سليم الأول الذي أمدهما بالمراكب والسلاح ، وأذن لهما في ارتياد الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط لمقاومة أساطيل القراصنة الأوروبيين ، ورد اعتداءاتهم ، ويعد خير الدين بربروسا المؤسس الحقيقي لولاية الجزائر ، وكان يطمح إلى جمع الشمال الإفريقي كله في دولة واحدة هو صاحب الأمر فيها ، وقد توفي خير الدين بربروسا في الرابع من يوليو سنة 1546 م ودفن في المسجد الذي ابتناه في بيوك دوة بالأستانة ، انظر : دائرة المعارف الإسلامية ، ج9 ، ص 64 ، وانظر : الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج3 ، ص 36 .

(2) ـ مراد أغا : إيطالي الأصل من مواليد راقوسا أسر صغيرا وبيع في أسواق النخاسة في أوروبا وآل أمره إلى قصر السلطان العثماني سليم الأول بالأستانة ، ثم انضم إلى بربروسا الذي أصبح قائدا للأسطول العثماني وهو الذي أرسله إلى تاجوراء ليستأنف بها ما بدأ به خير الدين كرمان وينظم عملية إجلاء فرسان القديس يوحنا عن طرابلس ، وبعد إنجاز مهمته التي كللت بالنجاح تم تعيينه واليا على طرابلس ، انظر : الطاهر الزاوي ، ولاة طرابلس ، ص 503 .

(3) ـ انظر : أحمد أوزل ، طرابلس الغرب في الوثائق والمصادر التركية ، ص 101 .

الثلاثاء الحادي عشر من جمادي الآخرة سنة 1123 هـ ، وبخلعه انتهى ما يعرف في التاريخ بالعهد العثماني الأول[1]

خلاصة القول :

لقد عاش الشيخ عبد السلام الأسمر خلال فترة تشرذم وانهزامية سياسية تعرضت البلاد خلالها لهجوم خارجي ، وتراجع ثقافي إسلامي سادت فيه الأوهام والخرافات التي ضخمتها العامة ونسجت حولها مختلف الحكايات والأساطير ، وقد استغل العثمانيون هذه الأوضاع وسخروها لخدمة أغراضهم ، كما استغلها فيما بعد الإستعمار الإيطالي والفرنسي ، وكذلك بعض الأنظمة الإسلامية السياسية اليوم والهدف واحد فهل من صحوة إسلامية تعيد تقييم الماضي من أجل بناء المستقبل[2] .

---

(1) ـ انظر : الطاهر الزاوي ، ولاة طرابلس ، ص 219 .

(2) ـ انظر : امحمد سعيد الطويل ، الأوضاع السياسية والثقافية في ليبيا وانعكاساتها على الشيخ عبد السلام الأسمر وطريقته الصوفية ، مجلة الجامعة الأسمرية ، العدد 11 ، ص 87 ، وما بعدها .

المطلب الثاني : الحالة العلمية

إن ليبيا كغيرها من الأقطار لم تخل من العلماء على مر العصور ممن كان لهم دور يذكر في مجال العلم والثقافة ، فعلى سبيل المثال كانت الحياة الثقافية قبل عصر الأسمر زاخرة بالعلماء الأفذاذ كأبي جعفر أحمد بن نصر الداوودي الطرابلسي[1] المتوفى سنة 402 هـ ، والشيخ عبد الرحمن المكي الطرابلسي[2] (570 ، 651 هـ) والشيخ محمد بن موسى بن معمر الطرابلسي[3] (609، 682هـ) ، وغيرهم الكثير .

كما برز فيها العديد من الذين برعوا في علوم الشريعة والحقيقة، كأبي البركات بن عمران بن أبي الدنيا[4] ، وعبد السلام بن عبد الغالب المصراتي[5] ، وأحمد بن عبد السلام الأموي التاجوري[6] وغيرهم الكثير .

وعبر ليبيا كثير من مشاهير العلم والثقافة في رحلات مختلفة ، واستقر بعضهم فيها ، فكان لهم تأثير يذكر في الحياة العامة بين الناس ، مثل : الشيخ أحمد زروق[7]

---

(1) ـ انظر : محمد بن محمد مخلوف ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، ن : دار الكتاب العربي ، بيروت ، ص 110 .

(2) ـ انظر : الطاهر الزاوي، أعلام ليبيا، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، ط1، 1961 م ، ص 160 .

(3) ـ انظر : أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التيجاني ، رحلة التيجاني، قدم لها العلامة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب ، ن : الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، 1981 م ، ص 274.

(4) ـ هو أبو محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن عمران بن أبي الدنيا ولد سنة 606 هـ ، من رجال القرن السابع الهجري عده التيجاني من فضلاء طرابلس الغرب المشهورين بالعلم ، أسس المدرسة المستنصرية بطرابلس الغرب، توفي سنة 684 هـ ، انظر : رحلة التيجاني ، ص 272.

(5) ـ أصله من مصراته ، ليبيا ، اشتهر في الفقه وفروعه والفلسفة الإسلامية والتصوف ، كان عالما بالقراءات السبع ، له تآليف في العقائد والفقه والتصوف ، توفي بالقيروان بتونس سنة 646 هـ ، انظر أعلام ليبيا ، للطاهر الزاوي ، ص 173 .

(6) ـ ولد بتاجوراء إحدى ضواحي طرابلس الغرب سنة 635 هـ ، وصفه التجاني بأنه أحد عدول طرابلس المصدرين بها ، العارفين بفن التوثيق وعقد الشروط والحافظين للآداب ، توفي عام 708 هـ ، انظر : رحلة التجاني ، ص 308 .

(7) ـ هو أبو العباس أحمد بن محمد الزروق من مواليد برنس ببلاد المغرب عام 846 هـ ، كان عالما فذا جمع بين الشريعة والحقيقة ، له العديد من المؤلفات والشروح في الفقه والعقائد والتصوف ، توفي بمصراته ، ليبيا عام 899 هـ ، انظر : أعلام ليبيا ، ص 65 ، وانظر : تراجم ليبية دراسة في حياة وآثار بعض الفقهاء والأعلام من ليبيا قديما وحديثا ، جمعة محمد الزريقي ، ن : دار المدار الإسلامي ، ودار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا ، ط 1 ، 2005 م ، ج 1 ، ص 27 .

ومحمد بن عبد الرحمن الحطاب الرعيني الشهير بالحطاب الكبير[1] ، وابنه محمد الشهير بالحطاب الصغير[2] ، وفي المقابل خرج منها رجال شكلت علومهم طابعا ثقافيا واجتماعيا في المجتمعات التي رحلوا إليها ، مثل : محمد بن أحمد الزليتني[3] ، ومحمد بن علي الخروبي[4]

ومنهم من لمع نجمه في سماء ليبيا وخارجها سواء أكان من الوافدين ، أم من المقيمين كالشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري .

التعليم في عصر الأسمر :

من الواضح أنه لم يكن هناك مراحل معينة للتعليم في عهد الأسمر ، بل كان التعليم يشتمل على مرحلة واحدة تبتدئ بالكتاب، أو المؤدبين ، إذ يبدأ الطالب بقراءة القرآن الكريم، ثم الانتقال إلى الحلقات في المساجد[5] ، أو الإلتحاق بإحدى الزوايا

---

(1) ـ هو أبو محمد ، محمد بن عبد الرحمن بن حسين الرعيني الحطاب ولد بطرابلس ليبيا عام 861 هـ ، وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم ، وتفقه على يد الشيخ محمد الفاسي وأخيه ، وعلى الإمام أحمد زروق، والسنهوري والخطيب والسخاوي وغيرهم ، وتتلمذ على يده العديد من الطلبة والمريدين منهم الخروبي وغيره ، توفي عام 945 هـ ، ودفن بزاويته بتاجوراء ، انظر : تراجم ليبية، دراسة في حياة وآثار بعض الفقهاء والأعلام من ليبيا قديما وحديثا، جمعة محمود الزريقي، ن : دار المدار ، ص 51 ، وانظر : أعلام ليبيا ، ص 309 .

(2) ـ هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن حسين بن محمد الحطاب ، ولد عام 902 هـ ، في مكة وأخذ العلم عن والده والتاجوري ومحمد الفيش ومحمد القلاني وعن العلامة أحمد بن موسى بن عبد الغفار شيخ والده ، كان عالما بارعا جمع بين الحديث والفقه والتصوف والأصول ، له تآليف عديدة وشروح كثيرة ، توفي بطرابلس سنة 954هـ ، انظر : تراجم ليبية ، ص 62 ، وانظر : أعلام ليبيا ، ص 311 وما بعدها .

(3) ـ إمام وخطيب جامع الزيتونة ، تتلمذ على يد الشيخ ابن عرفة والشيخ الفندار فصار عالما ورعا ورعا يحرص على نفع الناس ، توفي سنة 808 هـ ، انظر : أعلام ليبيا ، ص 264 .

(4) ـ من مواليد قرقارش ناحية من نواحي طرابلس الغرب ، تتلمذ على يد الزيتوني والمديوني وزروق ، كان محققا واسع المعرفة له تآليف كثيرة منها رسالة بعنوان (رسالة ذي الإفلاس إلى خواص أهل مدينة فاس) ينتقد فيها بعض الطرق الصوفية ، توفي بالجزائر عام 963 هـ ، انظر : تراجم ليبية ، ص 81 ، وانظر : أعلام ليبيا ، ص 291 وما بعدها.

(5) ـ ظلت المساجد منذ نشأتها أماكن للعبادة ومواضع لتلقي العلوم الإسلامية من تفسير ، وحديث، وسيرة ، ولغة ، ونحو ، وصرف، وتصوف ، وفقه ... وغيرها ، عبر مراحل التاريخ الإسلامي ، انظر : أليس الصبح بقريب، محمد الطاهر بن عاشور، ن : المصرف التونسي للطباعة ، تونس ، ص 56 .

العلمية التي كانت منتشرة في ذلك العصر[1] ، هذا بالإضافة إلى وجود أماكن متعددة كانت ملتقى لطلاب العلم، مثل : منازل العلماء وحوانيت الوراقين والأربطة عند أضرحة الصالحين، حيث كانت تعد من جملة مراكز التعليم في ذلك العصر[2] ، فكان الموسرون من الآباء شديدي الحرص على تعليم أبنائهم ، فكانوا يصطحبون أولادهم إلى مجالس العلماء، ويعودونهم على السماع والاستفادة ، لكي يزرعوا في نفوسهم حب العلم والعلماء، غير أنه لم تكن الظروف مهيأة لجميع الطلاب لإكمال تعليمهم بحيث يصبح الطالب شيخا ومربيا له حلقة ومريدون يتعلمون منه ، فلقد كان الكثير منهم يتوقف في منتصف الطريق ، ومنهم من يتعلم القراءة والكتابة فقط ، ومنهم من يكتفي بحضور حلقات الشيوخ والاستماع إلى محاضراتهم التي كانت تلقى مشافهة ، في حين كان منهم من يلزم الشيوخ ، وينتقل إلى المناطق أو البلدان الأخرى إلى أن يصبح علما من الأعلام كشيخنا الأسمر وغيره الكثير .

التصوف والطرق الصوفية في عصر الأسمر :

كان التصوف والصوفي في بادئ الأمر مرادفا لكلمة الزهد والزاهد والعابد والفقير، ولم تكن معاني هذه الألفاظ لتزيد على شدة التمسك بأمر الدين ، والعناية بأحكام الشريعة ، وقد تميز المجتمع الليبي منذ الفتح الإسلامي بالكثير من العباد والزهاد ، فقد سئل الإمام سحنون[3] ، لما رجع إلى تونس بعد رحلته إلى المشرق عن

---

(1) ـ انظر : عميراوي احميدة ، خطاب الزاوية في الثقافة الليبية الأسمرية نموذجا ، مجلة الجامعة الأسمرية ، العدد 11 ، ص 490.

(2) ـ انظر : محمد هشام النعاس ، الحركة العلمية في طرابلس الغرب خلال القرنين (5 ، 6 هـ) ورقة بحثية مقدمة في ندوة بعنوان : دور طرابلس الغرب في نشر الثقافة العربية والإسلامية ، ن : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وجمعية الدعوة الإسلامية ، ص 31

(3) ـ هو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي الملقب بسحنون ، كان أكبر فقهاء عصره شأنا وأوحدهم إمامة وفضلا ، ولد في القيروان سنة 160 هـ ، 777م ، ونشأ بها وتعلم على مشايخها ، فأخذ عن العباس بن أشرس ، والبهلول بن راشد ، وغيرهم ، ثم ذهب إلى تونس فأخذ على علي بن زياد وسمع منه الموطأ ، كما أخذ عن أسد ابن الفرات أسديته ، ثم رحل إلى المشرق وبصحبته الأسدية ، فأخذ عن علماء مكة والمدينة والشام ومصر ، ثم عاد إلى القيروان ومعه الأسدية بعد أن استعرضها على الإمام ابن القاسم وقاما معا بتنقيحها وتهذيبها وقد أصبحت تعرف فيما بعد باسم المدونة ، توفي سنة 240 هـ ، 854 م ، انظر : ترتيب المدارك ، للقاضي عياض ، ج 2 ، ص 585 ، وانظر : الأعلام ، للزركلي ، ج 4 ، ص 5 .

الصالحين الذين رآهم في رحلته فقال : ((رأيت بطرابلس رجالا ما الفضيل بن عياض بأفضل منهم))[1]

وفي القرن الرابع الهجري سئل نفس السؤال المؤدب التونسي محرز بن خلف[2]، على إثر عودته من قضاء فريضة الحج فقال : (رأيت بطرابلس رجلا وامرأة أما الرجل فأبو عثمان الحساني[3] ، وأما المرأة فسمدونة[4] ...)[5]

ولكن نظرا لتدهور شؤن الحكم في المغرب الإسلامي وانقسامه على ثلاث دويلات ، بعد سقوط دولة الموحدين ولضعف السيطرة في هذه الدول وكثرة النزاعات فيما بينها ، بدأت الحركات الدينية في الظهور ، فانتشرت الزوايا والطرق الصوفية ، وكان ذلك نتيجة لتسلط الحكام والشعور بضرورة الإصلاح الاجتماعي والديني .

---

(1) ـ التيجاني ، رحلة التيجاني ، تح : حسن حسني عبد الوهاب ، ن : الدار العربية للكتاب ، ص 251 .

(2)ـ محرز بن خلف بن رزين البكري، من نسل أبي بكر الصديق: مؤدب تونسي، من كبار الزهاد. تهافت عليه الناس للتبرك به وسماع كلامه. كان في شبيبته يعلم القرآن بأريانة، وسكن مرسى الروم (قرب القيروان) ثم استقر في مدينة تونس يقرئ القرآن والحديث والفقه وتوفي سنة (951 هـ) انظر : الأعلام ، للزركلي ، ج 5 ، ص 284.

(3) ـ هو أبو عثمان سعيد بن خلفون الحشاني المعروف بالمستجاب ، ولد بمدينة طرابلس ونشأ وتفقه بها حتى أضحى من كبار الصوفية حاويا للعلوم الدينية والمعارف القدسية ، التزم المسجد المعروف بمسجد الجدود بطرابلس للتدريس والعبادة حتى وافته منيته في سنة 362 هـ ، انظر : المنهل العذب ، للنائب ، ج 1 ، ص 90 ، وانظر : أعلام ليبيا ، للزاوي ، ص 171

(4) ـ سمدونة : امرأة من فضليات النساء الصالحات كانت تسكن مسجد الشيخ الشعاب ، وكان أبو نزاريعتقد بركتها ويكثر من زيارتها ، ولم أقف لها على ترجمة أكثر من هذه ، انظر : أعلام ليبيا ، للزاوي ، ص 172

(5) ـ تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار وهو شرح لأبي عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي ، نقل عن نسخة في الخزانة التيمورية ، اعتنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ، الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي ، ن : المكتبة السلفية ، القاهرة ، 1349 هـ ، ص 221 ، وانظر : أحمد النائب ، نفحات النسرين ، ص 81

أما عن سبب دخول التصوف في ليبيا وانتشاره فيها ، فإن التاريخ يدلنا على أن الكثير من رجال التصوف طافوا العالم الإسلامي فمنهم من صادف في ليبيا تربة صالحة للنمو فغرس فيها شجرة التصوف التي أينعت وأثمرت ، ففي القرن السادس الهجري بدأت أول الطرق الصوفية تجد لها تربة خصبة في المجتمع الليبي ، فقد توقف في طرابلس داعية الطريقة القادرية الشيخ أبو مدين شعيب[1] الذي أدى مناسك

الحج واجتمع بمؤسس الطريقة الشيخ عبد القادر الجيلاني[2] ، فأخذ عنه أصول الطريقة ثم عاد إلى المغرب ناشرا تعاليمها ، ولم يكتب لهذه الطريقة الانتشار الواسع وانحصرت في قلة من المريدين والأتباع ، وفي نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع بلغ التصوف ذروة ازدهاره في عهد الدولة العثمانية بعد أن قام الولاة العثمانيون بتقريب شيوخ القبائل ورجال التصوف من سدة الحكم ، ومن المعلوم أن المذاهب على اختلاف أنواعها دينية كانت أو سياسية إذا وجدت لها ناصرا ومعاضدا من المسيطرين على الحكم تسارع نموها ، والتصوف من المذاهب التي هيأ لها الزمان ناصرا ومعاضدا قويا ، فإن الدولة العثمانية التي عاش في ظلها الأسمر ظهرت من رحم التصوف وبه تغدت وعليه تأسست ، وفي تلك الفترة عرف المجتمع الليبي العديد من الطرق الصوفية ، فكانت الطريقة العروسية التي انتشرت بفضل جهود العالم المفتي فتح الله بن فتح الله الشهير بأبي راس القيرواني[3] ، الذي أقام

---

(1) - أبو مدين شعيب بن الحسن الانصاري ، شيخ مشايخ الاسلام وإمام العباد والزهاد ، ولد سنة 520 هـ بحصن قطنيانة بالقرب من اشبيلية، ثم انتقل إلى طنجة وسبتة ومراكش وفاس حيث درس على الشيخ أبي الحسن بن حرزهم، والشيخ أبي الحسن بن غالب ، والشيخ أبي عبد الله الدقاق ، وبعد عدة سنوات انتقل إلى مكة والتقى فيها بالشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفي سنة 594 هـ ، وأخذ عنه الحديث ثم أسلكه الجيلاني في طريقته وألبسه الخرقة الصوفية ، انظر : التشوف إلى رجال التصوف ، وأخبار أبي العباس السبتي ، لأبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي ، ن : كلية الآداب بالرباط ، تح : أحمد التوفيق ، ط 2 ، 1997 ، ص 322 ، وانظر : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، أبي عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد الملقب بابن مريم الشريف الليتي المديوني التلمساني ، ن : المطبعة الثعالبية ، 1908 م ، ص 110

(2) - هو أبو محمد محي الدين عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني ، الزاهد المتصوف مؤسس الطريقة القادرية ، ولد بجيلان سنة 471 هـ ، 1078 م ، من مؤلفاته : " الغنية لطالبي طريق الحق " و " الفتح الرباني والفيض الرحماني " و " فتوح الغيب " توفي ببغداد سنة ، 561 هـ ، 1166 م ، انظر : الأعلام ، للزركلي ، ج 4 ، ص 171 ، وانظر : الطبقات ، للشعراني ، ج 1 ، ص 108

(3)- هو فتح الله بن فتح الله بن سعيد المشهور بأبي راس القيرواني ، أحد أقطاب الطريقة العروسية الشاذلية ، تولى الإفتاء بالقيروان ، ثم غادرها على إثر محنة جرت له ، فتوجه إلى طرابلس ، ثم إلى برنو بالسودان حيث توفي هناك ، انظر : روضة الأزهار ، للبرموني ، ج 1 ص 240 .

بمدينة امسلاتة[1] ، مدة من الزمن ينشر تعاليم الطريقة ، وأحمد بن أبي عبد الله أبو تليس[2] ، الذي أقام بمدينة بني وليد سبع سنوات ، ثم تلميذهما عبد الواحد الدكالي[3]، الذي اتخذ من زاوية الشيخ عبد الله الدكالي بمدينة مسلاته مستقرا لنشر العلم وتلقين أوراد طريقته العروسية الشاذلية[4] ، ثم تلميذه الشيخ عبد السلام الأسمر ، الذي تجددت على يديه الطريقة العروسية ، كما عرفت في تلك الفترة الطريقة الزروقية التي أسسها الشيخ أحمد زورق بمدينة مصراته ، وهو من تلاميذ عبد الواحد الدكالي ومن المعاصرين للشيخ عبد السلام الأسمر ، ومع بداية القرن العاشر تسربت إلى المجتمع الليبي الطريقة العيساوية ، والتي اتضحت معالمها على يد الشيخ محمد العالم بانون ، الذي أسس بمدينة طرابلس[5] ، زاوية لنشر تعاليم طريقته ، والتي أصبحت فيما بعد تعرف باسم " الزاوية الكبيرة " تمييزا لها عن " الزاوية الصغيرة " التي تبنت تعاليم الطريقة أيضا ، والتي تنسب إلى أحد أحفاد الشيخ أبي يعقوب الخشاب الأندلسي .

---

(1) ـ امسلاتة : مدينة ليبية تقع في الجنوب الشرقي لمدينة طرابلس بنحو 125 كم ،انظر :الزاوي ، معجم البلدان الليبية ، ص 134 .

(2) ـ هو أحمد بن أبي عبد الله أبو تليس العالم الزاهد ، قيرواني الأصل ، وقع خلاف بينه وبين علماء عصره ورموه بالزندقة ، فغادر القيروان مهاجرا ، وأقام بوادي بني وليد بطرابلس الغرب ومكث فيه سبع سنين ، ثم رجع إلى القيروان وتوفي بها ، انظر : الزاوي ، أعلام ليبيا ، ص 70.

(3) ـ هو أبو محمد عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد الدكالي المغربي ، ولد في مصر وهاجر إلى ليبيا وأقام بزاوية عبد الله الدكالي بمسلاتة ، ناشرا للعلم وللطريقة العروسية ، وقد تتلمذ عليه الأسمر وأخذ عنه طريقته العروسية ، وكانت وفاته بمسلاتة في أوائل القرن العاشر ، انظر : الأسمر ، الوصية الكبرى ، ص 71 ، وانظر : محمد مخلوف ، تنقيح روضة الأزهار ، ص 77.

(4) ـ أحد الطرق الصوفية المنسوبة إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي ، والتي بنى أصولها على قراءة القرآن وتعلم العلم ، وتتشعب منها العروسية و المدنية والسلامية وغيرها ، انظر : محمد بن علي السنوسي ، المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق ، ن : وزارة الإعلام والثقافة ، ط 1 ، 1968 م ، ص 72.

(5) ـ طرابلس الغرب : مدينة كبيرة على ساحل الشمالي لأفريقيا مطلة على البحر المتوسط إفتتحها المسلمون سنة 22هـ ـ 642 م ، بقيادة عمرو بن العاص انظر : معجم البلدان ، ج4 ، ص25 ، و دائرة المعارف الإسلامية ، ج15 ، ص 106 ، معجم البلدان الليبية ، ص 23.

والطريقة العيساوية تنسب إلى مؤسسها الشيخ سيدي محمد بن عيسى المغربي[1] ، في ذلك العصر خرج الأسمر كأحد رجال التصوف ، ولاشتهار مذهب التصوف في ديار الأسمر ، وميل الناس إليه ، بل غلوهم فيه ، صارت له ـ أي ـ للأسمر المرتبة العليا في زمانه ، والغاية القصوى في أوانه وفاق جميع أقرانه ، وكان في جنب هذا المذهب الصوفي الجمود مسيطرا على طائفة من أهل الفقه والحديث وكانوا متمسكين بظواهر الكتاب والسنة ، لأن السياسة كما قلنا كانت تدعو إلى تقوية الطرق الصوفية وتقريب رجالها، وقل من جمع بين الحقيقة والشريعة في ذلك العصر.[2]

---

(1)ـ هو أبو عبد الله محمد بن عيسى بن عامر بن عمر الإدريسي الحسني الشيخ المربي ، مؤسس الطريقة العيساوية ، ولد سنة 872 هـ ، 1467 م ، وحفظ القرآن بفاس وتلقى بها علومه ، ثم تتلمذ في طريق القوم على يد الحارثي المكناسي ، وعبد العزيز الدباغ ، والسهيلي وجميعهم من تلاميذ الشيخ محمد بنسليمان الجزولي ، ثم رجع إلى مكناس وتصدر للتدريس في جامعها الأعظم، وفيها وضع أساسيات طريقته العيساوية الجزولية الشاذلية ، توفي رحمه الله سنة 933 هـ ، 1526 م ، ودفن بزاويته ، انظر : ابن عساكر ، دوحة الناشر ، ص 75

(2) ـ انظر : حورية خليفة الطرمان ، الفكر الصوفي في ليبيا ، نماذج تطبيقية عن الطريقة المدنية ، ن : جامعة السابع من إبريل ، الزاوية ، ليبيا ، ط 1 ، 1375 و. ر ، 2007 م ، ص 85 وما بعدها .

المطلب الثالث : الحياة الدينية :

شكل الدين الإسلامي منذ الفتح الإسلامي بقيادة عمرو بن العاص لشمال إفريقية القاعدة الأساسية في كل ما يتعلق بحياة الناس ومعاملاتهم ، ثم حركة المذاهب الفقهية التي كان المذهب المالكي الأكثر انتشارا بينها في شمال أفريقيا ، ثم المذهب الاباضي، ثم المذهب الحنفي الذي أدخله الأتراك العثمانيون بعد سيطرتهم على طرابلس وتحريرها من فرسان القديس يوحنا[1]

وبالنظر لما كان عليه بعض أفراد المجتمع من ثقافة روحية لتتبع آثار الزهاد والصالحين ، ازدهرت وانتشرت الحركة الصوفية في عهد العثمانيين بشكل واسع ، بخاصة عندما قربوا إليهم رجال الدين من علماء ، ووعاظ ، وشيوخ الطرق الصوفية، لما كانوا يتميزون به من تأثير يذكر في الأوساط الاجتماعية ، إذ ((شهدت الحركة الصوفية في ليبيا إبان العهد العثماني اتساعا ونفوذا في طول البلاد وعرضها، حتى أصبح لكل قرية تقريبا شيخها ووليها الصوفي ، تتبرك به وتقدم له النذور، وتخصه بالزيارة وإقامة الحفلات عند ضريحه))[2]

المطلب الرابع : الحالة الاجتماعية

منذ حلول العرب وانتشارهم بشمال إفريقية عموما ، وفرض وجودهم في ليبيا بخاصة ، اتسعت رقعة سيطرتهم بفضل لحمتهم الاجتماعية واتباعهم أوامر الدين الإسلامي الذي قارب بينهم وبين من قبلهم من السكان ، فشكلوا بناء اجتماعيا وثقافيا ووجدانيا متينا للمجتمع الليبي الذي هو امتداد للمجتمع العربي والإسلامي ، وحافظ المجتمع بذلك البناء على قيمه وسلوكه وتمسكه بمبادئه ، فلم ينصهر في أي من القوميات الأجنبية التي تعاقبت عليه ، باستثناء بعض المظاهر الشكلية في الملبس والمطعم ، وبعض الألفاظ الرومية والتركية والأوروبية[3]

---

(1) ـ انظر : راسم رشدي ، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر ، المملكة الليبية المتحدة سابقا ، ط 1 ، ص 61 ، وانظر : المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني ، ن : الدار العربية للكتاب ، ت ، ن : 1988 م ، ص 67 ، وما بعدها .

(2) ـ الطيب علي الشريف ، ومحمد مولود خماج ، الشيخ عبد السلام الأسمر وآثاره العلمية وموروثه الصوفي ، مجلة الجامعة الأسمرية ، العدد 11 ، ص 142، وانظر : تيسير بن موسى ، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني ، ن : الدار العربية للكتاب ، 1988 م ، ص 67 .

(3) ـ انظر : إسماعيل كمالي ، سكان طرابلس الغرب ، تعريب وتعليق حسن الهادي بن يونس ، ن : مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ليبيا ، 1997 م ، ص 34 وما بعدها .

وفي ظل ذلك البناء اتسمت الحياة الاجتماعية التي عاش فيها وبينها الشيخ عبد السلام الأسمر بالترابط الوثيق بين أفراد الحي الواحد ، والقبيلة الواحدة والحرفة الواحدة ، والطريقة الدينية أو الصوفية للمنتسبين إليها ، فكان التكافل الاجتماعي في أبهى صوره وأسمى معانيه ، مدعاة لتجمع الناس في مناسبات الأفراح بقصد مشاركة أصحابها وجدانيا، والأتراح للمواساة ومحاولة التخفيف عن المصاب، إلى جانب احتفالاتهم بالمناسبات الدينية كالمولد النبوي الشريف، وعيد الأضحى والفطر، وعاشوراء، وليالي شهر رمضان وغيرها، واهتمامهم بزيارة مقامات الأولياء والصالحين[1]

المبحث الثاني : حياته الاجتماعية :

لقد كانت حياة الأسمر كلها نفعا وخيرا للإسلام والمسلمين وإرساء وتتبيثا لقواعد الدين ، وعينا ساهرة لحماية الإسلام ومبادئه ، والذود عنه وإعلاء كلمته ، وشمسا مشرقة على ظلام أهل الخرفات والبدع والسحر ، شهد له بهذا الفضل أهل الصلاح والمصلحين والعلماء الربانين العاملين المخلصين ، وشوه صورته الحاقدون والحاسدون من العامة والجاهلين ، ويعد الأسمر من أهم وأبرز علماء ودعاة الإسلام في القرن العاشر الهجري فهو من فقهاء المالكية ، وعالم في العقيدة ومن أبرز مشايخ التربية والسلوك على منهج أئمة التصوف السني المبني على الكتاب والسنة ، وأحد أهم ركائز الحركة العلمية الصوفية الدعوية[2] ، في الشمال الأفريقي بخاصة والمغرب الإسلامي بعامة ، وقد تضمن منهجه الدعوي والإصلاحي الاهتمام بمختلف طبقات المجتمع ولم ينحصر في الطبقة المتعلمة فقط الأمر الذي جعله قائدا روحيا بمنزلة حجر الزاوية لرسوخ الإسلام في المغرب الإسلامي ، وكانت له مشاركة في إصلاح الوضع الاجتماعي والثقافي المتردي في مجتمعه[3] .

---

(1) ـ انظر : تيسير بن موسى ، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني ، ص 30 ، 42 .

(2)ـ انظر : النائب ، نفحات النسرين والريحان في من كان بطرابلس من أعيان ، حيث قسم المؤلف الطرق الصوفية إلى : أ ـ الصوفية الداعية ومؤسسها هو أبو مدين شعيب عمدة صوفية المغرب ، والأسمر يعتبر من رجال هذه الطريقة ، ب ـ الصوفية عير الدعوية ويقصد بهم من آثر الخمول والعزلة عن الناس ، ص 47.

(3) ـ انظر : محمد البشير ظافر الأزهري ، اليواقيت التمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، ن : مكتبة العباسية ، ص 200 ـ 201 .

المطلب الأول : مولده واسمه ونسبه ولقبه ونشأته

أولا : مولده : ((ولد يوم الإثنين ليلة اثنتي عشر من ربيع الأول سنة 880 هـ 1475 م بزليتن[1] ، لأبوين كريمين ، وكان وحيد أبويه حيث توفي أبوه وهو ابن سنتين وشهرين فنشأ يتيما))[2]

ثانيا : اسمه ونسبه :

هوعبدالسلام بن سليم بن محمد بن سالم بن حميدة بن عمران بن محيا بن سليمان بن سالم بن عمران بن أحمد بن خليفة (الملقب بفيتور) بن عبد الله (عرف نبيل) بن عمران بن أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد القادر بن أحمد (الملقب عبد الرحيم) بن محمد بن عبد الله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي كرم الله وجهه ـ وابن السيدة البتول فاطمة الزهراء بنت رسول الله ـ ﷺ ـ المعروف بالأسمر الفيتوري المشهور بالشرف الصوفي الصالح والمرشد الناجح بركة الأنام وعمدة الإسلام القدوة الكامل والنخبة الفاضل معتقد الصالحين ومعتمد الناجحين الإمام العالم العامل العارف ، وابن السيدة سليمة الشهيرة بعيادة ابنة الشيخ عبد الرحمن الدرعي الراجع نسبه إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش إلى الإمام علي ـ كرم الله وجهه ـ والسيدة فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنهما[3]

ثالثا : لقبه : اشتهر الشيخ عبد السلام بلقب : " الأسمر " لسمرة في لونه[4] ، أو لأنه كان يسمر ويسهر ويقوم الليل في طاعة الله ، كما عرف بالفيتوري ، والحازمي ،

---

(1) ـ مدينة ليبية ساحلية تبعد عن طرابلس بحوالي (158 كلم) شرقا ، انظر : الطاهر الزاوي ، معجم اللبلدان الليبية ، ص 170 ، 171

(2) ـ الطاهر الزاوي ، أعلام ليبيا ، ص169 ، و ناصر الدين محمد الشريف، الجواهر الإكليلية في أعيان ليبيا من المالكية ، ن : دار البيارق للنشر، ص162 ،163

(3) ـ انظر : ناصر الدين محمد الشريف ، الجواهر الإكليلية في أعيان ليبيا من المالكية، ن : دار البيارق للنشر، ص 161 ،162
وانظر : فهرس الفهارس ج1، ص 206، ومعجم المعاجم لعمر بن رضا بن راغب بن عبد الغني، ن : مكتبة المثنى، بيروت ج5، ص223 ،

(4) ـ لهذا السبب يرجع الباحث سبب تلقيبه بهذا اللقب، ويؤيد ذلك اطلاق هذه الكلمة في عرف البلد على من هو أسمر اللون، خاصة وأن شيخنا الأسمر من وصفه قال عنه أنه كان آدم اللون، أي يميل إلى السمرة ، أما القصة التي ذكرها كريم الدين البرموني فهي لا تقوم بها حجه حتى تغير العرف .

نسبة إلى القبيلة التي ينتسب إليها وهي " الفواتير "[1] ، وإلى عائلة الحوازم وهي جزء من قبيلة المريقعات إحدى قبائل الفواتير ، وكثير ما كان يقول في رسائله إلى تلاميذه ومريديه : " من عبد السلام ابن سليم الفيتوري "[2]

رابعا : نشأته : لم يمض عليه بعد ولادته ـ رحمه الله ـ سنتان وشهران حتى توفي أبوه فنشأ يتيما ، وتولى رعايته وتربيته والدته سليمة بنت عبد الرحمن الدرعي التي تزوجها فيما بعد الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد الفيتوري (عم الشيخ عبد السلام الأسمر) فكفله عمه وقام بتربيته أحسن قيام ، وكان يحبه ويعظمه ، وعندما وصل إلى سن الفهم والإدراك ، وجهه لحفظ القرآن الكريم فحفظه وهو ابن سبع سنين وعلمه مبادئ النحو ،والفقه والتوحيد والمنطق[3] .

المطلب الثاني : صفاته الخِلقية والخُلُقية

تميزت شخصية الأسمر بالعلم وحسن الخلق وعلو الهمة والتواضع والسخاء والكرم والإيثار، فكان يجالس الفقراء ويؤكلهم ويحنو عليهم ، كما كان يحفظ الود ويتجاوز عن السيئات ويتفقد من غاب من تلاميذه ويسأل عنهم[4] ، كما كان صداعًا بالحق جريئًا قويًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يحابي في دين الله أحدًا ولا تأخذه في الله لومة لائم ، فقد كانت شخصيته تمثل الشخصية الإسلامية المعتدلة التي ترى في نفسها أنها مأمورة بتعليم الناس وإرشادهم إلى طريق الحق والخير ، وقد بذل في سبيل ذلك الكثير من الجهد والوقت وضحى بالغالي والنفيس ـ رحمه الله .

---

(1) ـ الفواتير : عرب أشراف ينتسبون إلى الفواتير السبعة أولاد سيدي سليمان المقبور بجوار ضريح سيدي عبد الله الشعاب بطرابلس ، وهم محمد الكبير ، ويعقوب ، ومحيا ، ومحمد الصغير ، وعبد الله ، وعبد العزيز ، وعبد الواحد ،وعبد السلام الأسمر يرجع في نسبه إلى محيا وهو أحد الفواتير السبعة الذين يرتفع نسبهم إلى الإمام علي كرم الله وجه وزوجه فاطمة الزهراء ابنت رسول الله ـ ﷺ ـ ، انظر : أحمد القطعاني ، الآرس في نسب الفواتير من آل أبو فارس ، 18 ، وانظر : جغرافية ليبيا ، ص 447

(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 188

(3)ـ انظر : الطيب المصراتي، فتح العلي الأكبر في تاريخ حياة سيدي عبد السلام الأسمر، ن : دار الكشاف للنشر والطباعة، ط1، 1969م، ص 23، وانظر : الطبقات العروسية الشاذلية، ص 11 .

(4) ـ البرموني، روضة الأزهار، روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار، في جمع البعض من مناقب صاحب الطار، تح : عبد الحميد عبد الله الهرامة، ن : معهد المخطوطات العربية، القاهرة، تاريخ النشر 2009م ، ص 18 .

أما عن صفاته الخُلقية، فهي كما حددها لنا تلميذه البرموني[1] ، بقوله : (كان ـ رحمه الله ـ متوسط القدّ في الغلظ ، ربعة إلى الطول ، جميل الصورة ، آدم اللون لا تمل من النظر إليه، أسود العينين والحواجب والهدوب ، وجهه كأنه يقطر الدهن ، في عينيه وسم وبهاء، خفيف شعر العارضين ، فصيح اللسان عذب الكلام[2] ، كذلك أشار البرموني إلى مظهره الخارجي ، فأفادنا بأنه يرتدي الأبيض من الثياب ، ويتعمم بعمامة غالبًا ما تكون بيضاء ، وفي بعض الأحيان يستبدلها بخضراء اللون ، فيتنقب بها ويرخي عذبتها حتى لا يرى في غالب أحواله إلا عينيه ، وينتعل بالنعل الأصفر الطرابلسي ، وأحيانًا المداسة القيروانية ، كما يلبس الخف والجورب ويتختم بخنصره اليسرى[3] .

المطلب الثالث : وفاته

توفي إثر مرض ألم به ، وكانت وفاته يوم الخميس بعد صلاة العصر، في العشر الأواخر من شهر رمضان ، سنة 981 هـ [4]، وصلي عليه بعد صلاة الجمعة ، عاش من السنين 101، في عمر أمضاه كله ما بين طلب للعلم ، وتعليم له ، وإرشاد وتربية لعباد الله رحمه الله وجزاه كل خير[5] .

---

(1)ـ هو كريم الدين البرموني المصراتي، ولد سنة (893 هـ) وتوفي نهاية القرن العاشر الهجري، وهو من أوائل من كتب عن الأسمر، وكتابه المشهور روضة الأزهار ، انظر : أحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا، ص 157، وما بعدها .

(2) ـ انظر : محمد مخلوف ، تنقيح روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار في مناقب سيدي عبد السلام الأسمر ، ن : المطبعة الحلبية ، القاهرة ، ط 1 ، 1378 هـ ، 1958م، ص 72 .

(3) ـ المصدر السابق ، ص 73.

(4) ـ هذا ما نقله كل من ترجم للأسمر ، وقد وقفت على مخطوطة فيها حصر تركة الأسمر ، بخط يد سيدي صالح بن أبي القاسم أبي راوي ، ذكر فيها أن وفاة الشيخ عبد السلام الأسمر كانت في الثاني والعشرين من جمادي الثاني سنة ، 981 هـ ، والله أعلم بالصواب .

(5) ـ انظر : البرموني ، روضة الأزهار ، ص 150

المبحث الثالث : حياته العلمية

المطلب الأول : طلبه للعلم ومشايخه وتلاميذه

أولا : طلبه للعلم : لما بلغ عمره اثنتي عشرة سنة رحل به عمه أحمد الفيتوري إلى زاوية الدكالي بمسلاته لتلقي العلم الشرعي على يد الشيخ عبد الواحد الدوكالي ، الذي يعد أشهر شيخ له بعد عمه ، وعليه تتلمذ ، وبه تأثر فتلقى عليه أنواع العلوم وضروب الفنون ، فقرأ عليه رسالة ابن زيد القيرواني ، ومختصر خليل في الفقه المالكي ، والحكم لابن عطاء الله الإسكندري ، ودرس عليه التوحيد والمعقول وعنه أخذ التصوف ولازمه سبع سنين حتى صار فقيها متفننا[1] ، ثم أخذ الشيخ عبد السلام الاتصال بالمشايخ ومن بينهم الشيخ عبد الرحمن المسلاتي ،والشيخ فتح الله ابن أبي رأس القيرواني .

ثانيا : مشايخه :

بدأ الأسمر حياته العلمية ، كغيره من تلاميذ ذلك الزمان بالتوجه إلى كتاب قريته لحفظ القرآن الكريم وتشير المصادر التارخية أنه حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ علي بن عثمان الفيتوري[2] ، ثم درس على عدد من علماء بلده الذين كان لهم الأثر البالغ في تثقيفه وتعليمه نذكر منهم :

1 ـ الشيخ عبد الرحمان الوسلاتي[3] .

2 ـ الشيخ علي العوسجي[4] ، ت 925 هـ.

3 ـ الشيخ عبد الواحد الدكالي .

4 ـ الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد الفيتوري[5] .

5 ـ الشيخ محمد عبد الرحمان الحطاب ، ت 945 هـ .

---

(1) ـ انظر : الطاهر الزاوي ، أعلام ليبيا ، ص169، و الجواهر الإكليلية في أعيان ليبيا من المالكية ، ص162 ،163 .

(2)ـ لم أقف له على ترجمة .

(3) ـ النائب ، المنهل العذب ، ج 1 ، ص 64 ، وقد ذكر الأسمر أنه أحد شيوخه ولم أعثر له على ترجمة ، انظر : الوصية الكبرى ، ص 25.

(4) ـ هو علي بن عبد الحميد العوسجي ، مؤدب الصبيان العالم السالك أمير الصالحين ، توفي سنة (925 هـ) ودفن بجامعه بالحرشاء ، انظر : الطاهر الزاوي ، أعلام ليبيا ، ص 208 .

(5) ـ تنقيح روضة الأزهار ، ص 120

6 ـ الشيخ أحمد زروق الفاسي[1] ، ت 899 هـ .

7 ـ الشيخ عبد النبي بن عبد المولى[2] ....الخ .

ثالثا : تلاميذه :

ليس من السهل حصر تلاميذ الأسمر ، فقد صاحبه وأخذ عنه جم غفير ممن اشتهروا بالعلم والأدب والمعرفة، وتميزوا بالصلاح، فكانوا أعلاما في الميادين الثقافية والاجتماعية والعلمية ، ينقل عنهم ويقتدى بهم، ومن تلاميذه :

1 ـ أحمد بن عبد الحميد اليربوعي[3] .

2ـ سالم بن محمد السنهوري المصري[4] .

3 ـ الشيخ عمر بن محمد بن حمودة[5] .

---

(1) ـ لم أجد ممن ترجم للشيخ زروق من قال بأن الأسمر قد تتلمذ عليه ، وكذلك لم يذكر من ترجم للأسمر بأنه قد رحل للشيخ زروق للأخذ عنه ، وإنما قالوا بأنه كان يلتقيه عند زيارته لعمه أحمد الفيتوري وقد توسم فيه الصلاح ، وبذلك يكون الشيخ زروق من معاصر الأسمر ولم يأخذ عنه والله أعلم بالصواب .

(2) ـ المليجي ، على هامش حياة عبد السلام الأسمر ، ص 178 وما بعدها .

(3)ـ هو أحمد بن عبد الحميد اليربوعي المشهور ببحر السماح والكوكب الوضاح ، ولد بالحرشاء وهي قرية من قرى الزاوية الغربية والتحق بزاوية الأسمر فحفظ بها القرآن وسنه لا تزيد على ثماني سنوات وأخذ بها مبادئ العلوم ثم انتقل إلى طرابلس فأخذ عن بعض علمائها ثم ارتحل إلى الأزهر فأخذ عن اللقانيين ولازم ابن حجر الهيثمي وله عنه تقييدات علمية وكثر اعتناؤه بالتهذيب والرسالة والموطأ ثم رجع ولازم شيخه الأسمر مدة من الزمن ينهل من علومه ومعارفه ولما تمتع به من دماثة الخلق وحسن المعشر والسخاء أطلق عليه الأسمر لقب (بحر السماح) توفي رحمه الله سنة 979 هـ 1571 م ، انظر : روضة الأزهار ، ص 450 ، و أعلام ليبيا ، ص 71 .

(4) ـ هو سالم بن محمد السنهوري المصري ، بدأت علاقته بالأسمر بالجدل والإنكار ، إذ سمع عنه وعن أحواله من الشيخ عبد الرحمن المكي الذي زار مصر مرارا والتقى بعلمائها وأخبرهم عن شيخه الأسمر وأحواله ، فلاقت من بعضهم قبولا ومن آخرين إنكارا ، إلى أن وقف عليه السنهوري وعرف حقيقته فلازمه وأخذ عنه التصوف ، وأثنى عليه بقوله : (كان رحمه الله من أجل المشايخ وله شأن عظيم في علم الحقيقة والطريقة) ، انظر : روضة الأزهار، ص 96 وما بعدها .

(5) ـ هو عمر ابن محمد بن حمودة ويكنى بابن حجا ، الطرابلسي مولدا ودارا ، المخزومي نسبا ، كان كان عالما زاهدا عارفا بالله ، وتناوله إسحاق المليجي بالتعريف فقال : ولد رضي الله عنه بطرابلس في 2 محرم عام 902 هـ وهو مخزومي نسبا وكان عالما فقيها ، وكان له في مجلس الأسمر مكان ، وقد أحبه الأسمر وقربه ودعا له، وأمره بأن يقوم بمهمة التعليم وتلقين القاصدين والدارسين ، فقام بما أمره به، وعلم عددا كبيرا، واستمر في ذلك بعد وفاة الأسمر ، وكان كثير العبادة ، إذا نام وضع رأسه بين ركبتيه ذاكرا وإذا قام تابع ذكر الله، وهو أول من أخذ عن الأسمر وقد لازمه فحفظ القرآن الكريم ثم قرأ عليه النحو والفقه، انظر : تنقيح روضة الأزهار ، ص 248 ، وانظر : المليجي ، على هامش سيرة عبد السلام الأسمر ، ص 207 .

4 ـ الشيخ كريم الدين البرموني[1]

5 ـ الشيخ أحمد بن مدين السقفي[2]

6 ـ الشيخ عبد الحميد الكمودي[3]

المطلب الثاني : مكانته العلمية :

لقد حظي شيخنا الأسمر بمكانة كبيرة لدى عامة الناس وخاصتهم ، وتعدت شهرته التراب الليبي ، ومن خلال رسائله يستشعر القارئ المكانة العلمية التي يحظى بها ، فهو يكاد يكون له في كل علم باع ، وعلى كل شاطئ له شراع كما رأينا وتحققنا ، وقد يبدو للوهلة الأولى أن رسائل الأسمر في فنون مطروقة وعلوم مدروسة وهذا صحيح إلى حد ما ، ولكن يجب أن نشير إلى أن رسائل الأسمر ، قد جاءت لتكمل نقصا ما وتستدرك أشياء وأشياء ، مع امتيازها بالعمق والاحاطة والشمول ، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على سعة علم الأسمر واطلاعه واستيعابه لفنون العلم ، فهو بحق رجل فكر واستنباط واستقصاء يشتغل بفكره ، ويبحث بعقله ، ويميل إلى البراهين والأدلة ، ولا يكتفي بالنقل والرواية والحفظ والسماع كالشيخ الغفل .

المطلب الثالث : أقوال العلماء فيه :

قيل في حقه : عبد السلام الأسمر علم صوفي قل نظيره في الجد والسعي إلى السلوك الرباني ويعد بحق مجدد الطريقة العروسية وقيل عالم الشرفاء وشريف

---

(1) ـ هو إمام العلماء العارفين الأخيار وقدوة الفضلاء السالكين الأبرار، العالم الجليل الكبير المقدار، يقول عنه إسحاق المليجي : هو العالم الجليل صاحب روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار كان من العلماء العاملين العارفين بالله السالكين ، انظر : تنقيح روضة الأزهار، ص 222، وعلى هامش حياة عبد السلام الأسمر ، ص 227.

(2) ـ هو أحمد بن مدين السقفي بن شعيب المدفون (بجنذوبة) من أعمال تونس ابن جابر بن شعيب المدفون (بأجم) ابن شعيب السقفي المدفون بالقرب من الزاوية الغربية ، صاحب الأسمر وأخذ عنه ، قال عنه المليجي : كان من أجل أصحاب الأسمر زاهدا عابدا متواضعا ورعًا، طالت مصاحبته للأسمر إلى أن أنهى دراسته فقد عاش 114 عام ، وتوفي ودفن ببلدة (دحمان) ، انظر : المليجي ، على هامش حياة الأسمر ، ص 209 ، وانظر : تنقيح روضة الأزهار ، ص 249 .

(3) ـ هو الفقيه العابد الزاهد الصالح ، كان من العلماء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ، حفظ القرآن الكريم وهو ابن ثمان سنين ، وأخذ العلوم عن أكابر علماء تونس وفاس ورحل إلى المشرق سنة 956 هـ وحج واجتمع بجماعة من العلماء كالناصر اللقاني ثم عاد إلى طرابلس وهناك أخذ عن الأسمر ، وكان متواضعا ، كثير العبادة شديد الورع ولد في العشر الأول من ذي القعدة سنة 905 هـ وتوفي ليلة الجمعة في السابع عشر من شعبان سنة 991 هـ ، ودفن بازاء مسجده الذي أسسه في الزاوية الغربية وقبره مشهور يزار ، انظر : تنقيح روضة الأزهار ، ص 250.

العلماء، صاحب الكرامات، عالي المقامات، الإمام الصادق الشهير بالقطر الطرابلسي[1]

وقيل : الإمام العلامة والحجة الفهامة ، صاحب العلوم اللدنية ، والمعارف القدسية ، الشيخ العارف مستجمع العلوم والمعارف ، إمام أساطين العارفين ، قدوة المريدين ، نبراس السالكين، الشيخ عبد السلام الأسمر[2]

وقيل في رثائه :

أيا فقراء حق لنا البكا لموت إمام عظم الله منشاه

وأعني به شيخ المشايخ كلهم سليل سليم الليث ظاهر مسماه[3]

وقال الشيخ البرموني في رثائه قصيدة بلغت ثماني وعشرين بيتا يقول في مطلعها :

الحمد لله فيما قد قضى ورأى سبحانه من إله ما أراد جرى

إلى أن قال :

من للعلوم ومن يفك رموزها من للحديث ومن للنحو والعبرا

من للبخاري ومن يتلوه في شهر ومن للتفسير والتوحيد والفكرا[4]

وقال سيدي أحمد بن مدين لموت الشيخ :

قلبي حزين ودمع العين منهمل لفقد من كان لي سند ومستند

عبد السلام أخي فلا يشاكله في عصره وطرا أستاذ ومعتمد

إلى أن قال :

---

(1) ـ مصطفى عبد الرحيم أبو عجيلة ، ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا، ن : دار رباح ، مصراتة ليبيا ، ج2 ، ص 48 ، 49 .

(2) ـ انظر : أحمد القطعاني ، القطب الأنور عبد السلام الأسمر ، ن : دار الكتاب الليبي ، بنغازي، ليبيا ، ط 1992 م ، ص 28 .

(3) ـ تنقيح روضة الأزهار ، ص 229 .

(4) ـ انظر : روضة الأزهار ، ص 275.

قد مات والموت حق لجميع الورا وفارقت روحه الأحشاء والجسد[1]

وقال سيدي عبد الحميد ضي الهلال :

فؤادي لا يقر له قرار وأجفاني مدامعها غزار

وليل طال بالأنكاد حتى ظننت الليل ليس له نهار

إلى أن قال :

وأبدلنا به شيخا وفيا سديدا عالما وله أسرار[2]

المطلب الرابع: جهوده العلمية :

لم تقف جهود الأسمر العلمية عند إلقاء الدروس وتربية المريدين فحسب ، بل تعدت ذلك إلى التأليف والتدوين ، وتأتي في مقدمة تآليفه رسائله ووصياه إلى مريديه التي هي مدار هذا البحث ، ونظرا لما تمثله هذه الرسائل من إشعاع علمي في مجال الدعوة وما تضمنته من أساليب في التزكية وقع اختيار الباحث عليها لتكون موضوع هذه الرسالة .

أولا : التدريس

تصدر الشيخ للقيام بعملية التعليم والتربية ، وقدم نموذجا فريدا في التفاني في خدمة العلم لم يعهد إلا عند السلف الصالح أو من سار على طريقهم من الدعاة المخلصين ، قسم فيه دروسه في مختلف العلوم على النحو الآتي :-

الدرس الأول :- في علوم التوحيد ، ويبتدئ من الضحى إلى صلاة الظهر .

الدرس الثاني :- في علوم الفقه ويبتدئ من الظهر إلى صلاة العصر ، كان يدرس فيه كتاب الرسالة لابن أبي زيد القيرواني[3] ، ومختصر خليل في الفقه المالكي

---

(1) - روضة الأزهار ، ص 735 .

(2) - روضة الأزهار ، ص 738 .

(3) - هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن القيرواني ، أحد فقهاء المغاربة ، إمام المالكية في وقته ، لخص المذهب ، من تآليفه : النوادر والزيادات على المدونة ، والرسالة ، توفي سنة (386 هـ) ، انظر : شجرة النور الزكية ، ص 96 .

الذي كان يحفظه عن ظهر قلب[1] .

وأما الدرس الثالث : ففي التربية والسلوك ويبتدئ من صلاة العصر إلى صلاة المغرب ، وكان يشرح فيه كتاب الحكم العطائية لابن عطاء الله الإسكندري

والدرس الرابع : وكان في النحو والمعقول ويبتدئ من صلاة المغرب إلى وسط وقت العشاء[2] ، ولعل أفضل نموذج يمثل شخصية عبد السلام الأسمر العالم المتبحر والكاتب القدير الذي يملك أدوات الكتابة هي رسائله إلى مريديه وخاصة رسالته التي كتبها إلى اتباعه بأفريقية بمنطقة تمبكتوا[3]، بمالي والتي جاء فيها :- ((اعلموا رحمكم الله أن أحق شيء بالتقديم في النصيحة ، الوصية بتقوى الله واتباع سنة رسول الله - ﷺ - ... فأول ما يجب عليكم تصحيح إيمانكم ثم معرفة ما يصلح بكم من فرض العين كالطهارة والوضوء والصلاة ونحو ذلك وتعلموا النحو فإنه زين الكلام وجمال المنطق وقوام اللسان وهو علم من أشرف العلوم ، ويزيد المرء بعلمه فهما وفضلا ويكبره عند العلماء ولا يتم اللفظ أو الشعر إلا به ، وفي الحديث " أعربوا الكلام كي تعربوا القرآن "... وأوصيكم بالحرص على طلب العلم النافع قراءة ومطالعة ومذاكرة لأن علم الدين أفضل ما يحوزه العبد من المراتب العلية وأشرف ما يكسبه العبد من المناقب السنية ، وفي الحديث : " قليل العمل مع العلم كثير ، وكثير العمل مع الجهل قليل "[4] بحسب المثوبة والقبول ، وقال : ﷺ - حين ذكر عنده رجلان أحدهما عابد جاهل والآخر عالم " فضل العالم العامل على العابد غير العامل كفضلي على أدناكم "[5] وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - أنه قال : ما عبد الله بشيء أفضل من

---

(1) - انظر : محمد عز الدين الغرياني ، عبد السلام الأسمر أرآؤه وأفكاره في ميزان الشريعة الإسلامية ، ص10 .

(2) - انظر : المرجع السابق ص 11 .

(3) - تنبكتو مدينة إسلامية قديمة بجمهورية مالي الأفريقية تقع بالقرب من مجرى نهر النيجر كانت حاضرة من حواضر العالم الإسلامي ، انظر : دائرة المعارف الإسلامية ج5 ص 465 ، القاموس الإسلامي ج1 ص 496.

(4) - أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي ، مسند الشهاب ، تح : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، ن : مؤسسة الرسالة – بيروت ، رقم الحديث 1015 ، ج2 ، ص 121.

(5) - رواه الدارمي ، باب فضل العلم والعالم ، رقم الحديث 352 ، ج 1 ص 360 ، والترمذي ، باب فضل الفقه على العبادة، رقم الحديث 2685 ، ج5 ، ص50 ، قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح .

الفقه في الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد جاهل ولكل شيء عماد وعماد الدين الفقه [1]"))[2]

ثانيا : الرحلات :

سوف أحاول أن أتتبع رحلات الأسمر التي قام بها أثناء حياته الدعوية ، وكما هو معروف إن أغلب الدعاة والعلماء لم يمكثوا في أماكن ازديادهم ، بل قاموا برحلات لطلب العلم الشرعي والتزود من العلماء في أغلب الأحيان ، وإذا نظرنا إلى الرحلات التي قام بها الأسمر نجدها تنقسم إلى ثلاث رحلات أساسية وهي : رحلته في طلب العلم ، ورحلته السياحية لتتبع أثار الصالحين ، ورحلته الإقصائية عن بلده .

وهذه هي الخطوط العريضة والرحلات الأساسية في نظري ، وسوف أحاول أن أشرح كل رحلة ودوافعها وما وقع فيها .

أولا : رحلته في طلب العلم

المعروف عن العلماء والدعاة في أول حياتهم العلمية كانوا يدرسون على الشيوخ القريبين منهم في قريتهم أو بلدتهم ، وعندما يتفوقون ويتفرسون ويكسبون ثقة شيوخهم يبعثونهم إلى الأماكن المشهورة بالعلم والتي توجد فيها جوامع وحاضرات علمية ، ويقصدها الطلاب في مرحلتهم الدراسية .

فقد كان دأب الأسمر هو دأب العلماء والدعاة حيث درس في أول مراحله على شيوخ بلده ، والذين كان من بينهم الشيخ علي ابن عثمان الفيتوري[3] الذي حفظ على يديه القرآن الكريم ، ثم جلس إلى كثير من شيوخ بلده ، متلقيًا عنهم ضروب العلم والمعرفة حتى اكتسب قاعدة علمية وشرعية .

وكان الأسمر يظن أن الرحلة في طلب شيخ التربية غير ضرورية جدًا ، وأن الذي يمكث في بلده ويستغني بفقهائها لا يعد ذلك قدحًا في قيمته العلمية حتى بين له عمه أبو العباس أحمد الفيتوري أن شيخ التربية أمر ضروري للمريد ، لذلك قرّر أن يذهب

---

(1) ـ رواه البيهقي في شعب الإيمان ، رقم الحديث 1583 ، ج2 ص266 ، وسنن الدارقطني ، رقم الحديث 3085 ، ج4 ص55 ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه .

(2) ـ علي محمد مختار جوان، نفح الرياحين من رسائل سلطان العارفين للإمام الأسمر ، ن : دار الكتاب الوطني 2007 ف ، ص 123 ـ 125 .

(3) ـ لم أقف له على ترجمه ، وقد عده بعضهم من شيوخ الأسمر .

به إلى الشيخ عبد الواحد الدكالي، الذي انتصب للتدريس بزاوية الشيخ عبد الله الدكالي بمسلاته ليتولى تربيته[1].

فكان لا بد من الرحلة فرحل إلى عاصمة العلم والثقافة آنذاك مسلاته التي كانت تعج بالشيوخ ، والعلماء والفقهاء ، وكان الطلاب يقصدونها من كل الجهات[2] ، فدرس على أشهر شيوخها الشيخ عبد الواحد الدكالي الفقه المالكي واللغة والمنطق والتصوف.

وبفضل اتصال الأسمر بشيخه نجد أنه وجد فيه ضالته التي كان يصبو إليها ، وهي الحصافة والشكيمة وعدم السكوت على الحق والمتابعة للسنة الغراء ، وبعد أن قضى مدة سبع سنوات كاملة في خدمة شيخه الدكالي ، كان خلالها خير مثال للطالب المثالي، الذي لا يعصي لأستاذه أمرا ، ولا يخرج له عن طاعة[3] ، و توطدت العلاقة بينهما من ذو أن أسلكه في طريقته العروسية الشاذلية ، وأمره بنشرها وتلقين المريدين ، قائلا له: (يا عبد السلام اذهب لينتفع بك الناس الشيخ لا يخدم شيخًا)[4] .

بعد هذه الرحلة التي توسعت فيها مدارك الأسمر ومعارفه وتزود بما يكفيه ليكون مدرسا وشيخًا ، وبعد أن أتم الأسمر تحصيله العلمي وتحصل على إجازة شيخه الدكالي ، انتقل يبحث عن شيخ ينهل من علمه ، فتتلمذ على عدد لا بأس به من الشيوخ من أمثال فتح الله ابن أبي رأس القيرواني[5] وكلهم اعترفوا بعلمه وأجازوه ، وهكذا اكتملت رحلته في طلب العلم التي انتقل فيها من زليتن إلى مسلاته ، استطاع من خلالها أن يكوّن ثروة علمية من العلماء والفقهاء ، والكتب التي عكف على دراستها ، وبهذا استطاع أن يعطي لنفسه مكانة علمية وسط أقرانه يحسب له ألف حساب .

---

(1) ـ انظر : المليجي ، على هامش حياة الأسمر ، ص171 .
(2) ـ انظر : عبد السلام الأسمر ، الوصية الكبرى ، ن : مكتبة إحياء الكتب العربية ، طرابلس ، ليبيا ، 1378 هـ ، 1958 م ص 71 .
(3) ـ انظر : على هامش حياة الأسمر ، ص 190 .
(4) ـ عبد السلام الأسمر، الأنوار السنية والمنن البهية في طريق أهل الله الصوفية، ن : دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، مصر ، ط1، 1964م ، ص 14 .
(5) ـ انظر : المليجي ، على هامش حياة الأسمر ، ص 94 .

ثانيا : رحلته السياحية لتتبع أثار الصالحين :

بعد أن أكمل الأسمر تحصيله العلمي ، عاد أدراجه إلى بلدة زليتن ، فوجد والدته قد أضناها المرض ، وكف بصرها ، فلزمها وأقام على خدمتها ، حتى فاضت روحها الطاهرة والتحقت بالرفيق الأعلى ، ثم لم يلبث حتى غادر زليتن سائحًا في أرض الله ، إذ إن السياحة[1] في الأرض تعد وسيلة من وسائل التربية الروحية ، فهي مجاهدة للنفس ، وقطعا لمألوفاتها ، ومغالبة لشهواتها وهذا ولا شك خليق بسموها وتهذيبها[2]

ونتيجةً للإعتقاد السائد آنذاك بأن الفتح من الله لا يكون إلا لمن زار مقامات الأولياء وتعبد في أماكن خاصة ، سار الأسمر سائحا في أرض الله زائرا كل من انتسب إلى الله ، لعله بذلك ينال ذلك المقام الذي أشار إليه النبي ـ ﷺ ـ في الحديث النبوي الشريف (وجبت محبتي للمتحابين فيّ ، والمتجالسين فيّ ، والمتزاورين فيّ والمتباذلين فيّ)[3] ، ومقتبسًا في الوقت نفسه من علومهم وآرائهم ، وملتمسًا دعاءهم وبركاتهم ومتأملا في أحوال المسلمين وما هم عليه ، وكانت نقطة النهاية في سياحته هذه جبل زغوان بتونس[4] ، هذا الجبل الذي يقول عنه ياقوت الحموي في معجمه بأنه (مأوى الصالحين وخيار المسلمين)[5] ، عاد بعده أدراجه إلى بلده زليتن .

---

(1) ـ السياحة : هي رياضة صوفية ، يخرج فيها السالك من موطنه إلى أرض الله الواسعة ، مسقطا للتدبير ، وتاركاً أمره بالكلية لله . وتسمى هذه الرياضة أيضا : السير على التجريد ، محمد بن الشيخ عبد الكريم ، موسوعة الكستران فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان ، ن : دار المحبة ، دمشق ج 11 ، ص 37 .

(2) ـ انظر : المليجي ، على هامش حياة الأسمر ، ص171 .

(3) ـ الإمام مالك ابن أنس ، الموطأ ،كتاب الشعر ، رقم الحديث 2767 ، ج 2 ، ص 402 .

(4) ـ انظر : على هامش سيرة الأسمر ، ص 79 .

(5) ـ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ن : دار الكتاب العربي ، بيروت ، د . ت ، ج 3 ، ص 144 .

ثالثا : رحلته الإقصائية عن بلده :

لم تكد عصى الترحال تستقر بالأسمر في بلده ، حتى ظهرت له معارضة علمائها ، وذلك نتيجة لما اعتراه من حال الجذب التي كان لا يستطيع أن يستريح منها إلا بعد ضرب الدف[1] ، واشتد نكير العلماء عليه ، حتى ألجأه ذلك إلى الخروج من بلده إلى ساحل الأحامد[2] ، ثم إلى طرابلس ليستقر في جامع الناقة[3] ، وما كاد يستريح في خلوته ، وما كادت تنتظم دروس العلم وحلقات الذكر ، حتى تسابق الوشات إلى أسماع الوالي ، أن هاهنا رجل يدعي الولاية وإن لم تخرجه من بلدك ليقلبن عليك ظهر المجن ، وبالفعل قام الوالي بطرد الأسمر من طرابلس ، ليهيم على وجهه بين البلدان ، ولم يهدأ للوشات بال ولم يسترح لهم قرار حتى أجبروا الوالي على أن يسير جيشا بقيادته ليستأصل شأفة الأسمر ، ولكن الله يدافع عن الذين آمنوا ، فقد ظهرت للوالي كرامات هذا الولي حتى استيقن بصحة ولايته ، فبعث إليه رسوله يخيره أن يستقر في أيّ البلدان شاء ، فارتحل الأسمر ومن معه من أصحابه من قلعة سوف الجين في بني وليد ليستقر في مسقط رأسه زليتن ويؤسس بها زاويته العامرة بإذن الله[4] ، وهكذا انتهت رحلة الأسمر الاقصائية .

ونلاحظ أن الأسمر قد ابتلاه الله بعلماء الظاهر في بلده ، الذين شدّدوا عليه النكير ، حتى لم يستطع المقام بين أهله ، فسافر منها إلى طرابلس ، فوجد الوالي أشدّ إنكارا منهم ، فعرف أنه ابتلاء من الله ، لذلك كانت أول خطوة يقوم بها بعد عودته إلى بلده تأسيس زاويته المباركة ليرسخ فيها مبدأ الوسطية والتوازن بين الظاهر والباطن لتحقيق سماحة الإسلام .

---

(1) ـ أرجع إسحاق المليجي سبب رحلة الأسمر الإقصائية إلى أن المنكرين والحاسدين حاربوه ورموه بالسحر والزندقة ، انظر : إسحاق المليجي ، على هامش حياة عبد السلام الأسمر ، ص 102 ، وانظر : محمد أحمد اشميلة ، أثر الشيخ الأسمر في الدعوة إلى الله ، مجلة الجامعة الأسمرية ، العدد 11 ، ص 265.

(2) ـ مدينة على الساحل الليبي إلى الشرق من طرابلس بمسافة (120 كم) وهي بجوار مدينة لبدة الأثرية ، انظر : الطاهر الزاوي ، معجم البلدان الليبية ، ص 179.

(3) ـ من أقدم الجوامع في مدينة طرابلس ، ويرجع سبب تسميته بهذا الاسم إلى أن المعز لدين الله لما سافر إلى مصر سنة (362 هـ) مر بطرابلس ، وقام أهلها بإكرامه فأعطاهم ناقة محملة ذهبا ، فبنوا بها هذا الجامع وسموه جامع الناقة ، انظر : الطاهر الزاوي ، معجم البلدان الليبية ، ص 94.

(4) ـ انظر : على هامش سيرة عبد السلام الأسمر ، ص 172 وما بعدها .

ثالثا : التأليف :

لقد تجاوزت جهود الأسمر إلقاء الدروس والخطب والمواعظ وتربية المريدين ، إلى التأليف والتدوين ، ومن ذلك :

1 ـ كتاب الوصية الكبرى أو وصية المريدين في سر الأولياء والصالحين .
2 ـ الوصية الصغرى لمن أراد الدخول في طريقتنا من الفقراء .
3 ـ كتاب الوصية الوسطى .
4 ـ رسالة مختصرة في العقيدة الإسلامية وأصولها .
5 ـ كتاب العظمة في التحدث بالنعمة .
6 ـ كتاب التحفة القدسية لمن أراد الدخول في الطريقة العروسية .
7 ـ الأنوار السنية في سندي للطريقة العروسية[1]

وحقيقة الأمر أنه لم يصلنا من آثار الأسمر ومؤلفاته العلمية سوى بعضها والتي تعرضت للدس والتشويه من قبل مناوئيه مما جعل بعض الباحثين يشكك في نسبة بعض ما فيها إليه[2] ، باستثناء رسائله التي وصلت إلينا ويرجع ذلك في رأي بعض الباحثين إلى عدم تداولها في بيئة الأسمر ومحيطه ، لأنها وجهت إلى مناطق يبعد بعضها آلاف الأميال ، ولولا الرحلة التي قام بها " البرموني " لتتبع آثار شيخه وتوثيقها ما كنا عثرنا عليها أبدا[3]

---

(1) ـ انظر: البرموني ، روضة الأزهار ، ص 210 .
(2) ـ مصطفى عمران رابعة ، زاوية الأسمر وإشعاعها العقدي والروحي في القرن العاشر الهجري ، رسالة دكتوراه ، تحث إشراف : محمد أمين السماعيلي ، نوقشت في جامعة محمد السادس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، سنة المناقشة ، (1417 ، 1418 هـ ، 1996 ، 1997م) ، ص 157 ، 158 .
(3) ـ المصدر السابق ، ص 157 .

المبحث الرابع : عقيدته ومذهبه الفقهي وتصوفه

المطلب الأول : عقيدته

لقد لعبت تربية الأسمر وتلقيه العلوم الشرعية على يد شيخه عبد الواحد الدكالي دورا بارزا في التزامه بمنهج أهل السنة والجماعة ، يضاف إلى ذلك نشأته في بلد يهيمن عليه المذهب المالكي في عصر يسوده التقليد العقدي والفقهي ، ومن يدقق النظر في رسائل الأسمر وآرائه الاعتقادية يتبين له أنه مسلم موحد، على عقيدة أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتردية ، فهو من أتباع المذهب الأشعري ومن المدافعين عنه بقوة والداعين إليه على علم ويقين بصحته ، ومما يدل على ذلك ما يلي:

1 ـ دعوته لتلاميذه ومريديه لتعلم العقيدة الأشعرية ، فهو يقول : " إذا علمت ذلك فاعلم أني أوصيك بتصحيح إيمانك على ما قرره الإمام الأشعري[1] ، والقدوة إمامنا السنوسي في عقائده "[2]

2 ـ أن رسالته إلى أصحابه بمدينة غريان[3] ، واضحة على تعاطيه وتأييده للمذهب الأشعري ، فقد سعى فيها إلى تقرير أن المذهب الأشعري هو مذهب أهل السنة والجماعة والمطلع على هذه الرسالة يجد أن الأسمر قد قرر أصول العقيدة فيها على منهج الأشاعرة وأن أكثر نقوله فيها من كتاب أم البراهين للإمام السنوسي[4] .

3 ـ تصريح الأسمر في عدة مواضع من رسائله بقوله عليكم بمذهب الأشعري[5]

4 ـ يكاد يجمع المترجمون لحياة الشيخ الأسمر على ذلك ، ولم أطلع على قول مخالف ينفي أن يكون الأسمر أشعري المذهب في العقيدة ، وهذه شهادة للأسمر على أنه على مذهب أهل السنة والجماعة ، وأن عقيدته نقية صحيحة ، ومن هنا فإن إزالة

---

(1) ـ هو أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، مؤسس مذهب أهل السنة والجماعة الأشاعرة ، ولد سنة (260 هـ ، 874 م) بالبصرة ، وتوفي ببغداد سنة (324 هـ ، 936 م ، انظر : الزركلي، الأعلام ، ج 4 ، ص 263

(2) ـ عبد السلام الأسمر ، رسالة إلى راشد بن يحي المحجوبي المقرحي ، ص 140

(3) ـ مدينة ليبية تقع جنوبي مدينة طرابلس بنحو (94 كلم) ، انظر : الطاهر الزاوي ، معجم البلدان الليبية ، ص 245

(4) ـ هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسني ، ولد بتلمسان ، وأخذ عن أشهر علمائها الحسن ابركان ، ومحمد بن قاسم بن تومرت ، ونصر الزواوي ، توفي سنة (895 هـ) ، انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج 8 ، ص 29

(5) ـ انظر : عبد السلام الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 204

اللبس عن هذه المسألة أمر غاية في الأهمية ، قبل عرض منهجه في تناول العقيدة ، لأن انتماءه المذهبي هو المحور الذي تتفرع عنه رؤيته لكل مسائل العقيدة ، وما يزيد الأمر وضوحا أن الأسمر تعمد الإشارة صراحة إلى رفضه للفرق والطوائف المخالفة لأهل السنة والجماعة حيث قال : ((إياكم والأمور التي تؤدي إلى التعزل والتزندق وأفعال القدرية والجبرية وغيرها من الفرق ...))[1]

المطلب الثاني : مذهبه الفقهي

أما ما يتصل بمذهبه الفقهي فمن خلال اطلاعي على رسائله والوقوف على آرائه الفقهية فيها يمكن تحديد مذهبه الفقهي بالنظر إلى الأمور الآتية :

1 ـ أن الأسمر عدّ ضمن علماء المالكية فكل من ترجم له نسبه إلى المذهب المالكي[2].

2 ـ القطر الذي عاش فيه الأسمر وترعرع في حاضنته العلمية كان يهيمن عليه المذهب المالكي ويسوده التقليد المذهبي .

3 ـ بالنظر إلى شيوخه ، حيث أن الأسمر درس على العديد من علماء المالكية الذين عاصرهم[3]

4 ـ من الكتب التي درسها ودرسها في حلقات العلم فهي كلها أو جلها من أمهات المذهب المالكي[4] .

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بالزاوية الغربية ، ص 169 .

(2) ـ انظر : ناصر الدين محمد الشريف ، الجواهر الإكليلية في أعيان ليبيا من المالكية ، ن : دار البيارق للنشر ، ص 161 ، 162.

(3) ـ من أمثال : عبد الواحد الدوكالي ، وأحمد زروق ، وفتح الله أبو رأس ، وأحمد بو تليس ، وأبو راوي الفحل ، وأحمد بن عروس وغيرهم الكثير كما تقدم .

(4) ـ سوف تأتي نماذج لأمهات الكتب التي يستشهد بها الأسمر في مطلب الاحالة على الكتب ضمن مبحث مصادر رسائل الأسمر إلى مريديه .

المطلب الثالث : تصوفه

التصوف كما يقول عنه ابن خلدون[1] : علم التصوف من العلوم الحادثة في الملة وأصله عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن تبعهم : طريق الحق والهداية ، وأصلها : العكوف على العبادة ، والانقطاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق للعبادة وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف ؛ فلما نشأ الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده ، وجنح الناس إلى محالفة الدنيا والهوى ، اختص المقبلون على العبادة باسم : الصوفية والمتصوفة[2] ، فإذا كان الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق هو الأساس لإصلاح الفرد والمجتمع ، فإن كل ما جاء به الإسلام يستند على الأخلاق ، فكل العبادات والمعاملات تهدف إلى جعل المؤمن متخلقا بأخلاق الإسلام ، قال ـ ﷺ ـ

((إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ))[3] ، فالصلاة في الإسلام تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾[4] ، والصيام يغرس في الإنسان الصبر على الحرمات والبعد عن الترف ويربيه على الزهد والتقشف وتحمل الجوع والعطش ، والزكاة تطهر النفس وتزكي القلب قال تعالى : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾[5]، والحج تربية عملية للروح ورياضة مؤثرة في النفس ووسيلة فعالة لاكتساب كثير من الأخلاق والتخلص من كثير من ذميم الصفات ، ففي الحج تربية على الصبر

---

(1) ـ عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، وليّ الدين الحضرميّ الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر: الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة. أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس. رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس ، توفي سنة (808 هـ) ، انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج 3 ، ص 330 .

(2) ـ انظر : ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، مصدر الكتاب : الشاملة ، ص 467 .

(3) ـ البيهقي ، السنن الكبرى ، تح : محمد عبد القادر عطا ، ن : دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات ، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م ، رقم الحديث : 20782 ، ج 10 ، ص 323 .

(4) ـ سورة ، العنكبوت ، آية : 45.

(5) ـ سورة ، التوبة ، آية : 104.

والإخلاص والاستعلاء على شهوات الجسد وإنفاق المال فيما يحبه الله ، والتخلص من الكبر والعجب والغرور وتجاوز الإنسان قدر نفسه وغير ذلك مما هو معروف ومذكور في موضعه في كتب الفقه ، وهكذا بقية العبادات بدوامها تزكو النفس فتدوم فيها معاني الإيمان والتقوى ومنها الأخلاق ، لأن هذه الأخلاق لا تنبت إلا في النفس الزكية ، ولا شيء مثل العبادات بأنواعها المختلفة يزكي النفس ويهيئها لا كتساب الأخلاق الطيبة والتخلص من الأخلاق الرديئة إذا أديت بحق ظاهرا وباطنا ، وفي كتاب الله إشارة إلى هذه المعاني قال تعالى :

﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعاً ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعاً ﴿٢١﴾ إِلا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِين هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾[1]

فإذا كان التصوف دعوة إلى الأخلاق ، فالأخلاق هي جوهر الإسلام وروحه ،كما يقول أبو الحسين النوري[2] : ((ليس التصوف رسوما ولا علوما ولكنها أخلاق))[3]

والرسول ـ ﷺ ـ كان خلقه القرآن ، فقد قالت السيد عائشة ـ رضي الله عنها ـ لما سئلت عن خلق رسول الله ـ ﷺ ـ قالت : ((كان خلقه القرآن))[4] ، فإذا كان الصوفية يعملون على وفق ما جاء به القرآن الكريم وسنة خير المرسلين ـ ﷺ ـ في الدعوة إلى الأخلاق والتحلي بها ، فقدوتهم في ذلك هو رسول الله ـ ﷺ ـ سيد العباد والزهاد ، فكل من ادعى التصوف والدعوة إليه ولم يجعل رسول الله ـ ﷺ ـ قدوته بالمطلق فهو متفسق متزندق ؛ لأن التصوف السليم هو الذي ينبع من روح الكتاب والسنة ، أما غير ذلك من ألوان التصوف التي تجري وراء الفلسفات والخرفات ، فهذه الألوان ليست من الإسلام في شيء ، ولما كانت جميع مقامات الصوفية وأحوالهم التي هي أساس

---

(1) ـ سورة ، المعارج ، آية : 19 ، 23.

(2) ـ أحمد بن محمد أبو الحسين النوري شيخ الصوفية في وقته كان مذكورا بكثرة الاجتهاد وحسن العبادة بغدادي المولد والمنشأ وأصله من خراسان من ناحية بغ كان الجنيد يعظم شأنه توفي سنة 295 هـ ، انظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج 5 ، ص130 ، وانظر : ابن الملقن ، طبقات الأولياء ، ج1 ، ص62 .

(3) ـ السلمي ، طبقات الصوفية ، تح : مصطفى عبد القادر عطا ، ن : دار الكتب العلمية – بيروت ، ط1، 1419هـ 1998م ، عدد الأجزاء: 1 ، ص 167 .

(4) ـ الشيباني ، مسند أحمد ، تح : شعيب الأرنؤوط ، وآخرون ، إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ن : مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 1421 هـ ، 2001 م ، رقم الحديث : 24601 ، ج 41 ، ص 148 .

موضوع التصوف مستندة إلى نصوص من الكتاب والسنة[1] ، كما يقول الدكتور أبو الوفاء التفتازاني[2]

وبالنظر إلى تصوف الأسمر من خلال رسائله ومنهجه في الدعوة إلى تزكية النفس نجده لا يخرج عن إطار منهج الكتاب والسنة في التزكية وكذلك أوراده وأحزابه التي يدعو للتمسك بها مما يجعلنا نحكم عليه بأنه من أعلام التصوف السني المقام على الكتاب والسنة .

نزعة الأسمر الصوفية وعوامل التأثير فيها :

نتيجة لتلك التربية الدينية التي تلقاها الأسمر في طفولته وعلى يد شيخه عبد الواحد الدكالي، من استقامة في الأقوال والأفعال، وقبل ذلك البيئة التي عاش فيها ، وهي بيئة قومه الفواتير فقد كانوا معروفين بالتصوف والسير على منهاجه فخرج منهم الكثير من الأولياء والصالحين الذين كانوا مقصد الزيارة والتبرك عند الكثير من الليبين وغيرهم[3] ، ولما كان متداولا ومنتشرا في محيطه من حكايات الصالحين وكرماتهم، وللاستعداد الشخصي والصفاء الروحي الذي كان يتمتع به الأسمر بحكم فطرته السليمة، ولروح التمسك بالدين والتقاليد الصوفية التي كان يتمتع بها المتصلون بتربيته الأولى، ابتداء من عمه أبي العباس أحمد بن محمد الفيتوري، إلى شيخه ومربيه عبد الواحد الدكالي الذي كان من أهل الولاية والصلاح، إلى غير ذلك من الأشخاص الصالحين الذين كانت للأسمر فرصة الاتصال بهم في أطوار حياته الأولى وكان لهم بالغ التأثير في تكوين اتجاهه الصوفي، وفي حبه للأولياء والصالحين ولسماع سيرهم وحكاياتهم وكرماتهم، وفي وجود المتعة في رفقتهم وزيارة أضرحتهم كل ذلك كان له تأثير في اتجاه الأسمر الصوفي، وقد أخذ هذا الاتجاه الصوفي لدى الأسمر ينمو مع الأيام يغذيه الوسط الذي تربى فيه الأسمر والذي كان مليئا بتوقعات السلوك الصالح

---

(1) ـ انظر : أبو الوفاء التفتازاني ، مدخل إلى التصوف الإسلامي ، ن : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 3 ، ص 39 ، وما بعدها .

(2) ـ شيخ الطريقة الغنيميه وشيخ مشايخ الطرق الصوفية في مصر أبو الوفاء ، من مواليد كفر الغنيمي شرقية في 14 ـ ابريل سنة 1930م، وهو الدكتور واستاذ الجامعة ورئيس قسم الفلسفة والذي أسهم في إنشاء أقسام الفلسفة بجامعات بيروت وقطر وعمان والكويت، وله البحوث والمؤلفات في الفلسفة الإسلامية والتصوف، ومن ذلك كتابه عن ابن سبعين ومؤلفاته عن ابن عطاء الله السكندري، والإنسان والكون في الإسلام، والمدخل إلى التصوف، انظر : موسوعة التصوف ، ص 82.

(3) ـ انظر : على هامش حياة سيدي عبد السلام الأسمر ، ص 163 وما بعدها .

منه[1]، والتزامه بأوامر الدين ونواهيه وسلوكه طريق التقوى مند صباه، واضطراب الحياة السياسية وكثرة الفتن وسوء أحوال المسلمين داخل بلاده وخارجها التي كانت دافعة له للسياحة وتتبع آثار الصالحين من التعبد في جبل زغوان وغيره من الأماكن التي تقصد لزيارة والبركة[2].

ورسائل الأسمر التي هي موضوع هذا البحث تفيد أن الأسمر استطاع أن يحقق نضجا في اتجاهه الصوفي ، كما تفيد أنه كان على دراية واسعة بالاتجاهات والتيارات والطرق الصوفية سواء المقبول أو المرفوض منها من وجهة نظر الكتاب والسنة اللذين يقاس بهما مدى صلاحية أي اتجاه صوفي أو طريقة صوفية .

طريقته الصوفية :

انتسب الأسمر إلى الطريقة العروسية، المنسوبة إلى مؤسسها الشيخ أحمد بن عروس[3]، والمتفرعة عن المدرسة الشاذلية[4]، المنسوبة إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي[5] ، التي بنى أصولها على قراءة القرآن، وتعلم العلم، فكثر منتسبوها،

---

(1) ـ انظر : على هامش حياة سيدي عبد السلام الأسمر ، ص 11.

(2)ـ انظر : روضة الأزهار، ص 100، وانظر: على هامش حياة سيدي عبد السلام الأسمر، ص24

(3) ـ أحمد (أبوالطراير) بن عروس: متصوف تونسي. له نظم ، توفي سنة 868 هـ ، كان من أشهر المشايخ علما وحالا ، دفين المنطقة المشهورة باسمه قرب العاصمة التونسية ، ينظر : فتح العلي الأكبر ، ص 206 ، وانظر : الزركلي ، الأعلام ، ج1 ، ص169

(4) ـ نسبة إلى الإمام أبي الحسن الشاذلي مغربي الأصل ولد عام 593 هـ ، ثم رحل إلى تونس ورابط بجبل زعوان وانتقل إلى مغارة بجبل التوبة فأقام بها وشهرت باسمه ، توفي عام 656 هـ، بقرية حميثرا في صعيد مصر ، وهو في طريقه إلى الحج فقبر هنالك ، ينظر : روضة الأزهار ، ص 34 وما بعدها.

(5) ـ علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف ابن هرمز الشاذلي المغربي، أبو الحسن: رأس الطائفة الشاذلية، من المتصوفة، وصاحب الأوراد المسماة " حزب الشاذلي ، توفي سنة 656هـ ، انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج4 ، ص 305

وتشعبت منها طرق عدة من أبرزها : الجزولية[1]، والزروقية[2] ، والعيساوية[3] ، والعروسية وغيرها[4] .

قد اعترته حالة كان بسببها يغلب عليه الوجد والهيام في حب الله[5] ، فكان يغيب عن وعيه ، ما جعله يتحرك حركات لا إرادية ، عدها من لم يدرك العشق والشوق في الله أنها أحوال اختيارية لا معنى لها ، فاعترض وأنكر عليه بسببها بعض العلماء ، ظنا منهم أن الحالة اختيارية لا جبرية[6] ، وقد اقتنع بعضهم فتراجع عن إنكاره وترك الاعتراض[7] ، ولازامه وأخذ عنه[8]،

المطلب الرابع : أهم الانتقادات التي وجهت إليه :

إن خلاصة ما أورده أولئك الخصوم من الشبه الواهية حول الأسمر أن رموه بالسحر !! ، وهذا مطلب يصعب الخوض فيه خاصة ممن لم يميز بين الكرامة والسحر ، وكيف نفسر ما نقل لنا من كثرة كراماته ؟ !

لابد من التنبيه أولا إلى الفرق بين الكرامة والسحر وذلك لأننا نشاهد بعض المنتسبين للإسلام تجري على أيديهم خوارق للعادات ، مع أنهم مجاهرون بالمعصية ، منحرفون عن دين الله ، فالكرامة لا تكون إلا على يد ولي ،وهو صاحب العقيدة الصحيحة المواظب على الطاعات المجتنب للمعاصي الظاهرة زالباطنة المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات .

---

(1) ـ نسبة إلى العالم محمد الجزولي المغربي الأصل ، صاحب دلائل الخيرات ، ينظر : الزركلي ، الأعلام ، ن : دار العلم للملايين ، ط 15 ، 2002 م ، ج 6 ، ص 151 .

(2) ـ نسبة إلى الشيخ أحمد زروق ، سبق وأن ترجم له ص 6 .

(3) ـ نسبة إلى الشيخ محمد بن عيسى دفين مدينة فاس بالمغرب الأقصى ، قد تم التعريف به ، ص 11.

(4) ـ مثل : الراشدية والدرقاوية والشيخية والعلوية والهاشمية. انظر : أحمد القطعاني ، موسوعة القطعاني الإسلام والمسلمون في ليبيا منذ الفتح الإسلامي ، ن : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس ، ليبيا، ط 1 ، 2012م، ج1، ص 54، وانظر : محمد بن علي السنوسي ، المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق، ن : وزارة الإعلام الثقافة ، ط1، 1968م ، ص 72 ، وانظر : أبو الوفاء التفتازاني ، مدخل إلى التصوف الإسلامي ، ن : دار الثقافة للنشر ، القاهرة ، ط3 ، 1979م ، ص 242 .

(5) ـ انظر : الطاهر الزاوي ، أعلام ليبيا، ن : دار المدى الإسلامي، طرابلس، ط3 ، 2004م، ص 170 .

(6) ـ مثل شيخه عبد الواحد الدوكالي، وسالم الحامدي ، وسعيد التطاوني ، وسالم بن طاهر ، وكريم وكريم الدين البرموني، ينظر : روضة الأزهار ، ص 94 وما بعدها .

(7) ـ انظر : أعلام ليبيا ، ص 170 ، مصدر سابق .

(8) ـ انظر : روضة الأزهار ، ص 93 وما بعدها .

أما الساحر فهو بحاجة إلى تعلم علم السحر ، وكل ما يجري على يديه من خوارق فهو عن طريق الاستدعاء بقراءة طلاسم وعبارات غير مفهومة .

ثم إن الولي لا يسكن إلى الكرامة ، ولا يتفاخر بها على غيره ، لأن صاحب الكرامة لا يستأنس بتلك الكرامة بل عند ظهورها يصير خوفه من الله أشد وحذره من قهره أقوى ، لأنه يخاف أن يكون ذلك من باب الإستدراج أو يخاف مما قد يترتب عليها من الغرور ورؤية النفس فيكون قد انصرف عن الله والطريق الموصلة إليه[1]

وأما صاحب السحر فإنه يستأنس بذلك الذي يظهر على يديه ويظن أنه أوجد تلك الخوارق عن طريق العلم وتسخير الجن[2] والشياطين .

نعم إن التعامل مع الجن ليس جديدا في حياة البشر ولكننا نجد حكايات شائعة بين الناس وبعضها في الكتب تبين لنا مدى التشويه الذي طال هذه الشخصية الفذة ، ومن هذه القصص أو الحكايات التي تنسب إلى الشيخ الأسمر في تعامله مع الجن ما نقله صاحب كتاب (روضة الأزهار) قصة ذكر فيها المؤلف أن الشيخ أرسل الجان لتخليص أسرى ، ومن ذلك يقول البرموني ـ ناقلا عن الشيخ الأسمر ـ : (وكان إذ ذلك بإزائي واحد من صالح الجن زائر لنا فأمرته بتخليصه فخلص على الوجه الذي ذكره)[3]

وقد تكفل الشيخ ـ رحمه الله ـ بالرد على هذا الشبهة فقال : إياكم والاستدراج واتباع نزغات الشيطان اللعين في اليقظة والنوم فإنه يغري المؤمن بالأحلام الكاذبة والصادقة والتأثيرات وهي التي يقول عنها العامة "العربون" ويعمل مكاشفات وقضاء حاجات وارتعاش في الأذكار ...وطيرانا في الهواء ومشيا على الماء وصحبة الناس وغير ذلك وهذه كلها من علامات الاستدراج إذا وقعت من المغرور وهو الذي يكون منكبا على الدنيا ..تابعا لهوى نفسه مجاهرا بالبدعة المحرمة طائعا للناس لا يعبأ بفرض ولا سنة ولا أدب فمن كان هكذا وظهرت منه هذه العلامات فهو مستدرج لا محالة.

وتلك العلامات لا تكون ربانية إلا إذا صدرت من رجل تابع للكتاب والسنة زاهد في الدنيا مستغرق أوقاته بالذكر والعبادة بالشوق والوجد والمحبة قد مزقت قلبه ، وقلبه غائب عن الخلق متعلق بالحق ﷻ فمن كان هكذا وصدرت منه هذه العلامات

---

(1) ـ انظر :عبد القادر عيسى ، حقائق عن التصوف ، ن : دار المقطم ، ط 5 ، ص 295 .

(2) ـ إن مسألة التعامل مع الجن المسلم والاستعانة بهم في فعل بعض الخيرات من فك للسحر وعلاج للمرضى وغيرها ، من الأمور التي اختلف فيها فقهاء المسلمين بين المجيز والمانع ، وعليه فإن هناك فرقا بين الاستعانة بالجن في فعل الخيرات الذي عده البعض من باب الكرامات ، وبين السحر الذي هو الاستعانة بهم في فعل المنكرات الذي قد يؤدي إلى الخروج من الملة ، انظر : الونشريسي ، المعيار المعرب ، ن : دار الغرب الإسلامي ، ج1 ، ص 204 .

(3) ـ روضة الأزهار ص 59 .

فإنها ربانية [1]

وجاء التحذير واضحا في رسالته إلى أصحابه بمالي : (إخواني : وإياكم واتباع علم الكيمياء ، والكنوز ، والجداول ، والتبريج ، والفال ، وتقليب القلوب ... واللعب بالنرد ، والشطرنج كل ذلك من الباطل ، وقد نهانا عن ذلك أهل الطريقة العروسية غاية النهي)[2]

وجاء في الوصية الكبرى من قوله : إخواني : إياكم والسحر فإنه كفر وردة وكذلك عقد الرجل على امرته واستعمال الفراق بين المرأة وزوجها وتحريم التجرية والتماريض والمحبة في غير طاعة الله ، .... وكذلك من الجائز حل العقد ، وقال إمامنا الدوكالي ـ ﷺ ـ لا يجوز لكم حل المعقود وهو المتعرض بالسحر لأنه سحر الأسحار لأن عقد الرجل عن امرأته معدود من السحر الكبير ، ثم قال : إخواني : وإياكم وإقلاب نظر العيون كالشعوذة والحب والتشلويش ... ومن الباطل الخط والتقازة والكهانة والجدول والطلاسم والعزائم والمعجمات التي لا تفهمونها ...إلى أن قال : فمن فعل شيئا من ذلك فليس منا ولا من أهل طريقتنا [3].

فهذه هي عبارات الأسمر واضحة جليه لم تترك لكل ذي شبهة مقال ، ولا لكل ذي دعوة برهان .

---

(1) انظر : تنقيح روضة الأزهار ، ص192.
(2) ـ عبد السلام الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمالي ، ص 248 .
(3) ـ انظر : عبد السلام الأسمر الفيتوري ، الوصية الكبرى ، ن : مكتبة النجاح طرابلس ـ ليبيا ، ص 17 .

ثانيا : التعريف بمفاهيم الدراسة :

لما كان موضوع البحث يتحدث عن المنهج الدعوي للشيخ عبد السلام الأسمر من خلال رسائله إلى مريديه ، فلابد أولا من التعريف بعدة مفاهيم تدور حول كلمة الرسائل ، و هي محور البحث والتحليل ومنها : الرسالة ، والمنهج ، والدعوة

فالرسالة كتابة ، والكتابة نثر وشعر ، والنثر مدمج في رسالة ، والرسالة لها افتتاح بأساليب وختام بأساليب أخرى ، ولها أغراض كتبت من أجلها ، وأرسلت في شأنها ، ثم إن الرسالة تحدث تأثيرا في القارئ ، كما يمكن من خلالها أن نتعرف على شخصية المرسل وقدراته العلمية من أجل كل هذه المفاهيم المترتبة على بعضها والمتوقفة على أجزائها كان حري بالباحث أن يعرف الكتابة أولا[1]

المبحث لأول : تعريف الكتابة

المطلب الأول : تعريف الكتابة لغة : الكتابة في اللغة مأخوذة من الفعل الثلاثي " كتب " وكتب الشيء يكتبه كتبا وكتابا وكتابة ، وكتبه أي خطه ، والكتاب مصدر ، والكتابة لمن تكون له صناعة مثل الصباغة والخياطة[2] ، وهي خط الكاتب على القرطاس ما يريد إبلاغه لغيره أو حفظه من النسيان[3] ، وقد شاع استعمال الكتابة بمعنى تصوير اللفظ بحروف هجائية لأن فيها جمع صور الحروف وأشكالها[4]

---

(1) ـ انظر : حواش ، محمد أحمد حواش الحسانين ، رسائل علماء المسلمين في العصر العباسي الأول ، تحقيق ودراسة دعوية ، رسالة دكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية ، نوقشت بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية ـ بطنطا ـ تحث إشراف : محمد أبو زيد الفقي ، سعيد محمد الصاوي ، سنة المناقشة : 1425 هـ ، 2004 م ، ص 37

(2) ـ انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي ، ن : دار صادر ـ بيروت ، ط1 ، عدد الأجزاء 15 ، ج1 ، ص 699 .

(3) ـ انظر : محمد فريد وجدي ، دائرة المعارف القرن العشرين ، ن : دار المعرفة ـ بيروت ، لبنان ، ط2 ـ 1971 م ، ج8 ، ص 44 .

(4) ـ انظر : الكفوي، أيوب بن موسى الحسني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي " ت 1994 هـ " ، الكليات ، ن : مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، د ـ ن ـ س، تح : عدنان درويش ـ محمد المصري ، ج 1 ، ص 768

المطلب الثاني : تعريف الكتابة اصطلاحا : ـ

الأصل في الكتابة النظم بالخط وفي المقال النظم باللفظ لكن قد يستعار كل للآخر والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيه[1]

أما من يقوم بالكتابة فهو الكاتب، والجمع كُتّاب وكتبة من حرفتهم الكتابة ، وليس كل متمكن من الكتابة مرسلا جيدا، فلابد له من مراعاة عدة أمور من جهة شخصية المكتوب إليه ودينه واعتقاده ومذهبه وفكره ، وتختلف الكتابة كذلك باختلاف الطرفين أعني الكاتب والمكتوب إليه ، فالكتابة لمعاند مستكبر ليست كالكتابة لخال الذهن مستعد للتصديق ، والكتابة لملك أو أمير أو وزير يأتمر بأمره خلق كثير ليست كالكتابة لشخص عادي والكتابة لعالم متبحر ليست كالكتابة إلى مجرد قارئ عادي غير متخصص فيما كتب إليه[2]

فالكتابة فن من فنون الإقناع يجب على الكاتب أن يراعي فيها أحوال المكتوب إليهم ، فيخاطب الناس على قدر عقولهم ، تصديقا وعملا بقوله ـ ﷺ ـ ((أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم))[3] ، وقريب منه قول علي ـ رضي الله عنه ـ ((حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ))[4] ، ومن هنا كانت الحاجة ملحة لمعرفة المنهج الذي سار عليه الأسمر في مخاطبة المدعوين ومراتب أساليبه في الخطاب الدعوي التي استخدمها لإقناع مريديه .

المطلب الثالث : مكانة الكتابة في الشريعة الإسلامية : ـ

إن للكتابة فضلا عظيما وشرفا كبيرا وقدرا رفيعا ومكانة سمية ، وأعظم شاهد لجليل قدرها وأقوى دليل على رفعة شأنها أن الله تعالى نسب تعليمها إلى نفسه ، واعتده من

---

(1) ـ انظر : المناوي ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، التوقيف على مهمات التعاريف ، ن : دار الفكر المعاصر ، بيروت، ديمشق ، ط1 ،1410 هـ ، تح : د : محمد رضوان ، ج1 ، ص 600.

(2) ـ انظر : حواش ، رسائل علماء المسلمين في العصر العباسي الأول ، ص 38 .

(3) ـ السيوطي ، جامع الأحاديث، (ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطى والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوى، والفتح الكبير للنبهانى) ، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف ، د . على جمعة (مفتي الديار المصرية)، رقم الحديث 5414 ، ج6 ، ص 401 ، وأخرجه الديلمي تحت رقم 1611 ، ج1، ص 398 ، قال عنه العجلوني : ضعيف ، مصدر الكتاب الشاملة

(4) ـ البخاري ، صحيح البخاري ، ، تح : محمد زهير بن ناصر الناصر ، ن : دار طوق النجاة (ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، ط1 ، 1422هـ ، رقم الحديث 127 ، ج 1 ، ص 37.

وافر كرمه وإفضاله فقال تعالى : ﴿إِقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[1] ، وفي ذلك من الاهتمام بشأنها ورفعة محلها ما لا خفاء فيه ثم بين شرفها بأن وصف بها الحفظة الكرام من ملائكته فقال جلت قدرته : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَاماً كَٰتِبِينَ ۝١١﴾[2] ، ولا أعلى رتبة وأبذخ شرفا مما وصف الله تعالى به ملائكته ونعت به حفظته ثم زاد ذلك تأكيدا ووفر محله إجلالا وتعظيما ، بأن أقسم بالقلم الذي هو آلة الكتابة وما يسطر به ، فقال تقدست أسماؤه : ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾[3] ، فقد نبه ﷻ على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لأن بالكتابة ضبطت العلوم ، ودونت الحكم وبها عرفت أخبار الماضين، وأحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة ما استقام أمر الدين والدنيا[4] ، قال قتادة: العلم نعمة من الله عظيمة ، ولولا ذلك لم يقُم دين ، ولم يصلح عيش ، فدل على كمال كرمه تعالى ، بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ، ونبَّه على فضل الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو، وما دونت العلوم ، ولا قيدت الحكم ، ولا ضبطت أخبار الأولين، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة[5] ، ((وكفى بالكتابة شرفا ، أن تكون في أول الآيات نزولا وأن تكون للملائكة الكرام سمة وصفة ، وأن تكون أداة لقسم أقسم به الحق تبارك وتعالى))[6]

---

(1) - سورة العلق، آية : 3 - 5.
(2) - سورة الانفطار، آية : 10 - 11 .
(3) - سورة ، القلم، آية : 1.
(4) - انظر : الخازن ، لباب التأويل في معاني التنزيل ، تح : تصحيح محمد علي شاهين ، ن : دار الكتب العلمية – بيروت ، ط : 1 ، 1415 هـ ،ج 4 ، ص 448.
(5) - انظر : أبو حفص سراج الدين الحنبلي الدمشقي النعماني ، اللباب في علوم الكتاب، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ن: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط: 1 ، 1419 هـ - 1998م ، ج 20، ص 415.
(6) - محمد أحمد حواش ، رسائل علماء المسلمين في العصر العباسي الأول ، ص 39 ، مصدر سابق

المبحث الثاني : تعريف الرسالة

إن الرسالة بديلة عن سفر صاحبها المسافات النائية وهي سفيرة له في الأماكن البعيدة[1] ، ((وهي عند الإنسان قديمة قدم الانسان عينه ، تشهد له في سياق التطور ، ولم تكن في بادئ الأمر متلازمة مع الكتابة بل كانت بنت الشفة والأذن))[2] ، ((ومنذ أن اتسعت الرقعة التي يعيش عليها الإنسان من الأرض وأحس بأهمية الاتصال بالآخرين نشأت الرسالة لكي يعبر بها عن رغباته وأهدافه التي يطمح أن يطلع عليها غيره بهدف تحقيق مصلحة ذاتية أو مصالح مشتركة ، ولهذا عدت الرسالة من وسائل الاتصال القديمة والحديثة ... ومن هنا فلا نستطيع أن نحدد بداية تاريخية للرسائل المكتوبة ؛ لأنها موازية للكتابة نفسها ، فالرسائل الكتابية قديمة قدم الكتابة ، لذلك فهي لم تكن شائعة الاستعمال ، متيسرة الذيوع ، نظرا للصعوبات التي كانت ترافق عملية الكتابة ، خصوصا في مرحلة كتابة ما قبل التاريخ ، حيث لم يكن الورق متداولا إلا عند قلة قليلة ، وكانت ألواح الآجر وورق البردي المصنوع من سعف النخيل وبعض العظام قراطيس تلك المرحلة الزمنية))[3] ، وبمبعثه ـ ﷺ ـ تعددت أهداف الرسالة وزادت وظائفها ، وأصبحت الرسالة لا تقتصر على مجرد التهنئة والتعزية ، أو تدبيج قصيدة مدح أو أبيات قدح ، طلبا لمال أو حرصا على مصلحة شخصية ، ولكن الرسالة في عهده ـ ﷺ ـ حملت لواء الدعوة الإسلامية إلى مشارق الأرض ومغاربها وأصبح فن كتابة الرسائل الدعوية سنة متبعة من عهده ـ ﷺ ـ إلى يومنا هذا[4]

فالرسالة من الوسائل المهمة في تبليغ الدعوة إلى الله تعالى، وهكذا كانت دعوته ـ ﷺ ـ فقد كان يدعو بنفسه وبرسائله وكتبه حتى بلغ رسالة ربه، وأودع أمانة الدعوة من بعده إلى صحابته والتابعين والدعاة العاملين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

ولقد استخدم العلماء والدعاة وسيلة إرسال الرسائل إلى أفراد المجتمع وطبقاته كافة، فأرسلوا رسائل إلى الخلفاء والأمراء، ورسائل إلى غيرهم من أفراد المجتمع الإسلامي على اختلاف مستوياتهم وطبقاتهم العلمية والاجتماعية .

وكانت رسائلهم تعالج موضوعات متعددة، وتسعى إلى تحقيق أهداف وغايات مختلفة،

---

(1) ـ انظر : حواش ، رسائل علماء المسلمين في العصر العباسي الأول ، ص 44 مصدر سابق .

(2) ـ محمد توفيق، كتابة االرسائل علم وفن، ن : دار النفائس، الأردن، ط1، 1412 هـ ، 1992م ، ص 9 .

(3) ـ محمد سليمان فرج، رسائل الخلفاء الراشدين في مجال الدعوة، رسالة دكتراه، سنة المناقشة : 1410 هـ ، 1980 م، ص 16 .

(4) ـ انظر : كتابة الرسائل علم وفن ، ص 15.

وتتنوع في الغالب إلى[1] :

1 ـ الرسائل الوعظية

2 ـ الرسائل الجوابية

3 ـ الرسائل التوضيحية

المطلب الأول : تعريف الرسالة لغة :ـ

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس[2] : ((الراء والسين واللام)) أصل مطرد منقاس ، يدل على الانبعاث والامتداد [3] ، وقال ابن منظور [4] : الإرسال في اللغة : ((التوجيه ، والاسم منها الرسالة والرسالة " بالفتح والكسر "))[5]

والرسالة : ـ هي كتاب يشتمل على قليل من المسائل تكون في موضوع واحد ... ورسالة الرسول ما أمر بتبليغه عن الله ودعوته الناس إلى ما أوحي إليه ، ورسالة المصلح ما يتوخاه من وجوه الإصلاح[6]

وقال ابن دريد [7] : الرسالة : ((ما حمله الرسول ، والجمع رسائل ورسالات)) [8]

هذا وقد وجدت عدة ألفاظ ترادف مصطلح الرسالة ؛ كالكتابة ، والصحيفة والألوكة ،

---

(1) ـ انظر : سليمان بن عبد الله بن منصور الحبس ، رسائل الدعوة وأساليبها في العصر العباسي الثاني ، رسالة دكتوراه تحث اشراف : د . فضل إلهي بن شيخ ظهور إلهي ، سنة المناقشة 1417 هـ ، ص 38 .

(2) ـ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازيّ، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب (329 - 395 هـ،941 - 1004م) ، انظر : الزركلي ، الأعلام ، ، ن : دار العلم للملايين، ط 15، أيار ، مايو 2002م ، ج 1 ، ص 193.

(3)ـ انظر : أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ن : دار الجيل بيروت، ط1، ت : 1411 هـ ، ج 2 ، ص 372 .

(4) ـ محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (630 - 711 هـ = 1232 - 1311م) ، صاحب (لسان العرب) ، انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج 7 ، ص 108 .

(5) ـ ابن منظور، لسان العرب، ن : دار الفكر بيروت، ط 1، ت : 1410 هـ ، ج 1، ص 283.

(6) ـ انظر : إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، ن : دار الدعوة ، تح : مجلة اللغة العربية ، ج 1 ، ص 344 .

(7) ـ محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، من أزد عمان من قحطان، أبو بكر: من أئمة اللغة والأدب، (223 - 321 هـ ، 838 - 933م) ، انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ن : دار الحديث- القاهرة ، الطبعة2 : 1427هـ - 2006م ، ج 11 ، ص 398.

(8) ـ ابن دريد الأزدي ، جمهرة اللغة ، ن : دار العلم للملايين ، بيروت ، تح : رمزي منير بعلبكي، بعلبكي، ط 1، ت 1987م ، ج 2 ، ص 720.

وهي جميعا تدل على التخاطب بلسان القلم[1]

المطلب الثاني : تعريف الرسالة اصطلاحا : ـ

الرسالة : ((هي الكلام الذي أرسل إلى الغير ، وخصت في اصطلاح العلماء بالكلام المشتمل على قواعد علمية ، والفرق بينها وبين الكتاب على ما هو مشهور إنما هو بحسب الكمال والنقصان والزيادة والنقصان ، فالكتاب هو الكامل في الفن والرسالة غير كاملة فيه))[2]

والرسالة في المفهوم الإعلامي : هي الركن الرابع من أركان العملية الإعلامية ، وهذه الأركان هي :

1 ـ المرسل : ويسمى القائم بالاتصال ، أو منشئ الرسالة ويعد الإنسان هو العنصر الأساسي في عملية الاتصال .

2 ـ المستقبل : ويسمى المتلقي أيضا .

3 ـ الأداة : وتسمى الوسيلة .

4 ـ المضمون : ويسمى " الرسالة " والموضوع.[3]

المطلب الثالث : أنواع الرسالة : ـ

لقد اختلف العلماء في تقسيم الرسائل تبعا لجهة إرسالها أو موضوعها ، فأما من جهة موضوعها فتنقسم إلى ثلاثة أقسام :

1 ـ الرسائل الأهلية أو الإخوانية .

2 ـ الرسائل المتداولة .

3 ـ الرسائل العلمية ، وسيأتي الكلام عليها

أما من جهة إرسالها ، فإنها تكون موجه إلى ثلاثة أصناف ، إما السلاطين ، وإما العامة ، وإما العلماء[4].

ولقد صنف العلماء الرسائل إلى عدة أصناف منها : ـ

---

(1) ـ انظر : إميل بديع يعقوب، وميشال عاصي ، المعجم المفصل في اللغة والأدب ، ن : دار العلم للملايين ، بيروت لبنان، ط1، 1987م، ج 1، ص 381.

(2)ـ محمد على التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، ن : مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1996م ، ج 1، ص859.

(3) ـ انظر : آلاء أحمد هشام، ومصباح عمار، الاعلام في ضوء القرآن ـ رسالة ماجستير ، تحث إشراف : د : عبد السلام حمدان عودة اللوح ، تاريخ المناقشة : 1430 هـ، 2009م ، ص 12، 16.

(4) ـ انظر : أحمد الهاسمي ، جواهر الأدب في أدبيات وانشاء لغة العرب ، تح : لجنة من الجامعيين ، ن : مؤسسة المعارف ، بيروت ، د، ن : ط ، ج1 ، ص 45.

الصنف الأول : الرسائل الملوكية : وهي على ضربين :
الأول : رسائل الغزو ، وهي أعظمها وأجلها .
الثاني : رسائل الصيد .
الصنف الثاني : رسائل المدح والتقريض.
الصنف الثالث : رسائل المفاخرات .
الصنف الرابع : رسائل الأسئلة والأجوبة .
الصنف الخامس : رسائل الحوادث والمجريات [1]

ثم نعود للحديث عن الرسائل باعتبار موضوعها بشيء من التفصيل ، وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام : ـ

1 ـ الرسائل الأهلية : ((وتعرف برسائل الأشواق ـ وهي ما دارت بين الأقارب والأصدقاء ، وأسفرت عن مكنون الوداد وسرائر الفؤاد ، ولا حرج على الكاتب إذا بسط فيها الكلام على أحواله ، وأخفى السؤال في أحوال أصحابه))[2] .

وتتفرد هذه الرسائل بأن يطلق الكاتب فيها العنان للأقلام ويتجافى عن الكلفة ، ويعدل في الانقباض ، وقد قيل : " الأنس يذهب المهابة ، والانقباض يضيع المودة "[3]

ومع هذا لابد من مراعاة مقتضى الحال ، والاعتصام بركن الفطنة أخذا بقول أبي الأسود الدؤلي[4] :

((لا ترسلن رسالة مشهورة لا تستطيع إذا مضت إدراكها))[5]

وإلى هذا الباب ترجع مكاتبات الشوق والتعارف قبل اللقاء ، والهدايا ، والاستعطاف والاعتذار وغير ذلك[6]

2 ـ الرسائل المتداولة : وهي تتفرع إلى ثلاثة أقسام باعتبار الغرض المقصود :

---

(1) ـ انظر : أحمد بن علي بن أحمد القراري القلقشندي ثم القاهري ، صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، ن : دار الكتب العلمية ـ بيروت ، عدد الأجزاء 15 ، ج1 ، ص 58 وما بعدها.
(2) ـ جواهر الأدب في أدبيات وانشاء لغة العرب ، ج 1 ، ص 45 ، مصدر سابق.
(3) ـ الزمخشري ، المستقصى في أمثال العرب ، ن : دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987م ، ج 1 ، ص 303 .
(4) ـ هو ظَالِم بن عَمْرو بن سُفْيَان وَيُقَال ابْن عمر ، انظر : التنوخي ، تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم ، تح: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو ، ن : هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة ، ط: 2 ، 1412هـ - 1992م ، ج 1 ، ص 164.
(5) ـ أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، ن : دار الفكر - بيروت ، ط 2 ، تح : سمير جابر ، ج 12 ، ص 383.
(6) ـ انظر : جواهر الأدب في أدبيات وانشاء لغة العرب ، ج 1 ، ص 45 ـ 46 ، مصدر سابق.

1 ـ أن يقصد بها أمور الكاتب
2 ـ أن يقصد بها أمور المكتوب إليه
3 ـ أن يقصد بها غرض آخر
فالأول : يشتمل على الرسائل التجارية والطلب والشكر والاعتذار
والثاني : يشتمل على رسائل النصح والملامة والإخبار والتهنئة والتعزية والأجوبة .
والثالث : يشتمل على رسائل الوصيا والشفاعات[1]

3 ـ الرسائل العلمية : ـ
وهي الكتابة التي تكتب بأسلوب علمي خاص بالعلم الذي يؤدي بها حافلة باصطلاحات هذا العلم ، مراع فيها الترتيب العقلي والقياس المنطقي وتحرير العبارة من الحشو والفضول، ووضعها بطريقة تناسب ، إما المبتدئين وإما المنتهين وهي المسماة بالكتابة التأليفية أو كتابة التصنيف والتدوين ولا يقصد بالكتابة التي يراد بها مجرد التفاهم بل الكتابة الفنية التي يزاد على أصل الغرض منها التأنق فيها وإخراجها في صورة كلامية بديعة أو محكمة تحدث في النفس ارتياحا لها أو إعجابا بها وهي الرسائل المتعلقة بعلم من العلوم أو بتأليف في مختلف العلوم أدبية أو علمية دينية أو دنيوية أو رسائل من علماء إلى ملوك ورؤساء وأمراء أو إلى أمثالهم وأندادهم من العلماء وطلبة العلم والعوام من الناس ، ومن ضمن ذلك الرسائل التي ألفت لأجل الدعوة والوعظ والإرشاد لمن وجهت إليه سواء أكان أولئك حكاما أو تلاميذا أو علماء أو غيرهم من طبقات الناس[2].

المطلب الرابع : مشروعية استخدام الرسائل بوصفها وسيلة دعوية :
لقد سبقت الإشارة في مقدمة هذا البحث إلى أن من أهم أسباب اختيار هذا الموضوع هو لفت انتباه الدعاة وحثهم على إحياء هذه الوسيلة الدعوية المهة التي كان لها أثر عظيم في نجاح دعوة المصطفى ـ ﷺ ـ وانتشارها وهي وسيلة المراسلة التي غفل عنها الكثير من الدعاة اليوم رغم مشروعيتها وكثرة مجالاتها وتنوعها لذلك كان جدير بالباحث أن يسوق بعض النصوص من الكتاب والسنة الدالة على مشروعية هذه الوسيلة ، ومن تلك النصوص ؛ ما جاء في القرآن الكريم في قصة نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ عندما جاءه الهدهد بخبر ملكة سبأ وقومها ، الذين كانوا يسجدون للشمس من دون الله ، فما كان من نبي الله سليمان إلا أن قام بواجب الدعوة ، مستخدما إحدى

(1) ـ انظر : جواهر الأدب ، ج1 ، ص 55 مصدر سابق .
(2) ـ انظر : رسائل علماء المسلمين في العصر العباسي الأول ، ص 53 .

وسائلها الناجحة ؛ ألا وهي وسيلة المراسلة[1] ، قال تعالى على لسان نبيه سليمان عليه السلام ﴿إِذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾[2]

والمتأمل لهذه الأية يجد أنها لم تقتصر فقط على بيان مشروعية استخدام وسيلة الرسالة لتبليغ الدعوة بل تجاوزت ذلك إلى الإشارة إلى بعض ما يستحب للداعية أن يلتزم به في رسائله الدعوية، مثل البداءة بالبسملة وتقديم اسم الكاتب للرسالة والإيجاز والوضوح[3]، ولقد استنبط بعض العلماء عدة قواعد من هذه الآية منها : ((مشروعية كتابة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ على الرسائل والكتب المهمة، ذات البال لدلالتها على توحيد الله تعالى، وأنه رحمن رحيم، وأن الكاتب إنما يكتب بإذن الله تعالى له بذلك))[4]

وأما الشواهد على مشروعية هذه الوسيلة من السيرة النبوية فكثيرة جدا ، منها ما كتبه النبي ـ ﷺ ـ بغرض الدعوة إلى الإسلام إلى كسرى وقيصر والنجاشي وغيرهم يدعوهم فيها إلى الإسلام ، فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ ((كتب قبل موته إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله ...))[5] ، كما استخدم النبي ـ ﷺ ـ الكتب والرسائل لأغراض أخرى مثل التشريع والمعاهدات والصلح وتوزيع الغنائم ولتوجيه عماله في النواحي وبيان بعض الأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات ؛ ومن ذلك رسالته ـ ﷺ ـ إلى عمرو بن حزم حين استعمله على نجران بعد أن أسلم بنو الحارث بن كعب، وأول الكتاب جاء فيه :

((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هذا كتاب من الله ورسوله ...ولقد جاء في هذا الكتاب أحكام تتعلق بالطهارة والصلاة والزكاة والحج وغيرها من الأحكام الشرعية في العبادات

---

(1) ـ انظر : عبد الرحمن بن سعدي ، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ن : الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، سنة النشر 1410 هـ ، ج5 ، ص 576، بتصرف .

(2) ـ سورة ، النمل ، آية : 28.

(3) ـ انظر : شهاب الدين الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تح : علي عبد الباري عطية، ن : دار الكتب العلمية ، بيروت، ط 1، ج 10، ص 190، وتفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن سعدي، ن : الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، سنة النشر 1410 هـ ، ج5 ، ص 576 .

(4) ـ الجزائري ، أيسر التفاسير، ن : مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنوره ، ط5 ، 1424 هـ ـ 2003 م ، ج4 ، ص 18 .

(5) ـ الترمذي ، سنن الترمذي ، ن : دار إحياء التراث العربي، بيروت ، تح : أحمد محمد شاكر وآخرون ، رقم الحديث 2716 ، ج5 ، ص 68 ، وانظر : مسند أحمد ، رقم الحديث 20667 ، ج34 ، ص 266 .

والمعاملات))[1]

وقد سار الخلفاء الراشدون ـ رضوان الله عليهم ـ وكذلك الولاة من بعدهم على هذا المنهج المبارك، فاستخدموا وسيلة المراسلة واعتنوا بها عناية شديدة خاصة بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية [2]

المطلب الخامس : أهمية وسيلة الرسائل في الدعوة إلى الله

تعد وسيلة إرسال الرسائل من أهم وسائل الدعوة إلى الله حيث إن الداعية يتمكن من خلالها تبليغ ما لديه من دعوة إلى الناس كافة على اختلاف مستوياتهم وطبقاتهم فيتمكن من مخاطبة المسلم وغير المسلم والحاكم والمحكوم والعالم والجاهل والشريف والوضيع والقريب والبعيد ... وبنظرة سريعة إلى سيرة نبينا وقدوتنا محمد ـ ﷺ ـ نجده ومنذ أن مكنه الله ﷻ وعقد الصلح مع قريش سنة ست من الهجرة ، وهدأت الأحوال تفرغ لإبلاغ هذا الدين إلى كل من يستطيع إبلاغه من ملك أو أمير ونحوهم من ذوي السلطة والرئاسة داخل وخارج جزيرة العرب[3]

فأخذ ـ ﷺ ـ يستخدم وسيلة إرسال الرسائل لتبليغ دعوة الله تعالى التي أمر بها امتثالا لقوله تعالى : ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾[4]

ولقد أدرك الأسمر أهمية الرسائل بوصفها وسيلة دعوية لها تأثير كبير في المدعوين فأولاها عناية خاصة ، فكان ـ رحمه الله تعالى ـ يبعث بالرسائل إلى العلماء وطلبة العلم من مريديه مع التأكيد على أن هذه الرسائل غير موجهة لهم وحدهم بل هي لعامة المسلمين[5] ، ولم تكن جميع رسائل الأسمر موجهة إلى أشخاص هم على درجة

---

(1)ـ ابن كثير ، البداية والنهاية ، تح : عبد الله عبد المحسن التركي بتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر ، ن : هجر للطباعة والنشر ، الجيزة ، ط1 ، 1417 هـ ، 1997 م ، ج 7 ، ص 321 .

(2) ـ انظر : عبد الله أحمد باقاري، الإتجاهات النثرية في القرنين الثاني والثالث للهجرة ، رسالة دكتوراه، تحث إشراف : د : محمود حسن زيتي، سنة المناقشة 1403 هـ ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية، وانظر : وهبة الزحيلي ، آثار الحرب في الفقه الإسلامي ، ن : دار الفكر ، د ـ ن : ط ، ص 322 .

(3) ـ انظر : وسائل الدعوة وأساليبها في العصر العباسي الثاني، ج1، ص 36 ، مصدر سابق .

(4) ـ سورة ، المائدة ، آية : 69.

(5) ـ انظر : عبد السلام الأسمر ، رسالة إلى عبد الحميد بن علي العوسجي ، ص166 .

واحدة من العلم والفقه ، بل كان من ضمن من وجه رسائله إليهم العلماء[1] ، والعامة وطلبة العلم ، وكان الأسمر يصدرها غالبا بقوله : ((بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ، من العبد الفقير إلى الله عبد السلام بن سليم الفيتوري الطرابلسي ، أما بعد : فهذه نصيحة مني إليكم بأن تقبلوها وتعملوا بها ...))[2]

المطلب السادس : الدواعي والأسباب لكتابة الرسائل :

يتضح لنا جليا من خلال قرءاة نص الرسائل أن موجب إرسال الأسمر رسائله إلى مريديه كان في الغالب هو كتابتهم إليه ليخصهم بالنصيحة والتذكير كما ذكر ذلك في مطلع بعض رسائله فقال : ((سألت مني أيها المحب أن أنصحك ، وخير الوصايا وأنفعها وصايا الله التي أوصى بها عباده في كتابه ووصايا رسول الله ـ ﷺ ـ فعليك بقبولها والأخذ بها تسعد وترشد وتفلح وتنجح ...))[3] ، ((وقد طلبت مني أكرمك الله بتوفيقه ، وجعلك من خاصة السالكين لطريقه أن أكتب لك نصيحة وجيزة مناسبة لحالك ، ليكون ذلك فيها أنس تام وفائدة ، وبها انتفاع ومنها عائدة ، وقد أجبتك لذلك راغبا في انتفاعك ودعائك))[4]

وكان المقصد من وراء إرسال رسائله هو توعية المسلمين بأمور دينهم ودعوتهم إلى العمل بما جاء في الكتاب والسنة المطهرة حتى تزكوا نفوسهم .

المبحث الثالث : وصف رسائل الأسمر :ـ

إن الناظر إلى رسائل الأسمر من أول وهلة ، يجده يؤصل للمسائل والأحكام ويدلل عليها ، وعلى كلامه ولا يتركه هباء منثورا دون دليل ، لأن الكلام إذا لم يدلل عليه ولم يؤصل له يكون عديم التأثير والفائدة ، فمن الأدلة التي استعملها الأسمر في رسائله ؛ القرآن الكريم الذي يعد أقوى الأدلة وأصحها ، فلا شيء يعلو فوق كلام الله تعالى ، ثم استخدم السنة المطهرة في التدليل على ما يقول ويدعو له ، فقد استدل بالأحاديث الصحيحة ولكنه لم يكثر منها كما أكثر من الأحاديث الضعيفة ، لا سيما أنه كان يكرر ما ذكره السادة الصوفية في كتبهم من أحاديث ضعيفة ، والتي يجوز إيرادها في فضائل الأعمال ، وهذا لا يعد عيبا فقد أجمع العلماء على جواز إيراد

---

(1)ـ مثل : عبد الحميد بن عبد الله الكمودي المشهور (بضوء الهلال) ، وسيدي علي بن مصطفى الزرلي والفقيه أحمد بن أحمد ابن أقيت وعبد الحميد بن على العوسجي وغيرهم.

(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس الأقصى ، ص 285 .

(3) ـ الأسمر، رسالة إلى سعيد بن عبد الحميد الغدامسي ، ص 130 .

(4) ـ الأسمر، رسالة إلى راشد بن يحي المحجوبي المقرحي ، ص 140 .

الأحاديث الضعيفة في الدعوة إلى فضائل الأعمال بخلاف تقرير الأحكام .
ولقد زاد في الاستدلال والايضاح بأقوال السلف من الصحابة والتابعين والعلماء العاملين من أئمة التصوف والعقيدة والفقه ، كما نلاحظ أنه أكثر من استعمال الشعر في رسائله ودلل به في الكثير من الموضوعات التي يدعو لها وهذا من الأساليب التي استعملها في إقناعه للمريدين ، كما أنه كان يستعمل القصص والحكم والمواعظ اليسيرة المختصرة وكان يرددها دائما في رسائله ويكررها حتى تقع في الأذهان وتصل إلى القلوب .

المطلب الأول : مصادر الأسمر في رسائله إلى مريديه :

((إن الحاجة إلى إرسال الرسائل في مختلف العصور والأزمان ، حاجة شديدة وملحة، ونتج ذلك عن تباعد الأقطار ، وتنائي الديار ، وتبدو الحاجة ملحة لها في مختلف الأحوال ، ففي عصور الحرب والأزمات ، بها قرار الحرب أو الهدنة ، وبها قرار التقدم أو التراجع أو الغزو أو الاستسلام وفي عصور السلم تطمئن القريب وتشفي غل الحبيب وتنزل بردا وسلاما على المضطرب المرتعد))[1]

ومرادي في هذا المبحث هو بيان كيف أن كل من يستخدم الرسالة بوصفها وسيلة في الدعوة إلى الله تعالى في شرح الإسلام لكافر ، أو دعوة غير المسلم للإسلام ، أو الدعوة إلى فضيلة أو الدعوة للتخلي عن رذيلة ، أن كل من يفعل ذلك يستند إلى مصادر أصيلة وطريقته هذه ليست بدعا أو اختراعا بل لها أساس وأصل في القرآن الكريم وفي سنة خير المرسلين وفي سيرة السلف من الصحابة والتابعين .

أولا : القرآن الكريم

((اعتنى المسلمون منذ فجر الإسلام وانبثاق نور الهداية الإلهية على ربوع العالم بالقرآن الكريم ، مصدر تلك الهداية ومنبع ذلك الإشراق ، عناية كبرى شملت جميع نواحيه وأحاطت بكل ما يتصل به ، وكان لها آثارها المباركة الطيبة في حياة الإنسان عامة والمسلمين خاصة))[2]

فقد استخدم الدعاة القرآن الكريم في دعوة الناس إلى الإسلام واعتبروه المرجع الأول والمصدر الأصيل في تدوين العلوم وتأصيل الفنون وهو ليس مصدرا ودليلا على استخدام هذه الوسيلة في الدعوة فقط بل هو مؤصل لكل ما يدعي الغير ابتداعه

---

(1) ـ رسائل علماء المسلمين في العصر العباسي الأول ، ص 54 مصدر سابق .
(2) ـ عطية محمد شعبان، منهج الإسلام العملي في دعوة الرسل ، ن : دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا ، ط1 ، 1418 هـ ، 1997 م ، ص 77 .

وانشاءه من العدم ، من علوم ومعارف مختلفة[1]

فالقرآن الكريم كتاب ختم الله به الكتب وأنزله على نبي ختم به الأنبياء بدين عام خالد ، فهو دستور الخالق لإصلاح الخلق ، وقانون السماء لهداية الأرض ، أنهى إليه منزلة كل تشريع ، وأودعه كل نهضة وأناط به كل سعادة ، وهو حجة الرسول وآيته الكبرى يقوم في فم الدنيا شاهدا برسالته ناطقا بنبوته دليلا على صدقه وأمانته ، هو ملاذ الدين الأعلى ، يستند الإسلام إليه في عقيدته وعباداته ، وحكمه وأحكامه وآدابه ، وأخلاقه وقصصه ومواعظه ، وعلومه ومعارفه ، وهو عماد لغة العرب الأسمى تدين له اللغة في بقائها وسلامتها وتستمد علومها منه على تنوعها وكثرتها وتفوق سائر اللغات العالمية به في أساليبها ، ومادتها وهو أولا وآخرا ، القوة المحولة التي غيرت صورة العالم ونقلت حدود الممالك وحولت مجرى التاريخ ، وانقذت الإنسانية العاثرة، فكأنما خلق الوجود خلقا جديدا[2]

ومن هنا فالقرآن الكريم هو أصل كل علم ومصدر كل فن منه يستقي الجميع علمهم ، النحوي والشاعر والناثر، فهو أصل كل العلوم فالقرآن مفجر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها ، أودع فيه ﷻ علم كل شيء وأبان فيه كل هدي وغي ، فترى كل ذي فن منه يستمد وعليه يعتمد ، فالفقيه يستنبط منه الأحكام ويستخرج حكم الحلال والحرام، والنحوي يبني منه قواعد إعرابه ، ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه، والبياني يهتدي به إلى حسن النظام ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام وفيه من القصص والأخبار ما يذكر أولي الأبصار ، ومن المواعظ والأمثال ، ما يزدجر به أولوا الفكر والاعتبار إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها، هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب تبهر العقول وتسلب القلوب وإعجاز نظم، لا يقدر عليه إلا علام الغيوب[3]

وممعن النظر في رسائل الأسمر يلاحظ أنه يستدل بالقرآن الكريم ويكثر منه في رسائله، فقد أورد ما يقرب من مئة وأربع عشرة آية في رسائله كلها ما بين صريحة في الاستدلال وضمنية، واجتهد في اختيارها بحيث تكون ظاهرة في الاستدلال لا تحتمل معنى آخر.

---

(1) ـ انظر : رسائل علماء المسلمين في العصر العباسي الأول ، ص 53 ، 54 وما بعدها.
(2) ـ انظر : محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ن : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه ، ط3 ، ج1 ص 10.
(3) ـ انظر : محمد بن محمد بن محمد الغزي ، اتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن ، تح : خليل محمد العربي ، ن : دار الفاروق الحديثة ، ط1، 1415 هـ، ص 73

وهذه نماذج من استدلال الأسمر بالقرآن الكريم :

النموذج الأول : في العقيدة

1 ـ لقد استدل على أركان الإيمان بقوله تعالى : ﴿۞ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴿١٧٦﴾﴾[1]

2 ـ واستدل على قواعد الكفر بقوله تعالى :

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلاَۢ بَعِيداً ﴿١٣٥﴾﴾[2]

3 ـ واستدل على مخالفة الله تعالى للحوادث بقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٩﴾﴾[3]

النموذج الثاني : في الاستدلال بالقرآن في مسائل الشريعة

1 ـ لقد استدل على جواز النصيحة والتوصية بين المسلمين بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴿١٣١﴾﴾[4]

2 ـ واستدل على وجوب طاعة الرسول ـ ﷺ ـ بقوله تعالى : ﴿وَمَا ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[5]

3 ـ واستدل على وجوب طاعة الوالدين بقوله تعالى : ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴿٢٣﴾﴾[6]

النموذج الثالث : في الاستدلال بالقرآن على مسائل التصوف

---

(1) ـ سورة ، البقرة ، آية : 176.
(2) ـ سورة ، النساء ، آية : 135.
(3) ـ سورة ، الشورى ، آية : 9.
(4) ـ سورة ، النساء ، آية : 130.
(5) ـ سورة ، الحشر ، آية : 7.
(6) ـ سورة ، الإسراء ، آية : 23.

1 ـ لقد استدل على جواز أخذ العهد من المريد على الطاعة بقوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴿١٧٢﴾﴾[1]

ثانيا : السنة النبوية :

إن السنة النبوية صنو القرآن ، فهي المفسرة والشارحة والموضحة له ، وهي مصدر من مصادر الدعوة إلى الله ، فعليها يعتمد كل خطيب وبها يستدل كل فقيه ، والسنة متى ثبتت عن المعصوم ﷺ فهي تشريع وهداية ، وواجبة الاتباع لا محالة ، والسنة بعضها بوحي جلي ، عن طريق أمين الوحي جبريل ، عليه السلام وبعضها بالإلهام والقذف في القلب وبعضها بالاجتهاد ، على حسب ما علم النبي من علوم القرآن ، وقواعد الشريعة ، وما امتلأ به قلبه من فيوضات الوحي ، والتعليم الإلهي ، الذى لا يتوقف على قراءة وكتابة وكسب وبحث[2] ، وصدق الله حيث يقول : ﴿إِقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾[3] ، ((فالتعليم بالقلم إشارة إلى العلم الكسبي ، وما بعده إشارة إلى العلم الوهبي الذي يضعه الله حيث شاء ومتى اجتهد ﷺ وسكت الوحي عن اجتهاده اعتبر هذا إقرارا من الله ـ سبحانه و تعالى ـ له واكتسب صفة ما أوحى إليه به وبهذا المعنى يعتبر كل ما صدر عن النبي وحيا))[4]،))[4]، وصدق الله حيث يقول : ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[5]

وفي هذا المطلب سنثبت إن شاء الله أن الأسمر لم يكن يدلل بالآيات القرآنية فقط ، بل نجده يستعمل أحاديث الرسول ـ ﷺ ـ ويستدل بها في موضوعها ويقلل ويكثر منها حسب الطلب والحاجة وهذه نماذج من استدلال الأسمر بالسنة :

---

(1) ـ سورة ، الأعراف ، آية : 172.
(2) ـ انظر : رسائل علماء المسلمين في العصر العباسي الأول ، ص 63 ، مصدر سابق .
(3) ـ سورة ، العلق ، آية : 3 ـ 5.
(4) ـ محمد محمد أبو شهبة ، دفاع عن السنة ضد مطاعن ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين ، ن : مجمع البحوث الإسلامية ، ط 1، 1406هـ 1986م ، ص3 ،4 .
(5) ـ سورة ، النجم ، آية : 2 ـ 4.

1 ـ الاستدلال بالسنة في مسائل العقيدة :

لقد استدل على أركان الدين بحديث عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ حيث قال عليه الصلاة والسلام : ((بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان))[1]

واستدل على حقيقة الإيمان وأن التقوى شرط في صحته بقوله ـ ﷺ ـ ((لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه من الخير))[2]

2 ـ الاستدلال بالسنة في مسائل الشريعة :

لقد استدل على وجوب طاعة الوالدين وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق بقوله ـ ﷺ ـ ((من أصبح وأمسى ووالداه راضيان عليه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة، ومن أصبح وأمسى ووالداه ساخطان عليه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار))[3]

واستدل على مشروعية الأذكار بعد الصلاة بقوله ـ ﷺ ـ ((من سبح لله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فتلك تسعة وتسعون وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر))[4] واستدل على وجوب محبة المسلمين ، بقوله ـ ﷺ ـ ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه))[5]

لنفسه))[5]

فهذه أقوال الأسمر فيها دعوة واضحة للإلتزام بسنة رسول الله ـ ﷺ ـ واتخاذه مثلا يحتذى به في الأقوال والأفعال ، ولعل صدق هذه الدعوة عند الأسمر يظهر واضحا

---

(1) ـ البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: بني الإسلام على خمس، حديث رقم 7، ج 1، ص9 .

(2) ـ ابن حبان ، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ، ن : مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1408 هـ - 1988م ، رقم الحديث 235، ج 1 ، ص471.

(3)ـ علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج 16 ، ص 278 .

(4) ـ مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة ، رقم الحديث 28، ج 2، ص 98، وانظر : النسائي ، عمل اليوم والليلة ، ، تح: د. فاروق حمادة ، ن : مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط 2 ، 1406، رقم الحديث 141 ، ج 1 ، ص 202 .

(5) ـ البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ، رقم الحديث 15 ، ج 1 ، ص 8 .

جليا في تعظيمه لمقام سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشدّة حبه له وحثه على التأسي به ـ ﷺ .

ثالثا : أقوال السلف الصالح

تعد أقوال العلماء وأراءهم من الأدلة التي يجب على الباحث والكاتب أن يعضد بها رأيه ، وتأتي بعد القرآن والسنة مباشرة ، إذ هي مستوحاة منهما ، وفي هذا المطلب سنثبت إن شاء الله أن الأسمر لم يكن يقتصر في الاستدلال على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، بل كان يعضد قوله ويسانده بأقوال السلف الصالح من العلماء والفقهاء والمربين، فقد نقل وصية أمير المؤمنين أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ لعمر ابن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حين أخذ له البيعة في معرض حديثه عن تقوى الله عز وجل[1] ، وقد أكثر من الاستدلال بأقوال علي ـ رضي الله عنه ـ ففي حديثه عن خصال التقوى ، ينقل إلينا قول علي ـ رضي الله عنه ـ ((ست خصال من عمل بها لم يترك للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا، أولها : من عرف الله فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه ، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه ، وعرف الدنيا فرفضها ، وعرف الآخرة فطلبها))[2] .

وقد أكثر جدا في الاستدلال بأقوال السلف الصالح من أئمة التصوف أمثال : الفضيل بن عياض [3] ، والحارث المحاسبي[4] ، وسهل التستري [5] ، الجنيد [6]

---

(1) ـ انظر : رسالة إلى عبد الحميد بن علي العوسجي ، ص 160 ، 161 .

(2) ـ المصدر السابق ، ص 161 .

(3) ـ الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي: شيخ الحرم المكيّ، من أكابر العباد الصلحاء. كان ثقة في الحديث، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعيّ. ولد في سمرقند، ونشأ بأبيورد، ودخل الكوفة وهو كبير، وأصله منها. ثم سكن مكة وتوفي بهاسنة (187 هـ) ، من كلامه: " من عرف الناس استراح " ، انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج 5 ، ص 153 .

(4)ـ الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله: من أكابر الصوفية. كان عالما بالأصول والمعاملات، واعظا مُبكيًا، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم. ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد. وهو أستاذ أكثر البغداديين في عصره. من كتبه الرعاية للحقوق الله توفي سنة (243 هـ) ، انظر :الزركلي ، الأعلام ، ج 2 ، ص 153 .

(5) ـ أبو محمد سهل بن عبد الله التستري ، نسبة إلى تستر من خوستان ، سكن البصرة وعبادان ، وطريقته تسمى السهلية وأساسها المجاهدة ورياضة النفس ومرقبتها ومخالفتها كسبيل للخلاص والنجاة والوصول ، انظر : الموسوعة الصوفية ، ص 79 .

(6) ـ أبو القاسم الجنيد بن محمد الجنيد، أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد ومولده ونشأته بها ووفاته ووفاته سنة 297 هـ، وأصله من نهاوند، ومذهبه يقيده بالكتاب والسنة ، فقد قال في ذلك : من لم يحفظ القرءان ويكتب الحديث فلا يقتدى به في هذا الأمر ، وأساس مذهبه مراقبة الباطن القلب وتزكية النفس والتخلق بالأخلاق الحميدة، وطريقته تقوم على الصحو ، وتابعه فيها أغلب الصوفية لأنها لا تتصادم مع الشريعة وتجمع بين الظاهر والباطن ، انظر : الموسوعة الصوفية ، ص 107 .

والقشيري[1] ، والغزالي[2] ، وأبو الحسن الشاذلي[3] .

ومن الفقهاء نجده يستدل بأقوال الإمام مالك بن أنس[4]، والشافعي[5]، وابن القاسم[6]، وبن عرفة[7]، والمازري[8]، وابن حجر العسقلاني[9]، والسيوطي[10]، وغيرهم الكثير من أئمة الفقه والحديث .

---

(1)- عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ابن طلحة النيسابوريّ القشيري، من بني قشير ابن كعب، أبو القاسم، زين الإسلام: شيخ خراسان في عصره، زهدا وعلما بالدين. كانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها سنة (465 هـ) ، من أشهر كتبه الرسالة القشيرية ، انظر : الزركلي، الأعلام، ج 4، ص 57 .

(2)- هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي ، الفقيه الأصولي المتكلم المتصوف، ولد بطوس وبها نشأ وتلقى تعليمه الأول ، ثم رحل إلى جرجان حيث درس على يد أبي القاسم الاسماعيلي ، ومنها إلى نيسابور حيث درس أيضا على عالمها إمام الحرمين الجويني ، توفي سنة (505 هـ) ، انظر : طبقات الشافعية ، ج 6، ص 191 ، ووفيات الأعيان ، ج 1، ص 463 .

(3) - علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف ابن هرمز الشاذلي المغربي، أبو الحسن: رأس الطائفة الشاذلية، من المتصوفة، وصاحب الأوراد المسماة " حزب الشاذلي - ط ". ولد في بلاد " غمارة " بريف المغرب، ونشأ في بني زرويل (قرب شفشاون) وتفقه وتصوف بتونس، وسكن " شاذلة " قرب تونس، فنسب إليها ، ثم تركها، ورحل إلى بلاد المشرق فحجّ ودخل بالعراق. ثم سكن الإسكندرية. وتوفي بصحراء عيذاب في طريقه إلى الحج ، انظر : الشعراني ، الطبقات الكبرى، ج 2 ، ص 4 ، و الأعلام ، للزركلي، ج 4 ، ص 305 .

(4) - مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله: إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج 5 ، ص 257 .

(5) - أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، الإمام الحجة صاحب المذهب ، انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج 8 ، ص 236 .

(6) - هو عبد الرحمن بن القاسم العتقي المصري، أثبت الناس في فقه الإمام مالك وأعلمهم بأقواله، صحبه عشرين سنة ، وتفقه به، لم يرو أحد عن مالك الموطأ أثبت منه ، توفي سنة (191 هـ) ، انظر : شجرة النور الزكية، ص 58 ، والأعلام ، للزركلي، ج 4 ، ص 144 .

(7) - محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي، أبو عبد الله: إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره ، انظر انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج7 ، ص 43.

(8) - محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري، أبو عبد الله: محدث، من فقهاء المالكية. نسبته إلى (مازر) (Mazzara) بجزيرة صقلّيّة، ووفاته بالمهدية، انظر: الزركلي، الأعلام، ج6 ، ص 266 .

(9) - أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حَجَر: من أئمة العلم والتاريخ ، انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج1 ، ص 178.

(10) - عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب ، توفي سنة 911 هـ ، انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج3 ، ص 301.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سعة علمه ومعرفته بأعلام المذهب المالكي وغيرهم وأقوالهم .

رابعا : الشعر

قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً»[1] من خلال هذا الحديث الشريف الشريف نجد الأسمر قد استعمل الشعر واستدل به في رسائله إلى مريديه ، ويعد الأسمر من الشعراء الكبار لأنه يقول الشعر ويكثر منه ولهذا أكثر الشعر الذي كان يورده في رسائله هو من صناعته وإنشائه[2]

والأشعار التي نذكرها في هذا المطلب هي من أشعار الأسمر التي ذكرها في مؤلفاته :

النموذج الأول : في نظمه لرجال الطريقة العروسية :

((يقول راجي العفو والغفران عبد السلام بن سليم الفاني
الحمد لله الذي هدانا إلى طريق الخير واجتبانا
ثم الصلاة والسلام أبدا على النبي العربي أحمدا))[3]

النموذج الثاني : في اشتياقه إلى رؤية النبي ـ ﷺ ـ :

((يا رب صل على المختار سيدنا
المجتبى المصطفى من اسمه أحمد
أنا عبيد السلام قلبي محترق
والدمع ساح فلا صبر ولا جلد
واهتز جسمي اضطرابا للقاء به
والطيف أرقني والنوم مفتقد))[4]

---

(1) ـ محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، سنن ابن ماجه ، ن : دار الفكر – بيروت ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي، رقم الحديث 3755 ، ج2، ص 1235، والسنن الصغرى للبيهقي ، رقم الحديث 3369 .

(2) ـ انظر : مصطفى عمران رابعة، زاوية الأسمر وإشعاعها العقدي والروحي في القرن العاشر الهجري، رسالة دكتوراه ، ص 57 ، مصدر سابق.

(3)ـ الطيب المصراتي ، فتح العلي الأكبر ، ص 133 ، وانظر : عمران رابعة ، زاوية الأسمر ،ص 57 .

(4) ـ كريم الدين البرموني، روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار ، في جمع البعض من مناقب صاحب الطار، تح : عبد الحميد عبد الله الهرامة، ن : معهد المخطوطات العربية، القاهرة ، تاريخ النشر 2009 م ، ص 598.

النموذج الثالث : في مدح المصطفى - ﷺ - :

((زين جميل بهي لا نظير له كأنه البدر أو كالشمس في الحمل
يغار حسن النقا من حسن قامته ويختفي البدر تحت الغيم من خجل
حلو المشارف يشتفى العليل به فكم شفى برحيق الثغر من علل
الله أكبر ما أحلى شمائله قد زاد حسنا وزينا غاية الأمل
بدا كبدر الدجى تجلى محاسنه يا حسنه من مليح بالجمال حلى
أنا المتيم فيمن قد سما وعلا فخرا على سائر الأملاك والرسل
هو النبي الذي ما مثله أحد وهو المبرأ من نقص ومن زلل
وهو الشفيع غدا من حر نار لظى والناس كلهم منها على وجل
صلى عليه إله العرش ما طلعت شمس وحل قمر على طلل))[1]

وفي ختام هذا المطلب نستطيع أن نقول أن الأسمر كان يستعمل الشعر ويستدل به في أغلب الموضوعات التي اهتم بها ، لأن الشعر يبقى ويتداول بين الناس ويحفظ من طرف المريدين .

خامسا : النقل من المصادر والإحالة عليها

إن المتصفح للرسائل الأسمر ، يجده قد أكثر من الإحالة على كتب المتقدمين من العلماء ، فهو يميز بين الكلام المقول من المنقول من المصادر والمراجع ، فنجده عادة إذا أتم النقل من كتاب معين يقول : (انتهى من كتاب التنوير في إسقاط التدبير للإمام شيخ مشايخنا سيدي أحمد بن عطاء الله قدس الله روحه)[2] ، أو (انتهى من النبذة الشريفة في الكلام على أصول الطريقة)[3] ، وإذا أراد أن يذكر كلام عالم معين أو يشرح جملة معينة من كلام منقول يقول : وقلت : كذا ... ، وقلت : قال شيخنا ، أو يذكر اسم العالم الذي نقل كلامه[4]

والأسمر كغيره من العلماء كان يأخذ من المصادر والمراجع والكتب المتوافرة في عصره ويعتمد عليها في رسائله ومؤلفاته ، والعالم كغيره يتأثر ويؤثر ، ولذلك

---

(1) - محمد مخلوف ، تنقيح روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار في مناقب سيدي عبد السلام الأسمر ، ن : المطبعة الحلبية ، القاهرة ، ط 1، 1378 هـ ، 1958 م ، ص 220 .
(2) - الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس ، ص 353 .
(3) - النبذة أو الدرة الشريفة في الكلام على أصول الطريقة ، لا يزال مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم " 2201 د " ، انظر : الأسمر، رسالة إلى أصحابه بسوس ، ص 321 .
(4) - انظر : الأسمر، رسالة إلى أصحابه بسوس الأقصى، ص 321، وهذا الأسلوب من الاقتباس يستخدمه في جميع رسائله .

نجد كثيرا من العلماء ممن تأثر بأفكار عالم ما أو كتاب ما ، فتجده يعتمد عليه في التدليل والاستشهاد .

وسيحاول الباحث في هذا المطلب أن يستخرج أهم الكتب والمراجع التي تأثر بها الأسمر واعتمد عليها في كتابة رسائله إلى مريديه :

أولا : كتب العقيدة : لعل أهم كتب العقيدة التي اعتمد عليها الأسمر في كتابة رسائله هو كتاب المقدمات وشرحه[1] ، والعقيدة الكبرى والوسطى والصغرى ، للإمام محمد بن يوسف السنوسي[2] ، وكتاب شرح المقاصد للتفتازاني[3]

ثانيا : كتب الفقه : لقد أجمل الأسمر القول في موضوعات الشريعة حتى أن الباحث لم يجد له نقلا أو إحالة إلى كتاب معين من كتب الفقه والمعاملات ، وهذا لا يعد قدحا في الأسمر ، بل هو دليل على تمكنه في المذهب الذي ينتسب إليه ، ولأن محط اهتمامه هو الإصلاح الباطني وهو محط رحال علم التصوف ، ولذلك كان اهتمامه بالتصوف أكثر من غيره من العلوم الإسلامية .

تالثا : كتب التصوف : لقد أكثر الأسمر النقل والإحالة على كتب القوم من أئمة التصوف حتى أن رسائله غلب عليها طابع الدعوة إلى التصوف أكثر من غيره .

ومن الكتب التي كان ينقل منها الأسمر يمكن القول بأن الأسمر كان ينتمي إلى مدرسة التصوف السني المقام على الكتاب والسنة ، وهذه الكتب هي :

1 ـ قواعد التصوف ، وشرح المباحث الاصلية ، الجامع لجمل من الفوائد والمنافع ، لشيخه أحمد الزروق[4]

2 ـ إحياء علوم الدين ، ومنهاج العابدين ، للإمام الغزالي ـ رحمه الله[5]

3 ـ وكتاب الرسالة القشيرية للإمام القشيري ، وقد أكثر الأسمر النقل منه[6]

4 ـ وكتاب لطائف المنن ، لابن عطاء الله السكندري[7]

---

(1) ـ انظر : الأسمر، رسالة إلى راشد بن يحيى المحجوبي المقرحي، ص 144.
(2) ـ انظر : الأسمر، رسالة إلى راشد بن يحيى المحجوبي المقرحي، ص 142 .
(3) ـ انظر : الأسمر، رسالة إلى أصحابه بالزاوية الغربية، ص 186 .
(4) ـ انظر : الأسمر، رسالة إلى عبد الحميد العوسجي، ص 166 ، ورسالة إلى أصحابه بمدينة طرابلس، ص 223، والكتاب الأخير لا يزال مخطوط كما أشار إلى ذلك المحقق ، ص 314 .
(5) ـ انظر: الأسمر، رسالة إلى أصحابه بتونس، ص 279، ورسالته إلى أصحابه بسوس الأقصى ، ص 307 .
(6) ـ انظر : الأسمر، رسالة إلى أصحابه بسوس الأقصى ، ص 293.
(7) ـ المصدر السابق، ص 316 .

5 ـ وكتاب شرح الحكم لابن عباد[1] ، وكتاب درة الأسرار وتحفة الأبرار في أقوال وأفعال وأحوال ومقامات ونسب وكرامات وأذكار ودعوات سيدي أبو الحسن الشاذلي، لابن الصباغ[2]

رابعا كتب الحديث : إن كثرة الأحاديث التي أوردها الأسمر في طيات رسائله ، يبن لنا سعة علمه وكثرة إطلاعه على جميع الفنون ، فهو قد اعتمد على جميع كتب الحديث من الصحاح والمسانيد والسنن وغيرها من الكتب التي صنفت في فضائل الأعمال .

وهكذا من خلال تتبع المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الأسمر في كتابة رسائله ، نجده يعتمد على أصح الكتب وأهمها في موضوعات الدعوة ، وهذا يجعل الباحث يؤكد أن الأسمر لم يكن صاحب طريقة في التصوف ، ولكنه صاحب تجربة في السلوك ، وما ذكره من عبارات ومقالات هي نتاج تلك التجربة ، أما الطريق الصوفي العام وقواعده التي يقوم عليها فهو يقتد فيها بكبار أئمة التصوف الإسلامي ، يأتي بأقوالهم وقواعدهم في شكل نصائح لمريديه حتى يستفيدوا منها ويطبقونها في حياتهم العملية .

المطلب الثاني : سمات رسائل الأسمر وقواعدها وأهدافها :

أولا : سمات رسائل الأسمر :

إن المتأمل لرسائل الأسمر التي كتبها إلى مريديه يدرك أنها تميزت عن باقي آثاره العلمية بعدة مميزات ، وإن كانت تشترك مع باقي آثاره في بيان ما اتصف به ـ رحمه الله ـ من العلم العميق والفهم الدقيق للواقع الذي يعيش فيه ، فإن رسائله قد تميزت اضافة إلى ذلك بالكشف عن شخصية الأسمر بوصفه داعية يدرك طبائع النفوس ويتقن التعامل معها ، ويستخدم لكل حال ما يناسبها من الأساليب الدعوية ، كما أن الرسائل قد كشفت عن منهجه في الدعوة .

وهذه بعض مميزات رسائل الأسمر إلى مريديه :

1 ـ إنها تكاد تكون شاملة لجميع شرائع الدين من عقيدة وشريعة وأخلاق ، كما أنها تميزت بجودة العرض لمسائل وموضوعات الدعوة .

2 ـ وضوح الأسلوب وسلامته من التعقيد اللفظي والمنطقي .

3 ـ اعتماده على الأدلة النقلية والعقلية ، من الكتاب والسنة وأقوال السلف .

---

(1) ـ انظر : الأسمر، رسالة إلى أصحابه بسوس الأقصى ، ص 291 .

(2) ـ المصدر السابق، ص 313 .

4 ـ الإيجاز حينا والإسهاب حينا آخر وفق ما يقتضيه الحال.
5 ـ سهولة الألفاظ ووضوحها .
6 ـ تنوع مطالع الرسائل وخواتيمها أيضا حيث كانت تختم بالدعاء تارة ، وتارة أخرى بأبيات من الشعر .
7 ـ تضمين الأمثال والشعر في الرسائل .
8 ـ البراعة والدقة في عرض موضوعات الدعوة وتنظيمها .
9 ـ مناسبة الأسلوب لمستوى فهم المرسل إليهم .
10 ـ التركيز فيها على القضايا المهمة من تقرير العقيدة والدعوة إلى الشريعة ومحاسن الأخلاق ، والاستشهاد بالقرآن الكريم وكان ذلك بإدراج آيات قرآنية مناسبة للسياق أو باستخدام صيغ وتعابير قرآنية وأساليب تعبيرية مستوحاة من القرآن الكريم كالقسم ، والتكرار .
11 ـ أنها يغلب عليها طابع النصح والشفقة لا طابع الشدة والغلظة ، ومن هذه المميزات وغيرها يمكن أن نقول بعامة أن أسلوب الأسمر في رسائله أسلوب سهل يسير بعيد عن التكلف والتعصب
ثانيا : قواعد الأسمر في رسائله :

1 ـ الاستدلال بالكتاب والسنة وأقوال السلف .
وهذه قاعدة قد درج عليها في كتابة جميع رسائله ، ولا يخفى على القارئ أن رسائل الأسمر قد شحنت بالاستدلال بالكتاب والسنة وأقوال أئمة السلف وهذا دليل على مدى تمسك الأسمر بالكتاب والسنة في منهجه الصوفي وهذا بطبيعة الحال ليس غريبا عند الأسمر لكونه ينتمي إلى مدرسة التصوف السني التي جعلت من أركانها الكتاب والسنة .
2 ـ التزاوج في الاستدلال بين النقل و العقل.
وهذه القاعد درج عليها الأسمر عند حديثه عن مسائل العقيدة ، فزاوج بين النقل والعقل ، وهو في ذلك تبعا لأئمة الأشاعرة .
ثالثا : أهداف رسائل الأسمر :
إن أغلب أهداف رسائل الأسمر تدور حول النقاط التالية :
1 ـ تبليغ أوآمر الله تعالى .
2 ـ الدعوة إلى تصحيح العقيدة .
3 ـ هداية الناس وإرشادهم إلى فعل الخير .
4 ـ تربية الناس على الأخلاق .

المبحث الرابع : تعريف الدعوة

المطلب الأول : تعريف الدعوة لغة

الدعوة في اللغة لها عدة معان متعددة وهي مأخوذة من قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَدْعُواْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِے مَنْ يَّشَآءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾[1]

جاء في لسان العرب لابن منظور : ((" الدعوة والدعوة والمدعاة " ، ما دعوت إليه من طعام وشراب ، وقول الله ﷻ : ﴿وَاللَّهُ يَدْعُواْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِے مَنْ يَّشَآءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ ، ودعاء الله خلقه إليها كما يدعو الرجل الناس إلى مدعاة أي إلى مأدبة يتخذها وطعام يدعو الناس إليه))[2] ، ويقول صاحب المصباح : ((دعوت الله أدعوه دعاء : ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير ، ودعوت زيدا ناديته وطلبت إقباله ودعا المؤذن الناس إلى الصلاة فهو داعي الله ، والجمع دعاة وداعون والنبي ـ ﷺ ـ داعي الخلق إلى التوحيد))[3] ، ((والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلال ، وأحدهم داع ، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين ، أدخلت الهاء للمبالغة))[4] ، وقريب من هذا المعنى قوله ـ ﷺ ـ ((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة ، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا))[5]

فمما سبق يتضح أن كل معاني الدعوة تدور حول الطلب والسؤال والنداء، والذي يميز كلا من دعوة الهدى والضلالة هو الإضافة إلى ما يدعو إليه الداعي.

---

(1) ـ سورة ، يونس ، آية : 25.
(2) ـ ابن منظور ، لسان العرب ، ج 14 ، ص 260 .
(3) ـ أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المصباح المنير ، ن : المكتبة العلمية ، بيروت ، مادة : دعا ، ص 194 .
(4) ـ ابن منظور ، لسان العرب ، ج 14 ، ص 258 .
(5) ـ مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب العلم ، باب : من سن سنة حسنة أو سيئة ، رقم الحديث 4831 ، ج13 ، ص164.

المطلب الثاني : تعريف الدعوة اصطلاحا :

بعد أن عرفنا معنى الدعوة في اللغة ، لابد أن نحدد مفهوم هذه الدعوة في الاصطلاح ، حيث إن الدعوة الإسلامية ليست كغيرها من الدعوات ، بل هي أمانة يتحملها خلفاء رسول الله ـ ﷺ ـ من هذه الأمة ، وهي واجب يفرض نفسه على تلك النفوس الزكية كي تخرج البشرية من الظلمات إلى النور .

ولقد اختلف تعريف الدعوة الاصطلاحي بين المعرفين لها ، فمنهم من جعل كلمة الدعوة مرادفة لكلمة الإسلام ، فيتحدث عن الدعوة كما يتحدث عن الإسلام سواء بسواء ، ومنهم من جعلها فنا آخر يتعلق بكيفية نشر الإسلام ، ومن هذه التعريفات ما يلي :

فممن جعلها مرادفة لكلمة الإسلام البهي الخولي في قوله : ((الإسلام الحنيف هو الدعوة العالمية الكبرى الذي بعث بها رسول الله ـ ﷺ ـ لتكون نظام الإنسانية الكامل في حياتها الروحية والمادية في كل زمان ومكان))[1] .

وعرفها الشيخ علي محفوظ[2] ، بقوله : (هي حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل)[3].

وعرفها محمد الغزالي[4] ، بقوله : (إنها برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين)[5].

---

(1) ـ البهي الخولي ، تذكرة الدعاة، ن : مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط 9 ، 1424 هـ ، 2004م ، ص14

(2) ـ علي محفوظ المصري: واعظ شافعيّ: تخرج بالأزهر، ثم كان من أعضاء كبار العلماء وأستاذا للوعظ والإرشاد بكلية أصول الدين وصنف كتبا، منها " سبيل الحكمة ـ ط " في الوعظ، و " هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة – ط ، انظر : الأعلام ، للزركلي ، ج4 ، ص323

(3) ـالشيخ على محفوظ ، هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، ن : دار الاعتصام، ص 17

(4) ـ محمد الغزالي" واحدًا من دعاة الإسلام العظام، ومن كبار رجال الإصلاح، اجتمع له ما لم يجتمع إلا لقليل من النابهين؛ فهو مؤمن صادق الإيمان، مجاهد في ميدان الدعوة، ملك الإسلام حياته؛ فعاش له، ونذر حياته كلها لخدمته، وسخر قلمه وفكره في بيان مقاصده وجلاء أهدافه، وشرح مبادئه، والذود عن حماه، والدفاع عنه ضد خصومه، لم يدع وسيلة تمكنه من بلوغ هدفه إلا سلكها؛ فاستعان بالكتاب والصحيفة والإذاعة والتلفاز في تبليغ ما يريد ، انظر : المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين ، ص 284

(5) ـ محمد الغزالي ، مع الله دراسة في الدعوة والدعاة ، ن : دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 6 ، 2005 م ، ص17

أما عن تعريف الدعوة بمعنى النشر ، فقد أشار إليه أحمد غلوش[1] ، بقوله : ((هي العلم الذي به نعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق))[2]

من مجموع التعريفات السابقة يمكن أن نعرف الدعوة بأنها هي : دعوة الناس جميعا إلى الإسلام وحثهم على الخير وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بأسلوب الترغيب والترهيب .

المطلب الثالث : فضل الدعوة إلى الله :

الدعوة إلى الله فضلها عظيم ، فهي مهمة الرسل والأنبياء وهم أشرف الخلق ، وأكرمهم على الله ، وهم الذين اختارهم الله لهداية البشرية والعلماء هم ورثة الأنبياء ، وقيامهم بالدعوة أعظم تشريف لهم ، قال تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[3] ، ومن فضل الدعوة إلى الله أن : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ...)[4] ، والدعوة إلى الله هي التي من أجلها شرف الله أمة الإسلام جميعا فجعلها بذلك خير أمة أخرجت للناس ، لأنها حملت رسالة الله إلى العالمين ، وجاهدت بها كل الأمم فهم خير الناس للناس[5]

المطلب الرابع : أهداف الدعوة إلى الله :

إن الهدف الأول من الدعوة هو ارشاد الناس إلى صراط الله المستقيم ، ودينه القويم ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، ومن الشرك إلى التوحيد ومن الجور

---

(1) ـ الدكتور أحمد غلوش، (1388 هـ ، 1968 م) مصري ، من رجال الإصلاح الاجتماعي ، كاتبا وخطيبا ، وكان يتقن الإنكليزية فوضع بها كتابا في الدعوة الإسلامية، طبع ست مرات. وله بالعربية (الخمر والحياة ـ ط) توفي بالقاهرة ، انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج1 ، ص 192.

(2) ـ أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ،أصولها ووسائلها ، ن : دار الكتب الإسلامية ، ط 3 ، 1407 هـ 1987م ، ص10 .

(3) ـ سورة ، يوسف ، آية : 108.

(4) ـ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ، رقم الحديث 6980 ، ج 17 ، ص 250 .

(5) ـ انظر : علي بن نايف الشحود ، موسوعة البحوث والمقالات العلمية ، مصدر الكتاب الشاملة ، ، ص 2 .

والظلم إلى العدل ، والرحمة والإحسان ، والأدلة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾[1] ، وقوله عز شأنه : ﴿۞ الٓرٓ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴿١﴾﴾[2]

فأمة الإسلام التي هي خير الأمم قد أخرجها الله لهذه الغاية ، فقال ﷻ : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[3]

ولم يشرع الجهاد بالكلمة والمال والسيف إلا لتحقيق هذه الغايات ، وقد أجمل ربعي بن عامر ـ رضي الله عنه ـ مهمة أمة الإسلام في الجهاد فقال : ((عندما أرسله سعد بن أبي وقاص لرستم قائد الفرس فقال له رستم : لماذا جئتم ؟ فقال : إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام)) [4]

أما المقصود الأسمى من الدعوة والهدف الأعلى منها هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وإرشادهم إلى الحق حتى يأخذوا به ، وينجوا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، وإخراج الكفار من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام ، وإخراج العصاة من ظلمة المعصية إلى نور الطاعة ، وإخراج الجهال من ظلمة الجهل إلى نور العلم ، هذا هو المقصود الأسمى من الدعوة كما قال جل وعلا : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴿٢٥٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ

---

(1) ـ سورة ، الشورى ، آية : 49.
(2) ـ سورة ، إبراهيم ، آية : 1.
(3) ـ سورة ، آل عمران ، آية : 110.
(4) ـ ابن كثير ، البداية والنهاية ، تح : علي شيري ، ن : دار إحياء التراث العربي ، ط 1 ، 1408، هـ - 1988 م ، ج7 ، ص 39 .

يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾[1]

ومن أهداف الدعوة أيضا العمل على إصلاح الأمة وتزكيتها وتعليمها أحكام الكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾[2] ، وقال - ﷺ - (لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم) [3]

ومن أهداف الدعوة إقامة الحجة على العباد والنهي عن الفاسد في الأرض ، قال تعالى : ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴿١٦٥﴾[4] وقال تعالى محذرا من الفساد في الأرض :

﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾[5]

ومن أعظم أهداف الدعوة إعمار الأرض بعبادة الله والعمل الصالح ، قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٥﴾[6]

المطلب الخامس : أركان الدعوة إلى الله :

---

(1) - سورة ، البقرة ، آية : 256.
(2) - سورة ، آل عمران ، آية : 164.
(3) - البخاري ، صحيح البخارى ، تح : محمد زهير بن ناصر الناصر ، ن: دار طوق النجاة ، باب مناقب على رضي الله عنه ، رقم الحديث 3701 ، ج 5 ، ص 15 .
(4) - سورة ، النساء ، آية : 164.
(5) - سورة ، هود ، آية : 116.
(6) - سورة ، الحج ، آية : 75.

1 ـ المدعو إليه : وهو دين الإسلام الذي ارتضاه للعالمين وهو سبيل الله ، وصراطه المستقيم
2 ـ الداعي : هو القائم بأمر دعوة الناس
3 ـ المدعو : وهو من يراد دعوته ، وهم الناس جميعا بوجه عام وأهل الإسلام بوجه خاص.
4 ـ وسيلة الدعوة : ويشترط فيها أن تكون مأذونا فيها شرعا ، مناسبة لمقام المدعوين[1] .

المطلب السادس : حكم الدعوة :

لما كانت رسالة الإسلام خاتمة الرسلات وهي عامة للبشرية جمعاء إلى أن تقوم الساعة ولا يقبل الله دينا سوى الإسلام لقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَّبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُّقْبَلَ مِنْهُ ۖ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[2]

وأن التبليغ الذي أمر به الله تعالى نبيه ـ ﷺ ـ في قوله تعالى : ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾[3] ، حملته أمته من بعده ولها فيه إسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، من هنا لزم لهذه الرسالة التبليغ كي تصل تعاليمها وشرائعها إلى الناس جميعا ، ومن يتأمل يعلم أن الدعوة إلى الله روح الأديان ، وأنه ما قام دين من الأديان ولا انتشر مذهب من المذاهب إلا بالدعوة ، وما تداعت أركان ملة بعد قيامها وتلاشت إلا بترك الدعوة إليها .

ولقد علمنا التاريخ أنه ما قام أحد يدعو إلى شيء إلا وجد له أنصارا وأتباعا ، كما نرى المذاهب الباطلة تنمو بالدعوة ، والمذاهب الحقة بإهمال الدعوة تتضائل ،

---

(1) ـ انظر : سعيد بن على بن وهف القحطاني ، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، ن: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، 1423هـ ، ج1 ، ص 116 .

(2) ـ سورة ، آل عمران ، آية : 84.
(3) ـ سورة ، المائدة ، آية : 69.

ولو كان الحق ينتشر بذاته لأنه الحق لما فرضت علينا الدعوة إليه ، ولما كان ثم حاجة للأنبياء والمرسلين وورثتهم من العلماء العاملين[1]

فاقتضت حكمة الباري ﷻ أن تكون هذه الرسالة واجبة التبليغ ، وقد اتفق علماء الإسلام على وجوبها[2] ، للأدلة القاطعة على الوجوب كقوله تعالى : ﴿۞ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[3] ، وقوله تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[4] ، وقوله تعالى : ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[5]

وقوله تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[6]

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على الوجوب ، ومن الأدلة الدالة على الوجوب من السنة قوله ـ ﷺ ـ ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ))[1]

---

(1) ـ انظر : هداية المرشدين ، ص 14 .
(2) ـ انظر : الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ن : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ج 4 ، ص 21 .
(3) ـ سورة ، آل عمران ، آية : 104.
(4) ـ سورة ، آل عمران ، آية : 110.
(5) ـ سورة ، النحل ، آية : 125 .
(6) ـ سورة ، يوسف ، آية : 108.

وقوله ـ ﷺ ـ ((بَلِّغُوا عَنِّى وَلَوْ آيَةً ، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَىَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))[2] ، والأحاديث الدالة على الوجوب كثيرة

ولكن العلماء اختلفوا في تعيين الوجوب ، هل هو واجب عيني ـ أي أنه يلزم كل مسلم بعينه ، أم أنه واجب كفائي إذا قام به البعض سقط عن الباقين ، وإليك بيان كل قول والأدلة التي استدل بها على تعينه :

أولا : الوجوب الكفائي : والذين قالوا بهذا القول استدلوا بقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[3]

فالآية الكريمة تدل على أن الدعوة لا تلزم كل مسلم بعينه بل تلزم طائفة من المؤمنين، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[4]

قالوا : ((إن " من " في قوله تعالى " منكم " تفيد التبعيض))[5] ، وعليه فإن الذين يتولون مهمة الدعوة إلى الله تعالى بعض الأمة ، وهذا واجب على مجموع الأمة ، وهو الذي يسميه العلماء فرض كفاية ، إذا قامت به طائفة منهم سقط عن الباقين[1]

---

(1) ـ أبو بكر البيهقي ، السنن الكبرى ، تح : محمد عبد القادر عطا ، ن : دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات ، ط 2 ، 1424هـ - 2003م، باب نصر المظلوم ، رقم الحديث 11513، ج 6، ص 157، وأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ الثَّوْرِيِّ وَغَيْرِهِ.

(2) ـ البخاري ، الجامع الصحيح المختصر ، ن : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت ، ط 2 ، 1407 – 1987م، تح : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق ، عدد الأجزاء : 6 ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، رقم الحديث 3274 ، ج3 ، ص 1275.

(3) ـ سورة ، التوبة ، آية : 123.

(4) ـ سورة ، آل عمران ، آية : 104.

(5) ـ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، تح : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، ن : دار الكتب المصرية – القاهرة ، ط 3، 1384هـ - 1964 م ، عدد الأجزاء: 20 جزءا ، ج4 ، ص 165 .

ثانيا : الوجوب العيني :

واستدل القائلون بهذا القول بقوله تعالى : ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[2] ، فالآية تدل على أن الدعوة إلى الله واجبة على من تبعه وهم أمته ـ ﷺ ـ يدعون إلى الله كما دعا إلى الله، وكذلك استدلوا بقوله تعالى : ﴿۞ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[3]

ومعنى هذه الآية الكريمة " ولتكونوا كلكم أمة تدعون إلى الخير وتأمرون بالمعروف ولكن (من) هاهنا تدخل لحض المخاطبين من سائر الأجناس وهي مؤكدة أن الأمر للمخاطبين ومثله قوله تعالى : ﴿۞ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾[4] ، ومعناه : اجتنبوا الأوثان فإنها رجس[5]

واستدلوا كذلك بقوله ـ ﷺ ـ ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ))[6] ، قالوا إن هذا الحديث صريح في لزوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لزوما عينيا .

المطلب السابع : رأي الأسمر في حكم الدعوة :

يقول الأسمر : (اعلموا رحمكم الله : أن الأمر بالمعروف واجب لمن تعين عليه وكذلك النهي عن المنكر ، فإن لم تستطيعوا فاشتغلوا بأنفسكم واصبروا على دينكم

---

(1) ـ انظر : محمد أبو زهرة ، الدعوة إلى الإسلام تاريخها في عهد النبي والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة وما يجب الآن، ن : دار الفكر العربي ، تاريخ الطبع 1992م ، ص 25 ، وانظر: مجلة جامعة أم القرى ، مجموعة من المؤلفين ، الشاملة ، ج 12 ، ص 235 .

(2) ـ سورة ، يوسف ، آية : 108.

(3) ـ سورة ، آل عمران ، آية : 104

(4) ـ سورة ، الحج ، آية : 28

(5) ـ انظر : الإمام أبا الفرج الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير، ن : المكتب الإسلامي، ط3، 1404هـ، 1984م، ج1، ص 434 .

(6) ـ سبق تخريجه

حتى تلاقوا ربكم) [1] فيمكن أن يفهم من قوله هذا إن الدعوة فرض كفاية على عامة الناس وقد تكون فرض عين على من تعينت عليه وقد تسقط عن من لم يستطيع القيام بها .

وعلى هذا يكون رأي الأسمر في الدعوة بأنها وظيفة الدعاة ، وعلى بقية المسلمين أن يدعوا إلى الله على بصيرة بقدر ما يطيقون ، وبقدر ما يتوفر لهم من علم ووقت وجهد ومال ، ولو كانوا يعملون في مجالات أخرى غير مجال الدعوة عملا بقوله تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[2]، ولكن على مقتضى الآوامر الشرعية التي تنهى عن أن يأمر الإنسان بشيء وينهى عن شيء من دون أن يعرف حكمه في الشرع الشريف ، فيكون بذلك ممن دعا إلى الله على غير بصيرة في الدين فيضر الدعوة أكثر مما ينفعها[3] ، ثم يقول : ((وهي واجبة على ولي الأمر ومن عينه لذلك))[4] ، غير أن الذي لا يستطيع أن يدعو غيره لعدم توافر الشروط فيه ، عليه كما يرى سيدي عبد السلام الأسمر أن يلتفت إلى نفسه بالمجاهدة والرياضة ودعوتها إلى الاستقامة ، إذ من أصلح نفسه وأقامها على الاستقامة يعد دعوة إلى الله باعتباره قدوة، وهذه في حقيقة أمرها لغة طيبة ، إذ من لا يشغل نفسه بالحق شغلته بالباطل كما يقول السادة الصوفية .

المبحث الخامس : تعريف المنهج لغة واصطلاحا :

المطلب الأول : تعريف المنهج لغة :

المنهج لغة : مأخوذ من مادة (نَهَجَ) وله معنيان :

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة لأصحابه بالزاويه الغربية ، ص 169
(2) ـ سورة ، يوسف ، آية : 108.
(3) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى عبد الحميد بن علي العوسجي ص 152 .
(4) ـ الأسمر : رسالة إلى أصحابه بمدينة طرابلس الغرب ص 215 .

1 ـ الطريق الواضح تقول نهج لي الأمر أي أوضحه ، وطريق نهج : بين واضح، أو تقول : نهجت الطريق : إذا أبنته وأوضحته ، وأنهج ونهج : وضح وأوضح ، والجمع : مناهج ، ونُهُج ، ونُهُوج والمناهج كالمنهج[1]

2 ـ الانقطاع وتواتر النفس من شدة الحركة أو فعل متعب نحو : أتانا فلان يَنهَج إذا أتى مبهورا منقطع النفس ، والنَهَج تتابع النفس بفتح النون والهاء[2]

وقد استعمل القرآن الكريم مادة (نهج) في موضع واحد في سورة المائدة[3] ، فقال تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ۚ﴾[4] ، و (المنهاج السبيل أي الطريق الواضح)[5] ، شرعة ومنهاجا : أي (سنة وسبيلا)[6]

وفي السنة النبوية وردت مادة (نهج) في مواضع عديدة تدل على المعاني نفسها التي وردت في كتب اللغة من ذلك مثلا : قوله ـ ﷺ ـ (تكون فيكم النبوة ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ...)[7] ، ومنه قول السيدة عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ : (وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي)[8]، لانهج أي أتنفس تنفسا عاليا ويغلبني التنفس من الاعياء[9] ، وفي الحديثين السابقين دلالة واضحة على المعنيين اللغويين المذكورين آنفًا ، فالخلافة على

---

(1) ـ انظر : ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ج5 ، ص 288 ، وانظر : المرتضى الزبيدي ، تاج العروس، ج 2 ، ص 109 ، المصباح المنير ، مادة : نهج ، ص 627 ، وانظر : الجوهري ، الصحاح، ج1، ص 436، وانظر : ابن منظور، لسان العرب ، مادة : (نهج) ، ج 2 ، ص383 .

(2) ـ انظر : محيي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه ، ن : دار ابن كثير ، بيروت ، دمشق ، ط 11 ، 1432 هـ ، 2011 م ، ج 2 ، ص 243.

(3) ـ انظر : محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص 719 .

(4) ـ سورة ، المائدة ، آية : 50.

(5) ـ ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج1 ، ص 49 .

(8) ـ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج6 ، ص 211 .

(7) ـ أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي ، الفتح الرباني، كتاب الخلافة والامارة ـ الباب الثاني الثاني في قوله ـ ﷺ ـ الائمة من قريش ، ن : دار إحياء التراث العربي ، ط 1 ، رقم الحديث 15 ، ج23 ، ص 10 ، وانظر : الهيثمي ، كشف الأستار عن زوائد البزار ، تح: حبيب الرحمن الأعظمي ، ن: مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط1 ، 1399 هـ - 1979 م ، رقم الحديث 1588 ، ج 2 ، ص 231

(8) ـ ابن حجر ، فتح الباري ، باب تزويج النبي ـ ﷺ ـ عائشة ، رقم الحديث 3894 ، ج7 ، ص 224.

(9) ـ انظر : تعليق مصطفى البغا على فتح الباري ، ج7 ، ص 224.

منهاج النبوة تتوافق مع المعنى اللغوي الأول والمنهج في حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ يتوافق مع المعنى اللغوي الثاني .

ودلالة اللغة على الطريق تعني الوضوح ، فهو طريق شامل لخطة متكاملة لكل ما تحتاج إليه الدعوة ، فالخطة الشاملة الكاملة ضرورة في أي نظام وهذا النظام يعرف بالمنهج يقال منهج الدعوة ، منهج التعليم، ومنهج الحكم ، ومنهج القضاء. . . . الخ[1]

ومما تقدم يتبين أن من معاني المنهج في اللغة الطريق الواضح البين

المطلب الثاني : تعريف المنهج اصطلاحا :

عرفه عبد الرحمن بدوي بأنه: (الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة)[2].

وعرفه البيانوني بأنه: (النظام والخطة المرسومة للشيء)[3]

ومن خلال التعريفين السابقين يتضح انهما اشتملا على المعنى العام المراد منه الخطة الشاملة للتعامل العلمي مع أي مسألة أو قضية [4] ، وتختلف المناهج باختلاف العلوم، فلكل علم منهج أو مناهج تناسبه يسير عليها، والمنهج أو المناهج المقصودة في هذا السياق تعرف بأنها: (نظم الدعوة وخططها المرسومة لها)[5].

فهو خطة متكاملة يحدد للدعوة مسارها وطرقها وأساليبها ووسائلها من أجل أن تتحقق أهدافها في مجالات الحياة كافة .

المطلب الثالث : أهمية المناهج الدعوية

---

(1) ـ انظر : أحمد غلوش ، الدعوة الاسلامية أصولها وسائلها وأساليبها في القرآن الكريم، ص67. ص67.

(2) ـ عبد الرحمن بدوي ، مناهج البحث العلمي ، ص5.

(3) ـ محمد ابو الفتح البيانوني ، المدخل إلى علم الدعوة ، دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها ووسائلها ومشكلاتها في ضوء النقل والعقل ، ن : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط3 ، ص45.

(4) ـ انظر : أحمد غلوش ، الدعوة الاسلامية أصولها ووسائلها في القرآن الكريم ، ص69

(5) ـ البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة ، ص46.

إن المنهج الرباني وحده هو الكفيل بإخراج الناس من الظلمات إلى النور وهو وحده الذي يمكن أن يبلغ رسالة الإسلام الخالدة للناس وليس معنى هذا الكلام أن نلغي جميع المناهج التي وضعها العلماء والدعاة في الدعوة إلى الإسلام ولكن يجب أن توزن بميزان الشريعة ، فما كان منها مقتبسا من الكتاب والسنة أخذناه وما كان منها مخالفا لهما نبذناه ، وعلى هذا يجب أن يسير الدعاة إلى الله فوق كل أرض وتحث كل سماء وفي كل وقت يجب أن تكون الدعوة على حسب المنهج الذي سار عليه رسول الله ـ ﷺ ـ سواء كان ذلك قبل الهجرة أو بعدها ، فطريق الدعوة الصحيح هو في التزام هديه وأخلاقه وحكمه وتصرفاته على حسب ما أرادها ـ ﷺ[1] .

المطلب الرابع : أنواع المناهج الدعوية :

المناهج العلمية كثيرة حتي أنها تصل إلى العشرين منهجا أو أكثر:

مثل المنهج التجريبي، والوصفي، والاستنباطي، والتاريخي، والمقارن، والقضاءي، والعاطفي، والعقلي، والحسي. . . . . الخ ، غير أن بعضها يتماشى مع الدعوة الاسلامية وبعضها الآخر لا ينسجم معها.

وقد قسم الدعاة المناهج الدعوية إلى أربع حيثيات وهي :

1 ـ من حيث واضعها أو مصدرها : وهي تنقسم إلى قسمين :

الأول : المناهج الربانية : (وهي المناهج التي وضعها الشارع لهذه الدعوة عن طريق القرآن والسنة ، فهي مناهج معصومة من الخطأ ، وأصل للمناهج كلها)[2] ، قال تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ۝﴾[3]

ثانيا : المناهج البشرية : وهي المناهج التي وضعها الدعاة والعلماء باجتهادهم في أي جانب من جوانب الدعوة ، وهي تحتمل الخطأ والصواب

2 ـ من حيث موضوعها : (وهي تتنوع تبعا لتنوع الموضوعات التي تتناولها وذلك لشمول الدعوة الإسلامية لجميع جوانب الحياة الإنسانية ، فهناك مناهج عقدية ، وعبادية ، واجتماعية ، واقتصادية وعسكرية وأخلاقية ...)[1]

---

(1) ـ انظر : سعيد بن علي بن وهب القحطاني ، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، ن : وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد ، ط 1 ، 1423 هـ ، ص 144 .

(2) ـ محمد أبو الفتح البيانوني ، المدخل إلى علم الدعوة ، دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها ووسائلها ومشكلاتها في ضوء النقل والعقل ، ط3 ، ص 196 وما بعدها.

(3) ـ سورة ، المائدة ، آية : 50

3 ـ من حيث طبيعتها :(فهناك مناهج دعوية خاصة وأخرى عامة وهناك مناهج فردية وأخرى جماعية ونظرية وأخرى تطبيقية ، فلكل منهج من هذه المناهج طبيعته الخاصة به ، وميدانه الذي وضع له ، فالمنهج الخاص لا يصلح تعميمه والمنهج العام لا يصلح تخصيصه وهكذا)[2]

4 ـ من حيث ركائزها : (تتنوع المناهج الدعوية بجميع أنواعها السابقة من حيث ركائزها ، وذلك تبعا لتنوع ركائز الفطرة الإنسانية الثلاث القلب ، والعقل ، والحس ، فما كان من المناهج مرتكزا على القلب سمي " بالمنهج العاطفي " وما كان مرتكزا على العقل سمي " بالمنهج العقلي " وما كان مرتكزا على الحس سمي" بالمنهج الحسي أو التجريبي ")[3]

المطلب الخامس : أسس المنهج الدعوي في رسائل الأسمر :

يرجع السر في نجاح الأسمر في دعوته إلى الأسس والقواعد التي أسس عليها منهجه وهو يتحرك من أجل الدعوة ، ويمكن القول أن تلك الأسس تشتمل على دعوة المسلمين خاصة إلى الرجوع إلى الإسلام كما بينته نصوص الشريعة من دعوة إلى التوحيد والعبادات والأخلاق ، ولكي نتعرف على أسس ومقومات المنهج الدعوي في رسائل الأسمر ، ينبغي علينا أن نرجع إلى المصادر التي اعتمد عليها الأسمر في كتابة رسائله والتي يمكن من خلالها استنباط أسس المنهج الدعوي عند الأسمر

وهذه أهم الأسس التي التمسها الباحث في رسائل الأسمر :

1 ـ إقامة الحجة على المدعوين بالدليل النقلي والعقلي

لقد أقام الأسمر الدليل على كل ما يدعو إليه من عقيدة وشريعة وأخلاق ، وهذا أساس سليم في إقامة الحجة على المدعو وإظهار صدق ما يدعو إليه.

2 ـ الحكمة في الدعوة : لقد أسس الأسمر منهجه على الحكمة فاستخدم الحكمة في الإخلاص في النصيحة واختيار الأساليب المناسبة للمدعوين والرفق واللين في خطابهم والتواضع معهم والحرص على هدايتهم وحب الخير لهم وهذه كلها مظاهر من مظاهر الحكمة .

3.الوضوح في المنهج :

---

(1) ـ البيانوني ، المدخل إلى علم الدعوة ، ص 196 وما بعدها ، مصدر سابق.
(2) ـ المصدر السابق ، ص 196.
(3) ـ محمد أبو الفتح ، المدخل إلى علم الدعوة ، ص 196 وما بعدها .

إن الذي يقف على رسائل الأسمر يجد أنه قد حدد هدفه من خلال دعوته ثم استخدم جميع الأساليب المتاحة في الدعوة إلى هذا الهدف بأسلوب سهل ، وبخطاب يفهمه جميع أصناف المدعوين على اختلاف مستوياتهم العلمية .

المطلب السادس : ملامح المنهج الدعوي في رسائل الأسمر وسماته :

أولا : ملامح المنهج الدعوي :

1 ـ الدعوة إلى التوحيد أولا والحرص على تقريره وتصحيح العقيدة ، يقول الأسمر : ((إخواني عليكم بالتوحيد ...))[1] ، ((واعلموا أن التوحيد على أربعة أقسام ...))[2] ، ((وعلموا أن الإيمان بالله أول الواجبات)) [3]

2 ـ الدعوة إلى العبادات والأخلاق في قوله : ((أوصيكم بالصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج إلى بيت الله الحرام)) [4] ، ((إخواني : عليكم بحفظ قلوبكم من الخواطر المذمومة وتنظيفها من الأخلاق القبيحة المشؤومة ، وكف جميع جوارحكم من المعاصي والآثام ..)) [5]

3 ـ تعميم الخطاب الدعوي في منهجه على جميع طبقات المدعوين من علماء ومريدين وعامة ، فهو يقول : ((وأوصيك ونفسي وكافة المسلمين بتقوى الله رب العالمين ، فإنها الوسيلة إلى خيرات الدارين والأساس الذي يثبت عليه أمر الدين ، وإذا لم يكن الأساس في غاية الإحكام كان البناء عليه إلى الانهدام أقرب منه إلى التمام ...))[6] ، ((فهذه وصيتي لنفسي ولك ولجميع من قف عليها من المؤمنين والمسلمين)) [7] ، ولا يخفى ما في هذا النص من إشارة إلى تعميم الخطاب على طبقات المدعوين .

ثانيا : سمات المنهج الدعوي في رسائل الأسمر :

1 ـ السمة الأولى : الاتباع لمنهج الأنبياء والسلف الصالح في الدعوة

---

(1) ـ عبد السلام الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص204.
(2) ـ نفس الرسالة ، ص 195.
(3) ـ عبد السلام الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص191.
(4) ـ عبد السلام الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس ، ص285.
(5) ـ عبد السلام الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بتونس ، ص268.
(6) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الحميد بن علي العوسجي ، ص 151 ، وما بعدها .
(7) ـ الأسمر ، رسالة إلى محمد بن عبد الكريم الشاذلي ، ص 138 .

فمن أمعن النظر في رسائل الأسمر يجده قد سار على منهج الأنبياء ـ عليهم السلام ـ نفسه في الدعوة إلى الإسلام تقريبا ، من حيث تقديم العقيدة والدعوة إلى إصلاحها وتقديم التوحيد على العبادات والأخلاق وهذه سمة بارزة في منهجه من خلال رسائله ، فهو يقول في معظم رسائله : ((أوصيكم بمعرفة الله سبحانه وتعالى ، وما يجوز في حقه وما يستحيل ، ثم الفقه ، ثم التصوف .. ثم الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج إلى بيت الله الحرام)) [1]

2 ـ السمة الثانية : الإخلاص والتجرد في النصيحة عن المصالح والتعصب ، فالذي يطالع رسائل الأسمر يجده يخاطب جميع طبقات المدعوين لا يبتغي في ذلك غير وجه الله تعالى ، غير داع إلى التعصب إلى طائفة أو طريقة معينة أو مذهب يراه أو قول يعتقده .

3 ـ السمة الثالثة : موافقة أصول منهجه إلى أصول المنهج الرباني من الدعوة إلى التوحيد أولا وإثبات صفات الله تعالى وصفات أنبيائه ـ عليهم السلام ـ وتقرير البعث والنشور ، والدعوة إلى الشرائع كالصلاة والصوم والزكاة والحج ، والدعوة إلى الأخلاق وتزكية النفس .

المطلب السابع : أهداف المنهج الدعوي في رسائل الأسمر :

لقد بعث الله تعالى الأنبياء مبشرين ومنذرين وجعل لكل نبي دعوة ومنهاجا يدعو الناس على أساسه وإليه ، فسعى كل نبي من أنبياء الله إلى تحقيق أهداف دعوته التي بعث من أجلها وسار من بعدهم اتباعهم من العلماء والدعاة ، فكل من خالفت أهداف دعوته منهم تلك الأهداف التي أرسل الأنبياء من أجل تحقيقها ، فدعوته باطلة ومنهجه مخالف للحق ، وبالنظر إلى رسائل الأسمر نجد أن أهداف منهجه في الدعوة تدور حول النقاط التالية :

1 ـ تحقيق العبودية المطلقة لله

2 ـ تبليغ الإسلام للناس كما جاء به رسول الله ـ ﷺ ـ .

3 ـ ترغيب الناس في العبادات وتبشيرهم بثوابها وتحذيرهم من مخالفة آوامر الله ورسوله ـ ﷺ ـ .

4 ـ تذكير الناس بالموت وتحذيرهم من عذاب الآخرة .

5 ـ دعوة الناس إلى تزكية النفس

---

(1) ـ عبد السلام الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس ، ص285.

الفصل الثاني

منهج الأسمر في الدعوة

الفصل الثاني : منهج الأسمر في الدعوة

تمهيد : قبل الحديث عن الأساليب الدعوية التي استخدمها الأسمر في رسائله أود أن أبين الفرق بين الوسائل والأساليب :

إن من أهم ما ينبغي على الدعاة إلى الله معرفته أن يفرقوا بين وسائل الدعوة إلى الله وأساليب الدعوة، وأن يفهموا معنى كل منهما، حتى يكونوا على قدر من الكفاءة والعلم لتبليغ دعوة الله تعالى، فالمنهج الدعوي الصحيح هو المنهج الذي تتنوع فيه الوسائل والأساليب ، لإيصاله إلى للمدعوين على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم العلمية ، فكلما تعددت الوسائل والأساليب وتنوعت ، كلما استفاد عدد أكبر من المدعوين ، لأن الناس تختلف أذواقهم ومشاربهم في الاستجابة إلى الدعوة ، فمنهم من يستجيب بالكلام ، ومنهم من يستجيب بالفعل والقدوة في الدعوة إلى غير ذلك ، ومن هنا رأى الباحث أن يستعرض في هذا الفصل أهم الأساليب التي استخدمها الأسمر في رسائله إلى مريديه ، مثل أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة وغيرها من الأساليب ، ولكن قبل أن أبين هذه الأساليب أحب أن أوضح الفرق بين الوسائل والأساليب ، وهذا يدعوني إلى تعريف الوسيلة والأسلوب أولا .

المصطلح الأول: وسائل الدعوة.

تعريفها لغة: ((هي ما يتقرَّب به إلى الغير، والجمع وَسيلٌ ووَسائِلُ، يقال: وَسَّلَ فلانٌ إلى ربّه وسِيلةً إذا عَمِل عملاً تقرَّب به إليه))[1]، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَابْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2]

قال الإمام ابن جرير الطبري[3] : ((الوسيلة : هي "الفعيلة" من قول القائل: "توسلت إلى فلان بكذا"، بمعنى: تقرَّبت إليه، ومنه قول عنترة : ((إنَّ الرِّجَالَ لَهُمْ إلَيْكِ وَسِيلَةٌ... إنْ يَأْخُذُوكِ، تكَحَّلِي وتَخَضَّبي))[4].

---

(1) ـ ابن منظور ، لسان العرب ، ج 1 ، ص 725 .
(2) ـ سورة ، المائدة ، آية : 37.
(3) ـ محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها ، انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج 6 ، ص 69 .
(4) ـ الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج6 ، ص 226 ، ولم أقف على صاحب البيت

أما في الاصطلاح فعرفها صاحب المدخل إلى علم الدعوة بأنها : (ما توصل به إلى الدعوة) ولعل هذا التعريف مأخوذ من التعريف اللغوي للوسيلة، وفي اعتقادي فيه شيء من القصور والعموم لذا نجده يقول في موضع آخر عن تعريف وسائل الدعوة هي : ((ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية))[1] وعليه يمكن القول بأن الوسائل الدعوية : هي ما يستعمله الداعية من الوسائل الشرعية الحسية، أو المعنوية لنقل دعوته إلى المدعوين .

وينبغي للداعية معرفة الضوابط الشرعية للوسائل، ومراعاة أحوال من تستخدم معهم، حتى لا يقع في الخلل والاضطراب، فهاهنا ضابطان لا بد من مراعاتهما وهما :

أولا : الإذن بمعنى أن تكون مأذونا بها سواء إذن تنصيص أي جاءت منصوصا عليها أو بدخولها تحت قاعدة عامة كالمباح.

ثانيا: المصلحة ويشمل ذلك مناسبة المقام، واختيار الوسيلة ورجحان المصلحة على المفسدة

المصطلح الثاني : أساليب الدعوة :

تعريفها لغة : ((الأسلوب بالضم هو: الطريق والفن، يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه))[2]

وجاء في المعجم الوسيط : ((الأسلوب : الطريق ، ويقال : سلكت إسلوب فلان في كذا : طريقته ومذهبه ، وأسلوب الكاتب: طريقته في كتابته))[3]

وفي الاصطلاح عرفها البيانوني بأن الأسلوب هو : (طريقة الداعي في دعوته) أو كيفية تطبيق مناهج الدعوة) ، فأساليب الدعوة: ((الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته، أو كيفيات تطبيق مناهج الدعوة))[4] ، والمصادر الأساسية التي يستمد الداعية أساليب دعوته الحكيمة منها : هي كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وسيرة السلف الصالح .

---

(1) ـ محمد ابو الفتح البيانوني ، المدخل إلى علم الدعوة ، ص47 .
(2) ـ ابن منظور ، لسان العرب ، ج2 ، ص 178 .
(3) ـ ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، تح : مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ن : دار الدعوة ، ج1 ، ص 441 .
(4) ـ محمد أبو الفتح ، المدخل إلي علم الدعوة ، ص47.

عليه فإن جميع أساليب الدعوة إلى الله مبنية على أسلوب الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، كما قال تعالى : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[1]

وخلاصة القول إن المناهج، والأساليب والوسائل مصطلحات متلازمة، يتصل بعضها بالآخر فلا يمكن فصل أحدها عن الآخر، ولا يمكن استغناء أحدهما عن الآخر فلا نجاح للمناهج بدون تطبيق وممارسة، وهذا ما تقوم به الأساليب ولا سبيل إلى التطبيق والممارسة إلا عبر وسائط يتوصل بها إلى المدعو وهذا ما تحققه الوسائل الدعوية وقد ضرب البيانوني مثلاً لتقريب ذلك فقال: ((إذا كانت العبادة منهجًا ونظامًا فإن من أساليبها الصلاة والزكاة، والحج وما إلى ذلك من تطبيق العبادة))[2] ، فأساليب الدعوة لها مكانة بالغة في الدعوة إلى الله ﷻ .

ومما سبق يتبين لنا أن الوسائل تختلف عن الأساليب بأمور منها:

1 ـ غالبا الوسائل تكون حسية والأساليب معنوية.

2 ـ الوسائل ثابتة والأساليب متغيرة

المبحث الأول : الأساليب البلاغية في رسائل الأسمر

لعل من أبرز السمات التي يحتاجها الداعية في دعوته أن يكون أسلوبه سهلا واضحا بليغا ، موصلا للمقصد والغاية ، ولكي يصبح الأسلوب بليغا ، لابد أن يتصف بصفات عديدة ، إلا أنه يمكن إرجاع هذه الصفات إلى ثلاث صفات :

أولا : الوضوح لقصد الإفهام .

ثانيا : القوة في الاقناع.

ثالثا : الجمال لقصد الإمتاع[3]

وقد توفرت هذه الصفات الثلاثة في كثير من موضوعات الدعوة في رسائل الأسمر، كما سيتضح من خلال هذه الشواهد :

---

(1) ـ سورة ، النحل ، آية : 125 .

(2) ـ محمد أبو الفتح البيانوني ، المدخل إلي علم الدعوة ، ص 195 .

(3) ـ انظر : علي الحازم ومصطفى أمين ، البلاغة الواضحة ، ن : دار المعارف ، القاهرة ، د ، ت ، ص 13 .

المطلب الأول : الوضوح :

وهو أول ما ينبغي مراعاته لكي يصبح الأسلوب بليغا ذا تأثير في المدعوين ، إذ لا بد أن يكون الكلام واضحا مفهوما ، ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم فلا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ، والملوك بكلام السوقة ، والعامة بكلام العلماء ومصطلاحاتهم[1]

وقد حرص الأسمر في رسائله على عنصر الوضوح ، سواء في الأفكار ، أو في الألفاظ والتراكيب ، أو في الاستدلال ، فلم يكن يهدف إلى التنميق والتكلف في العبارات .

1 ـ الوضوح في الألفاظ والتراكيب :

لقد تجلت هذه الصفة في رسائل الأسمر ، وبرز في الألفاظ وتراكيبها اللفظية صفة الوضوح وعدم التكلف ، فالأسمر لا يتنمق في ألفاظه ، أو يتكلف مفردات غريبة بقصد التفاصح والتعالي ، بل يراعي أحوال المخاطبين ، ويحرص على تقريب المعاني ، لإفهام أتباعه ومريديه ، فهو لا يستعمل الألفاظ ذات المعاني المشتركة ، التي تؤدي إلى الإبهام ، كما حرص الأسمر على البعد عن الغريب من الألفاظ .

((فإني أوصيك ونفسي بتقوى الله في كل موطن ، وعلى كل حال ، وحيث ما كنت ، وبمراقبة الله واستشعار علمه واطلاعه عليك ومعيته لك وإحاطته بك على الدوام ، وبالإخلاص لله ، وبالصدق مع الله ، وبالتواضع لله ، وبالشكر لله على نعمائه والصبر لله على بلائه ، والرضا عن الله في حكمه وعند مر قضائه وحلوه ، ولا تختار على الله ، ولا تؤثر عليه شيئا سواه ، ولا تختر معه ولا تذم شيئا إلا ما أمرك ونهاك عنه على وفق ما أمرك ونهاك ، ولا تعلق قلبك بشيء سوى ربك ، وارفع همتك عن الأكوان ، ولا تعجب بنفسك ، ولا ترتفع على إخوانك ، ولا تتبع هوى نفسك الأمارة بسوء في شيء من الأشياء ، واجعل الكتاب والسنة حاكمين عليك وقائدين لك ...))[2]

2 ـ الوضوح في الاستدلال بذكر الشاهد ووجه الاستشهاد

لقد حرص الأسمر على أن تكون أدلته واضحة قوية ، قريبة المنال ، فلم يكن ممن يلوون أعناق النصوص ، لتوافق أهواءهم ، بل كان يورد الأدلة الواضحة المباشر ، فلا يكلف المخاطبين عناء البحث عن وجه الاستشهاد .

---

(1) ـ انظر : الجاحظ ، البيان والتبيين ، تح : عبد السلام هارون ، ن : مكتبة الخانجي ، ط 5 ، 1405 هـ ، ص 93 .

(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الرحمن بن عبد المؤمن الفزاني ، ص 126 .

ومن ذلك على سبيل المثال استدلاله على وحدانية الله ﷻ بقوله : الوحدانية وضدها التعدد ، وحقيقة الوحدانية سلب التعدد في الذات والصفات والأفعال ، والدليل من العقل : لو لم يكن واحدا لزم أن لا يوجد شيء من العالم[1] ، والدليل من النقل قوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[2]

ولقد استدل على أركان الدين بحديث عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ حيث قال عليه الصلاة والسلام : ((بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان))[3]

المطلب الثاني : القوة في الإقناع :

لقد تميزت عبارات الأسمر بالقوة والبيان ، فلم يكن الأسمر أديبا أو شاعرا يطرب القارئ ، بل كان داعية صدق وإمام خير ومشعل هدى ونور ، قد رزق من العلم وقوة الحجة ما أعانه على أداء دعوته .

ومن مظاهر قوة الأسلوب عند الأسمر :

1 ـ كثرة الأدلة والشواهد :

حرص الأسمر على كثرة الاستشهاد بالنصوص من آيات وأحاديث وآثار عن الصحابة والسلف الصالح من أئمة التصوف والفقه ، حيث اشتملت جميع رسائل الأسمر على ذلك .

وبتتبع الشواهد في رسائل الأسمر ، نجد أنه استشهد فيها بالآيات ، أو أشار إليها في 114 موضعا ، واستشهد فيها بالأحاديث الشريفة أو أشار إليها في 316 موضعا، وأورد فيها آثرا من أقوال السلف الصالح .

ولا شك أن كثرة النصوص والأدلة والاستشهادات في رسائل الأسمر تزيد من قوة الأسلوب ورصانته وقدرته على الإقناع

ومن الجدير بالذكر أن الأسمر كان أحيانا يورد النص كاملا ، وأحيانا يذكره مختصرا ، وأحيانا يكتفي بالإشارة إليه فقط ، أو الإحالة إليه دون ذكره ، كقوله في معرض الحديث عن مشروعية النصيحة والوصية : ((وكنت أيها المحب سألتني أن

---

(1) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى عبد الرحمن بن ساعد ، وعلي بن محمد أبو سلامة بمدينة غريان ، ص 200.

(2) ـ سورة ، الإخلاص ، آية : 1.

(3) ـ البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: بني الإسلام على خمس، حديث رقم 7، ج 1، ص9 .

أكتب لك وصية تأنس بها وتتمسك بسببها ، وقد أجبتك إلى ذلك ، وإن لم أكن أهلا لما هنالك ، وإن لك في التماس هذا الأمر ولي في إسعافك به الأسوة الحسنة بالسلف المهتدين ، والخلف المقتدين ـ ﷺ أجمعين ـ فقد كان الاستيصاء والإيصاء من سيرهم وأخلاقهم ، وقد وصفهم الله بذلك في كتابه المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فاطلبه تجده واضحا في سورة البلد ، والعصر إن الإنسان))[1]

وكذلك في معرض حديثة عن مشروعية اتخاذ العهد على المريد ((وإليه الإشارة بقول العلماء : يوم ألست بربكم))[2]

وكقوله في معرض التحذير من الاهتمام بالرزق والخوف من الفقر : ((ولا تدخل قلبك خوف الفقر فبئس القرين هو ، واحذر الاهتمام بالرزق فليس له مستند إلا الشك في المقدور ، وما قدر لك وعليك فلا بد أن يصل إليك بسعي وبدون سعي حسبما جرى به القلم في أم الكتاب ، فما وجه الاهتمام بأمر قد فرغ منه وسلاك الحق عنه حتى أخبرك في كتابه انه ضمن لك به وأقسم على ذلك بربوبيته[3] ، فاصرف همك إلى القيام بما فرض عليك من حقه))[4]

2 ـ الاستدلال على كل جزئية من كلامه :

من دلائل قوة أسلوب الأسمر أنه كان يستدل أحيانا على كل جزئية وكل مسألة من المسائل التي يوردها ، زيادة في التأكيد والإقناع [5] ، خاصة في جانب العقيدة .

3 ـ الدقة في الاستدلال وعدم التكلف :

لم يكن الأسمر بحاجة إلى التكلف في الاستدلال أو ليّ أعناق النصوص كما يفعل أصحاب الأهواء والبدع ، بل كانت دعوته واضحة جلية المعالم ، تنطق بها النصوص وتدل عليها الشواهد ، ولذلك تميز أسلوبه بالدقة وعدم التكلف ، ويمكن أن يقال : إن الشواهد على هذه الميزة هي بعدد النصوص الواردة في رسائل الأسمر ،

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الحميد بن علي العوسجي ، ص 151 .
(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس الأقصى ، ص 324.
(3) ـ يشير بذلك إلى قوله تعالى : ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ ، سورة ، الذاريات ، آية : 22.
(4) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الحميد بن علي العوسجي ، ص 158 .
(5) ـ انظر : على سبيل المثال رسالته إلى أصحابه بمنطقة تمبكتو .

فلا تكاد ترى نصا إلا وهو يدل دلالة واضحة دقيقة على ما استدل به الأسمر دون تكلف ، ولا شك أن ذلك مما يزيد الأسلوب قوة في الإقناع .
ومن الأمثلة على ذلك ما استدل به على قواعد الكفر بقوله تعالى :
﴿وَمَنْ يَّكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَالْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلاً بَعِيداً ﴿١٣٥﴾﴾[1]
كذلك استدل على مخالفة الله تعالى للحوادث بقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[2]

المطلب الثالث : الجمال لقصد الإمتاع :

إن صفة الجمال صفة لازمة ، لا غنى للكاتب في مجال الدعوة عنها في أسلوبه ، ولدراسة الأساليب الجمالية في رسائل الأسمر يحتم علينا الاستعانة بالمنهج البنيوي في إحصاء الألفاظ وتحديد معانيها الرئسية المفردة والسياقية لإظهار المواطن الجمالية في نص الرسائل[3].

أولا : الصور الخيالية :

القراءة الأولية للنص في رسائل الأسمر تفصح عن استعماله للحقيقة أكثر من المجاز ، وهذا لا شك أنه من متطلبات النصيحة في الرسائل ، حتى لا تؤول أو يختلف في معانيها ومقاصدها الدلالية ، ولقد اعتمد الأسمر في كتابة الرسائل على الاقناع العقلي ، لكنه لم يعدم الاستعانة بالصور الخيالية لتقريب الصورة لدى القارئ ، ومن ذلك ما يلي :

1 ـ كقوله : ((وأوصيك : بحفظ اللسان فإنها التي يتوقف على استقامتها استقامة القلب ، وهي كما قال الحكماء : اللسان كالسبع إن حبسته حرسك ، وإن أرسلته افترسك ، فاجتهد في إشغالها بما يعنيك ، وذلك كالتلاوة ، والذكر والدعوة إلى الخير))[4] ، ولا يخفى ما في هذا النص من تشبيه .

---

(1) ـ سورة ، النساء ، آية : 135.
(2) ـ سورة ، الشورى ، آية : 9.
(3) ـ انظر : أحمد قاسم كاسر ، القضايا اللغوية والأسلوبية في الوصية الكبرى للشيخ عبد السلام الأسمر ، مجلة الجامعة الأسمرية ، العدد 11 ، ص 440 .
(4) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد المجيد بن علي العوسجي ، ص 155

2 ـ وكقوله في ضابط المجالسة والمخالطة :

((فلا تجالس إلا من تنفعك مجالسته في دينك ، فإن تعذر عليك ففر من مجالسة من تضرك مجالسته في الدين فرارك من السبع الضار وأشد ، فإن السبع إنما يضر بك في ظاهرك الذي هو طعمة لهوام الأرض ، وأما هذا الشيطان فإنه يضرك في قلبك الذي به تعرف ربك ، وفي دينك الذي به تنجو في آخرتك))[1] ، ولا يخفى ما في هذا النص من التشبيه .

وقوله : ((فإن الدين ضيف وأنتم كالأضياف في الدنيا فتزودوا للسفر الطويل))[2]

ثانيا : الأساليب الخطابية :

1 ـ لقد تنوع الأسلوب في رسائل الأسمر بين الخبر والإنشاء ، للتقرير والتأكيد والنصح والإرشاد ومن بين الأساليب الإنشائية النداء كأسلوب الطلب ، فقد التزم كلمة (إخواني ، وأصحابي) في غالب رسائله ، وفيها حدف أداة النداء (يا) وأخواتها للدلالة على قرب المرسل من المرسل له عاطفيا ومعنويا ، وكذلك إضافة يا المتكلم في لفظة (إخوان) للدلالة على الرابطة بينهما ، وقد يستعمل فعل الأمر (واعلموا) لتنبيه القارئ على أهمية الأمر كما قال : ((واعلموا : أن فائدة العلم العمل به))[3]

2 ـ إن اسم الفعل " عليكم " تردد كثيرا في رسائل الأسمر للدلالة على الإلتزام ، وأكثر صيغة جاءت للدالة على النهي هي (إياكم) الدال على التحذير ، وقد يكرر اللفظ للدلالة على شدة التحذير من الأمر ((وإياكم ثم إياكم : أن تذكروا حال الزوجة في فراشها))[4]

والغرض من إستخدام هذا الأسلوب هو جذب انتباه المدعوين ليقبلوا بعقولهم وحواسهم لتلقي رسائله .

3 ، في الرسائل توكيد وتكرار وإطناب وتعليل وكلها تشير إلى الأهمية في التعبير وحرص الأسمر على هداية مريدية وأن يكون خطابه واضح مفهوم من الجميع .

ثالثا : المحسنات البديعية

1 ـ السجع من غير تكلف ومنه قوله : ((واعلموا أن الدنيا دنية ، ، وإذا أقبلت أدبرت ، وإذا أمنت خانت ، دنية الملاهي والتباهي والدواهي تخلي قلوب الخلق على طاعة

---

(1) ـ المصدر السابق ، ص 156 .
(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بالزاوية الغربية ، ص 169 .
(3) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمالي ، ص 250.
(4) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمالي ، ص 245.

الله ... دنية الهم والغم ، دنية الغرور والنكور ، دنية المحن والفتن ، دنية النحوس والتعوس))[1]

2 ـ الطباق بين قوله : (وإذا أؤتمنتم فلا تخنوا) وقوله : (فكونوا حيين ولا تكونوا ميتين ، وكونوا بحياة الطاعة متصلين غير منفصلين ، وكونوا مقربين ولا تكونوا مبعدين)[2]

3 ـ الجناس في قوله : ((من ترك شهوة النواب دون النصاب فما أصاب ، ومن ترك شهوة النصاب دون النواب فما أناب))[3] ، (فتقتبسون الأنوار من أنوارها ، و الأسرار من أسرارها) وقوله : (فهذه دنيا دنية الملاهي والتباهي والدواهي .. دنية الهم والغم ، دنية الغرور والنكور ، دنية المحن والفتن ، دنية النحوس والتعوس ، دنية الدخول والفضول ..)[4] ، ولا يخفى ما في نص الأسمر من جناس لفظي بين لفظ (الأسرار من أسرارها) ولفظ (الهم والغم) وهو الذي يسميه أهل اللغة بالجناس اللفظي المحرف لعدم تساوي جميع الحروف في الكلمتين .

المبحث الثاني : الحكمة والموعظة الحسنة

المطلب الأول : أسلوب الحكمة

أولاً: تعريف الحكمة لغة واصطلاحا : الحكمة في لغة العرب تأتي بعدة معانٍ وهي:

1 ـ تستعمل بمعني العدل، والعلم ،والحلم ،والنبوة ،والقرآن ، والسنة ، وما إلي ذلك من إطلاقات .

2 ـ وتطلق علي العلة يقال حكمة التشريع ، وما الحكمة من ذلك ؟ وعلي الكلام الذي يقل لفظه ويجل معناه ، ويقال للرجل حكيم إذا أحكمته التجارب ، أحكم الأمر أتقنه[5]

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بتونس ، ص 280 .
(2) ـ انظر : أحمد قام كسار ، القضايا اللغوية والأسلوبية في الوصية الكبرى ، مجلة الجامعة الأسمرية ، العدد 11 ، ص 441 .
(3) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الحميد العوسجي ، ص 166 .
(4) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بتونس ، ص 280 ، وانظر : أحمد قام كسار ، القضايا اللغوية والأسلوبية في الوصية الكبرى ، مجلة الجامعة الأسمرية ، العدد 11 ، ص 441 .
(5) ـ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (حكم) ج12 ص140 ـ 143 ، والمعجم الوسيط ، ج1 ، ص189.

3 ـ والحكمة : ((إصابة الحق بالعلم والعقل ، فالحكمة من الله تعالي معرفة الأشياء، وإيجادها علي غاية الإحكام ، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات))[1]

4 ـ الحكمة : ((عبارة عن معرفة أفضل الأشياء ، بأفضل العلوم))[2]

5 ـ وضع الأشياء مواضعها ، ومنها الإصابة في القول والعمل معا[3]

ثانيا : الحكمة اصطلاحًا:

ذكر الجرجاني[4] ، والتهانوي ، وابن حجر للحكمة تعريفات كثيرة تختلف باختلاف نوع الحكمة من ناحية واختلاف من يتناولها من العلماء من ناحية أخرى ومن أهم هذه التعريفات ما نقله ابن حجر عن النووي بقوله أن الحكمة : هي العلم المشتمل على المعرفة بالله مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكشف عن ضده ، والحكيم من حاز ذلك[5] ، وقيل : الحكمة معرفة الحق لذاته والخير لأجل العمل به وهو التكاليف الشرعية[6] ، وقيل الحكمة معرفة آفات النفس والشيطان والرياضات[7] ، وقيل : الإصابة في القول والفعل ، وقيل : معرفة الحق والعمل به ، وقيل : العلم النافع ، والعمل الصالح ، وقيل : الخشية لله ، وقيل السنة ، وقيل : الورع في دين الله ، وقيل: العلم والعمل به ، وقيل : وضع كل شيء في موضعه ، وقيل : الفهم عن الله ، وقيل ما يشهد العقل بصحته ، وقيل : نور يفرق به بين الإلهام والوسواس وقيل : سرعة الجواب بالصواب ، وقيل غير ذلك[8] ، وهذه الأقوال كلها قريب بعضها من بعض ، لأن الحكمة مصدر من الإحكام وهو الإتقان في القول والفعل ، فكل ما ذكر فهو نوع من الحكمة ، فكتاب الله حكمة ، وسنة نبيه ـ ﷺ ـ حكمة ، فكل ما ذكر من التفصيل فهو حكمة ، وأصل الحكمة ما يمتنع به من

---

(1) ـ الراغب ، مفردات القرآن ، ص127.
(2) ـ ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج1 ، ص419.
(3) ـ انظر : ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، باب الحاء مع الكاف ـ مادة : حكم ج 1 ص 419.
(4) ـ علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف. من كبار العلماء بالعربية ، انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج5 ، ص 7 .
(5) ـ انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ص 549 .
(6) ـ انظر : التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، ص 370 .
(7) ـ انظر : الجرجاني ، التعريفات ، ص 97 .
(8) ـ انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ج7 ، ص 126 .

السفه ، فقيل للعلم حكمة لأنه يمتنع به من السفه ، وبه يعلم الامتناع من السفه الذي هو كل فعل قبيح[1] ، يقول ابن كثير : الحكمة : هي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والمتجه إلى الفكر مباشرة من غير إثارة الوجدان وتهيج الانفعال[2]

ومن جملة هذه التعريفات يصبح تعريف أسلوب الحكمة الدعوية : بأنه الأسلوب الذي يضع الشيء موضعه فيكون أسلوب الحكمة شاملا لجميع الأساليب الدعوية على هذا التعريف .

ثالثا : حكم أسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله:

الحكمة في الدعوة إلى الله واجبةٌ على من تجب عليه الدعوة، وكذلك تجب على من كانت الدعوة في حقه مندوبة والدليل على ذلك قوله تعالى :

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[3]

والدعوة بالحكمة تكون بمراعات مقتضى الحال ، ومخاطبة الناس على قدر عقولهم وبما يعرفونه ، وأخذهم بالرفق والتيسير والسماحة ، والتلطف واختيار الوقت المناسب ، للموعظة التي يراد وعظهم بها ، حتى تتقبلها النفوس ، وتنتفع بما فيها من خير ، يقول الأسمر : ((العلماء أطباء الدين وأمناء الرسل فإذا كان الطبيب يجر الداء إلى نفسه فكيف يداوي غيره))[4] ، والحكمة في الدعوة إلى الله هي سجية الأنبياء والمرسلين في دعوتهم إلى الله رب العالمين، قال الله تعالى: ﴿ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾[5]

---

(1) ـ انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ج 3 ، ص330.
(2) ـ انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج1 ، ص 318 .
(3) ـ سورة ، النحل ، آية : 125 .
(4) ـ الأسمر، رسالة إلى أصحابه بمدينة طرابلس الغرب، ص 224، وانظر : رسالته إلى أصحابه أصحابه بتنبكتو بمالي غرب إفريقيا ، ص 249 .
(5) ـ سورة ، النساء ، آية : 53.

وقال تعالي : ﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهاً ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً ﴿٣٩﴾﴾[1]

وللحكمة مظاهر عديدة من أهمها ، ما يلي :

1 ـ التدرج في الدعوة والبدء بالأهم فالأهم

2 ـ تحري الأوقات والأماكن المناسبة

3 ـ مراعاة أحوال المدعوين ومستوياتهم العلمية

4 ـ الموازنة بين المصالح والمفاسد

5 ـ الرفق واللين في الدعوة

رابعا : أمثلة لبعض مظاهر الحكمة في رسائل الأسمر :

أولا : التدرج في الدعوة

يتجلى أسلوب الحكمة في رسائل الأسمر في حرصه على الدعوة و تقديمه الدعوة إلى الأصول قبل الفروع من معرفة الله والإيمان به وخشيته ، والعلم والعمل به ، ومعرفة آفات النفس ومجاهدتها إلى غير ذلك من الأخلاق التي يدعو لها ، وأسلوب التدرج في الدعوة من الأساليب المهمة لنجاح عملية الدعوة ، لذلك فهو يعد مظهر من مظاهر الحكمة عند الأسمر .

ثانيا : مراعاة أحوال المدعوين

لا يكون الداعي داعية حتى يعرف أحوال من يدعوهم ومستوياتهم العلمية والعملية ، ويتدرج بهم من المهم إلى الأهم ، وهذا ما قرره الأسمر إلى مريديه حيث قال : ((إخواني : اعملوا بما سأقرره لكم على كيفية الجلوس ، فإذا جلستم مع أهل التوحيد فحدثوهم بالعقائد الأشعرية والسنوسية ، وإذا جلستم مع أهل القرآن فحدثوهم بالحذف والإثبات والتدبر والترتيل ... وإذا جلستم مع أهل الدنيا فحاضروهم برفع الهمة عما في أيديهم ، مع تعظيم الآخرة ، وإذا جلستم مع أهل الآخرة فحاضروهم بوعظ الكتاب والسنة وتعظيم دار البقاء ، وإذا جلستم مع الملوك فحاضروهم بسيرة أهل العدل وسياسة العقلاء مع حفظ الأدب معهم والعفاف عما في أيديهم))[2] ، فهذا النص من الأسمر يدل دلالة واضحة على أهمية معرفة أحوال المدعوين في الدعوة .

---

(1) ـ سورة ، الإسراء ، آية : 39.

(2) ـ عبد السلام الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمالي ، ص 243 ، 244.

ثالثا : الرفق واللين :

بين ـ ﷺ ـ أن من حرم الرفق حرم الخير كله ، فقال ـ ﷺ ـ ((من يحرم الرفق يحرم الخير))[1] ، ويقول الرسول ـ ﷺ ـ في حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ ((إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه))[2] ، يقول الأسمر وهو يحث تلميذه محمد بن عبد الكريم الشاذلي على الرفق واللين في الخطاب : ((وإذا أمرت أحدا بمعروف أو نهيته عن منكر فليكن ذلك برفق ولطف وشفقة))[3] ، والداعية الحكيم هو الذي يوازن بين المصالح ويعطي كل شيء حقه من غير إفراط ولا تفريط ، وهذا هو منهج الأنبياء في الدعوة

المطلب الثاني : الموعظة الحسنة

الموعظة : هي توجيهات تفيد تقريب النفوس بين الداعي والمدعوين بما تشتمل عليه من لطف ولين وإثارة [4] ، وتعد الموعظة من أهم أساليب الدعوة لأن الواعظ هدفه من موعظته هداية الناس للخير ، وغايته إسعادهم في الدنيا والآخرة ، فجميع أنبياء الله كانت دعوتهم قائمة على هذا الأساس وهو الوعظ والإرشاد لإخراج الناس من الظلمات إلى النور .

أولا : تعريف الموعظة لغة : جاء في لسان العرب لابن منظور : أن الوعظ والعظة " بالفتح والكسر " والموعظة النصح والتذكير بالعواقب ، قال : ابن سيدة[5] : ((هي تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب))[6] ، وقال الراغب الأصفهاني : ((الوعظ : النفع والتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرق له القلب

---

(1) ـ مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب :فضل الرفق ، رقم الحديث 4694، ج 12 ، ص 483.

(2) ـ مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : فضل الرفق ، رقم الحديث 4698 ، ج 12 ، ص 487

(3) ـ الأسمر ، رسالة إلى محمد بن عبد الكريم الشاذلي ، ص 137.

(4) ـ انظر : الباروني ، الدعوة والداعية ، دار الوفاء ، السعودية ، 1987م ، ص 36 بتصرف .

(5) ـ علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، أبو الحسن: إمام في اللغة وآدابها. ولد بمرسية (في شرق الأندلس) وانتقل إلى دانية فتوفي بها ، سنة (458 هـ) ، انظر : الأعلام ، ج4 ، ص 263 .

(6) ـ ابن سيدة ، المخصص ، تح : خليل إبراهم جفال ، ط1 ، ن : دار إحياء التراث العربي - بيروت - 1417هـ 1996م ، ج4 ، ص 62 .

ويبعث على العمل ، وهو زجر مقترن بتخويف)) [1] ، وقال الخليل[2] : ((الوعظ : هو التذكير بالخير وما يرق له القلب)) [3]

ثانيا : تعريف الموعظة اصطلاحا : هي ما يوعظ به من توجيه إلى الخير وتحذير من الشر[4] ، وقيل : الموعظة والوعظ الوصية بعمل الخير واجتناب الشر بإسلوب الترغيب والترهيب الذي يرقق القلب ويلهب العاطفة ويبعث على الإحسان في العمل[5] ، وقيل : هي القول اللين الرقيق من غير غلظة ولا تعسف [6]

وحقيقة الموعظة : التذكير والتحذير مما يخاف عاقبته[7] ، وهي وسيلة كلامية يسعى الواعظ من خلالها إلى التأثير في المدعوين بالإسلوب المناسب للحال والمقام ، ولقد وعظ رسول الله ـ ﷺ ـ أصحابه بمواعظ متناسبة مع الحال والزمان ، فمنها ما رواه العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ قال : (وعظنا رسول الله ـ ﷺ ـ يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل : إن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله))[8]

---

(1) ـ الأصفهاني ، المعروف بالراغب ، المفردات في غريب القرآن ، ن : دار المعرفة ، د، ن : ت، ط ، مادة : وعظ ، ص 527 .

(2) ـ الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن: من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى وكان عارفا بها. وهو أستاذ سيبويه النحويّ ، توفي سنة (170 هـ) ، انظر : الأعلام ، ج 2 ، ص 314 .

(3) ـ ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام محمد هارون ، ن : اتحاد الكتاب العرب ، 1423 هـ ، 2002 م ، ج6 ، ص 96 .

(4) ـ انظر : عبد الكريم يونس الخطيب ، التفسير القرآني للقرآن ، ن : دار الفكر العربي ، القاهر ، ، ج 2 ، ص 356 .

(5) ـ انظر : محمد محمود الحجازي ، التفسير الواضح ، ن : دار الجيل الجديد ، بيروت ، ط 10 ، 1413 هـ ، ج 2 ، ص 70 ، وانظر : علي محفوظ ، هداية المسترشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ، ن : دار الاعتصام ، ط 9 ، 1399هـ ، 1979 م ، ص 71 .

(6) ـ محمد ثناء الله، التفسير المظهري، تح : غلام نبي التونسي، ن : مكتبة الرشدية، الباكستان، ج 5 5 ، ص 390 .

(7) ـ البغوي ، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح : عبد الرزاق المهدي، ن : دار إحياء الثرات العربي، بيروت ، ط1 ، 1420 هـ ، ج 2 ، ص 233 .

(8) ـ الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث : 2676 ، ج 5 ، ص 44 .

ولقد ورد لفظ الموعظة في القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[1]

، وفي هذه الآية الشريفة تقرير لاسلوب الوعظ ، وفيها أن الوعظ لابد من تقييده بخلق الداعية المسلم المستنير بنور الله المستهدي بهدي رسول الله ـ ﷺ ـ كي تكون الموعظة حسنة[2] ، قال ابن عاشور[3] : ((وقيدت الموعظة بالحسنة ولم تقيد الحكمة الحكمة بمثل ذلك لأن الموعظة لما كان المقصود منها غالبا ردع نفس الموعوظ عن أعماله السيئة أو عن توقع ذلك منه ، كانت مظنة لصدور غلظة من الواعظ ولحصول انكسار في نفس الموعوظ أرشد الله رسوله أن يتوقى في الموعظة أن تكون حسنة))[4] ، ولقد هدتنا الآية الكريمة بمنطوقها ومفهومها إلى أن من الموعظة ما هو حسن وهو الذي تكون به الدعوة ، ومنها ما هو ليس بحسن فيجتنب[5] ، وللموعظة درجات كثيرة يجب على الداعية أن يراعي فيها حال المدعو ، ويستخدم معه الدرجة المناسبة من الوعظ[6] ، فقد يكون عند بعض المدعوين شيء من الجفاء والإعراض والصدود مع معرفته للحق وعلمه به ، فهذا يدعى بالموعظة الحسنة ، والمتأمل في واقع الناس يجد أن هذا الصنف هو الغالب وذلك بسبب غلبة الشهوة على نفوسهم من شهوة البطن أو شهوة الفرج وغيرها كثير ... ولذلك نجد العصاة أكثر من المطعين والمنحرفين أكثر من المستقيمين ، وذلك لاستحكام الشهوات من نفوسهم ، واطباقها على عقولهم وقلوبهم ، فهذا الجنس من الناس يستخدم معه أسلوب الوعظ العام والخاص ، من ذكر

---

(1) ـ سورة ، النحل ، آية : 125.
(2)ـ انظر : عبد الرب بن نواب الدين بن غريب الدين آل نواب ، أساليب دعوة العصاة ، ن : الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ط36 ، 1424هـ ، ص 189.
(3)ـ محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، (1296 - 1393 هـ = 1879 - 1973م) ، انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج 6 ، 174.
(4) ـ محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ن : الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984م ، ج 14 ، ص 329 .
(5) ـ انظر : عبد الحميد محمد بن باديس ، تفسير ابن باديس " في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير " ، تح : أحمد شمس الدين ، ن : دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1 ، 1416 هـ ، 1995م ، ج1 ، ص 324 .
(6) ـ انظر : عبد الرحمن حبنك الميداني ، أجنحة المكر الثلاثة ، ن : دار القلم ، دمشق ، ط 8 ، 1420 هـ ، 200 م ، ص 608 .

نصوص الترغيب والترهيب على حسب المقام والحال ، ومن التذكير بأيام الله وما جرى للظالمين والعصاة والفاسقين ، ويرغبون في الحق ويبين لهم محاسنه وفضائله ، حتى يتركوا ما ألفوه من باطل ، فانتزاع ما ألفه الناس من الباطل ليس بالأمر الهين ، بل دونه مفاوز وعقبات لا يتجاوزها إلا من وفقه الله تعالى[1] ، ولذلك أمر الله تعالى نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالعظة ، فقال تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾[2] ، وهذا مسلك الأنبياء قبله والقرآن أغلبه عظة ، ففيه الترغيب والترهيب وذكر الجنة والنار وقصص الأولين وما حصل لهم ، والتوعد للظالمين بأن لهم سوء المنقلب .

ثالثا : أهمية الموعظة الحسنة:

تظهر أهمية الموعظة الحسنة من عدة أمور أبرزها:

1- أمر الله لنا باستخدامها في الدعوة :

تجلى ذلك في قوله ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[3]، وقال جل شأنه: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[4] ، وقال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِۖ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَۖ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾[5] ، وقال جل

---

(1) ـ انظر : عزيز بن فرحان العتري ، التبصر في الدعوة إلى الله ، تقديم : صالح بن عبد العزيز ، ن : دار الإمام مالك ، أبو ظبي ، ط1 ، 1426 هـ ، 2005 م ، ص 103 ، 104 .
(2) ـ سورة ، النساء ، آية : 62.
(3) ـ سورة ، النحل ، آية : 125 .
(4) ـ سورة ، طه ، آية : 43.
(5) ـ سورة ، البقرة ، آية : 82.

شأنه : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾[1]

ومعلوم أن الشارع ﷻ لا يأمر إلا بما فيه الخير وصلاح الناس، وعندما يوجه رسله وعباده ويأمرهم بأن يستعملوا أسلوبًا بعينه- كما هو الحال في أسلوب الموعظة- فإن ذلك يدل على أهمية ذلك الأسلوب ومن هنا تتجلى لنا أهمية الموعظة الحسنة .

2- كونها من الأساليب التي يستخدمها الأنبياء في الدعوة كما أشار إلى ذلك قوله ﷻ: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾[2] ، وكان ذلك على لسان نوح عليه السلام. وجاء على لسان هود عليه السلام. قوله جل جلاله: ﴿ وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٧﴾﴾[3] ، ومعلوم أن أساليب الأنبياء هي وحي من الله لهم ونحن مأمورون بالتأسي بهم وأخذ الأساليب عنهم بنص القرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴿٩٠﴾﴾[4] ، ومن هنا تظهر لنا أهمية أسلوب الموعظة الحسنة والتي كسبت هذه الأهمية من استعمال الأنبياء لها في الدعوة إلى الله .

3- مبايعة الرسول ـ ﷺ ـ صحابة عليها: جاء في الحديث ((بايعت رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم))[5] ، والشاهد من هذا الحديث قوله : (والنصح لكل مسلم) ، والنصح شكل من أشكال الموعظة الحسنة ، ولو لم تكن الموعظة على هذه الدرجة من الأهمية لما بايع الرسول ـ ﷺ ـ الصحابة عليها .

4- سهولة استخدامها في كل الأحوال: تظهر أهمية الموعظة الحسنة في كونها سهلة الاستخدام في جميع أحوال الدعوة قوة وضعفًا ضمورًا وظهورًا سرًا أو جهرًا. وأسلوب بهذه السهولة واليسر في الاستخدام في جميع الأحوال جدير بأن يكون مهمًا في مجال الدعوة إلى الله .

---

(1) ـ سورة ، النساء ، آية : 62.
(2) ـ سورة ، الأعراف ، آية : 61.
(3) ـ سورة ، الأعراف ، آية : 67.
(4) ـ سورة ، الأنعام ، آية : 91.
(5) ـ ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، باب : ما يستحب للإمام أخذ البيعة فيه من الناس ، رقم الحديث الحديث 4545 ، ج 10 ، ص 411.

5- جعلها الرسول - ﷺ - هي أساس الدين: وذلك في قوله: (الدين النصيحة)[1] ، والنصيحة كما هو معلوم شكل من أشكال الموعظة الحسنة. فإذا كانت النصيحة - التي هي شكل من أشكال الموعظة الحسنة – ذات أهمية كبرى وقصوى لما قال المعصوم عنها أنها هي الدين حين قال: (الدين النصيحة)

6- حاجة الكل إليها: تكتسب الموعظة الحسنة أهميتها من كونها أسلوب يحتاجه جميع أفراد وطوائف المجتمع على اختلاف أعمارهم، وأحوالهم، ومستوياتهم فمن حيث الأعمار فالأطفال يحتاجونها وتستخدم معهم وكذلك الشباب والكهول. كما أنه يمكن استخدامها في جميع الأحوال من فرح وحزن، وحرب وسلم، وأمن وخوف. ويمكن استخدامها مع الأمراء والحقراء، ومع العلماء والأميين ومن هنا تكتسب الموعظة الحسنة أهميتها وتعتلي منزلتها السامية بين أساليب الدعوة إلى الله .

والموعظة الحسنة أسلوب فى الدعوة إلى الله تعالى وطريقة فى التبليغ ومنهج قويم يحبب فى الدعوة ولا ينفر منها ، يقرب إليها ولا يبعد عنها ، ييسرها ولا يعسرها إن الموعظة الحسنة تدخل القلوب برفق ، وتعمق المشاعر بلطف ،فهى النصح والتذكير بالعواقب سواء كان بالاستمالة والترغيب أم بالزجر والترهيب أو هى القول الحق الذى يلين القلوب ويؤثر فى النفوس ، فيكبح جماح الشارد منها ، ويزيد المهذبة إيمانا وهداية وجمالا ، وقيل هى : النصح والتذكير بالخير والحق على النحو الذى يرق له القلب ويبعث على العمل وقيل هى مجموعة من العبر النافعة والخطابات المقنعة والإرشادات المخوفة على وجه لا يخفى على المدعوين أن الداعى ينصحهم ويقصد نفعهم

شروط أسلوب الموعظة الحسنة:

لكي ينجح أسلوب الموعظة الحسنة في المجال الدعوي في صفوف المدعوين ، فالواجب على الداعية مراعاة ما يأتي:

1- الموازنة والاعتدال بين الترغيب والترهيب، فلا يجعل الداعيةُ كل حديثه ترغيباً ولا كله ترهيباً، بل يتناوب بين الاثنين، حتى لا يطغى جانب على جانب ، والمتأمل في آيات القرآن يجد أن الله تعالى كثيرا ما يورد آية نعيم ثم يردفها بآية عذاب، وكذلك يورد آية عذاب ثم يتلوها بآية نعيم

وهذا من رحمة الله تعالى بعباده أن دعاهم في القرآن بأسلوبي الترغيب والترهيب كليهما، فالأصل أن أسلوب الترغيب يكون موازيا لأسلوب الترهيب، والرجاء يوازي

---

(1) - مسلم ، صحيح مسلم ، باب : بيان أن الدين النصيحة ، رقم الحديث 205 ، ج 1 ، ص 241.

الخوف، لئلا تتمادى النفس في المعاصي مغترّة برحمة الله ومغفرته، ولا تيأس وتقنط من رحمته خوفا من عذابه[1]

2- أن يعتمد الداعية في الترغيب والترهيب على القرآن والحديث النبوي، لإثارة الانفعالات وتربية العواطف الوجدانية، فهما المحرك والدافع الأقوى للسلوك، وعن طريق إثارة هذه الدوافع يبلغ الداعية هدفه[2]

3- اغتنام الفرص المناسبة التي تتهيأ فيها النفوس للموعظة، وتتقبلها، مع التخوُّل بالموعظة وعدم المبالغة والإكثار منها كي لا تنفر النفوس منها[3]

4- مراعاة أحوال المدعوين ونفسياتهم أثناء الموعظة، وخصوصاً إذا كانت الموعظة خاصة بعالم معيّن أو طالب علم أو حالة ما معروفة معيّنة، فيحسن أن تكون الموعظة سرية بعيدة عن التشهير والتجريح، ويظهر فيها الشفقة وحب الخير للمدعو والرأفة به[4]

5- أن يكون الترغيب والترهيب مصحوباً بتصوير يجسد مظاهر الجنة والنار والثواب والعقاب، لتستطيع النفس أن تتخيل وتشعر مباشرة بالمرغّبات والمرهّبات، وهذه الطريقة مجدية بشكل خاص مع أصحاب الخيال وأصحاب العواطف الجياشة[5]

ميزات أسلوب الموعظة الحسنة :

تمتاز الموعظة الحسنة بسهولة عبارتها، ويسر أسلوبها، مما يجعلها أنفذ للقلوب، وأوقع في النفوس، ولذلك كثر الوعاظ من الناس، وعمّ نفعهم القاصي والداني ، والموعظة الحسنة من أعظم أساليب الدعوة أثرًا، وأكثرها ثمارًا، وأوسعها انتشارًا.

والموعظة الحسنة لها أثر عجيب في تهذيب النفوس وإصلاح القلوب، فالقلوب كالأجسام يعرض لها من الأمراض والعلل ما يطفئ نورها، وقد يفقدها حياتها، وذلك بوُرودها موارد الغيّ والضلال، وانهماكها في اللذات والشهوات، والتهاون بالأوامر والنواهي، وعدم المبالاة بأنواع والفجور وسيئات البدع ، ونبذ الآداب الدينية والأخلاق المحمديّة.

---

(1) ـ انظر: محمد سعيد رمضان البوطي ، منهج تربوي فريد في القرآن ، ن : مكتبة الفارابي ، دمشق ، ط 1 ، ص 82 ـ 93 ، وعبدالرحمن النحلاوي ، أصول التربية الإسلامية ، ص 263-264 ، والدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب ، ص 102-103 .

(2) ـ انظر: عبدالرحمن النحلاوي ، أصول التربية الإسلامية ، ص 259-261 .

(3) ـ انظر: عبدالرحمن النحلاوي ، أصول التربية الإسلامية ، ص 259-261 .

(4) ـ انظر: عبدالرحيم المغذوي ، وسائل الدعوة ، ص 69 .

(5) ـ انظر: عبدالرحيم المغذوي ، وسائل الدعوة ، ص 69 .

ولا دواء لهذا الأدواء إلا مراهم الشريعة الغرّاء المركبة من أجزاء الخطب والمواعظ والإرشادات والنصائح، من الكتاب والسنة، فبهذه المواعظ والنصائح دون سواها تصح النفوس، وتسلم القلوب من المخاطر، وترجع من غيّها إلى رشدها، وتعدل عن الطريق العوجاء إلى الصراط السوي .

وهذه بعض مميزات أسلوب الموعظة الحسنة :

1- غالباً ما يكون لأسلوب الموعظة الحسنة أثر فعّال وناجح، لأنه يتوافق مع الفطرة والنفس البشرية التي تحب الخير وتحرص عليه وتستكثر منه، وهي ذاتها النفس التي تحب الأمن والسلامة، والبعد عن الخطر والخوف والتهديد، فهما يولدان فيها حافزاً ذاتياً ، يحرك عواطفها ويوجه إرادتها ويدفعها، حتى تلتزم سلوكاً معينا، يحقق لها الخير ويبعد عنها العقاب .

2- إنه يجعل المدعو يقبل التكاليف الشرعية بكل رضاً ومحبة ، لأن قيامه بها قد جرى بمحض اختياره، وخاصة إذا كان الترغيب أو الترهيب مرتبطا بالآخرة و بالأجر الذي من عند الله تعالى، لا من عند الناس .

3- إنه ينمي حواجز وقائية تنمو مع مرور الوقت في قلب المدعوين ، وتحول بينهم وبين الوقوع في المخالفات الشرعية [1].

رابعا : خصائص أسلوب الموعظة الحسنة في رسائل الأسمر :

لا ريب أن هناك خصائص وسمات ميزت أسلوب الموعظة الحسنة في رسائل الأسمر عن غيره من الأساليب الدعوية الأخرى ويمكن إبرازها في الآتي:

1- لين العبارة المستخدمة ولطفها.

إن أبرز ما تميزت به رسائل الأسمر لين ولطف العبارة والتي بدورها تؤثر إيجابًا على قلب المدعو وتعمل على استمالته لفعل المعروف، وترك المنكر، لأن أي كلمة لينة لطيفة لابد وان تترك أثرًا لدى قارئها ، ومن أمثلة ذلك قول الأسمر : ((وإذا أمرت أحدا بمعروف أو نهيته عن منكر فيكون ذلك برفق ولطف وشفقة)) [2]

---

(1) - عبد الرحمن حبنكة الميداني ، الأخلاق الإسلامية وأسسها ، ن : دار القلم ، ط 5 ، ص205 وما بعدها .
(2) - عبد السلام الأسمر ، رسالة إلى محمد بن عبد الكريم الشتذلي ، ص137 .

ومن أمثلة ذلك أيضا قول الأسمر : ((وكنت أيهـا المحب سألتني أن أكتب لك وصية ..))[1] .

2- تنوع وتعدد أشكال الموعظة:

إن من أبرز ما يذكر في جانب خصائص الموعظة الحسنة في رسائل الأسمر أنها لا تأخذ شكلاً واحدًا ، أو نمطا محددًا ، بل تأتي بعدة أشكال فتارة ترد على شكل قصة وتارة على شكل سؤال وجواب مثل قوله : ((فإن قال قائل : ما هو الإيمان ؟ وما هو محله ؟ وما دواعيه ؟ وما شروطه ؟ وما حقيقته ؟ فالجواب ....))[2] ، وتارة أخرى على شكل لغز مثل قوله : ((واعلموا : أنه لا يكون الطالب طالبا ولا الفقير فقيرا حتى يعرف أين هو أصل الأصول ، والأصل فوق الأصول ...))[3] ، وتارة تأتي على شكل نصيحة أو وصية مثل قوله : ((فإنني أوصيك أيها المريد النجيب وفقك الله بتوفيق الصالحين ، وأخذ بناصيتك إلى كل خير ، فإني أوصيك ونفسي بتقوى الله العظيم ..))[4] .

خامسا : شروط الموعظة في رسائل الأسمر :

لكي تكون الموعظة ذات تأثير في المدعوين لا بد للداعية أن يلتزم فيها بشروط هي[5] :

1 ـ الإخلاص في الموعظة والحرص على هداية المدعوين
2 ـ أن تقترن الموعظة بالحجج والبراهين وإلا فإنها لم تؤت ثمارها.
3 ـ أن يخاطب الداعية في وعظه القلب والوجدان عند المدعوين
4 ـ أن تكون الموعظة بلين الكلام ورفق ولطف وشفقة

والداعية إلى الله تعالى ينبغي أن يكون وعظه للناس بالقول الحكيم على نوعين :

1 ـ تعليم
2 ـ تأديب

---

(1) ـ عبد السلام الأسمر ، رسالة إلى عبد الحميد بن علي العوسجي ، ص151 .
(2) ـ عبد السلام الأسمر ، رسالة إلى أصحابة بمدينة غريان ، ص193 .
(3) ـ عبد السلام الأسمر ، رسالة إلى أصحابة بمدينة غريان ، ص196 .
(4) ـ عبد السلام الأسمر ، رسالة إلى محمد عبد الكريم الشاذلي ، ص134 .
(5) ـ هذه النقاط والخصائص هي نتاج تحليل الباحث لرسائل الأسمر.

النوع الأول : وعظ التعليم : وهذا النوع يكون ببيان عقائد التوحيد ، وبيان الأحكام الشرعية الخمسة ، وأن يراعى في ذلك كله ما يناسب كل طبقة والحث على التمسك بها ، والتحذير من التهاون فيها .

النوع الثاني : وعظ التأديب : وهذا النوع يكون بتحديد الأخلاق الحسنة ، كالحلم والوفاء والصبر والتواضع ... وبيان آثارها ومنافعها في المجتمع والحث على التخلق بها والتزامها ، وتعريف وتحديد الأخلاق السيئة ... والتحذير من الاتصاف بها عن طريق الترغيب والترهيب ، وينبغي للداعية إلى الله أن يستشهد في كل ذلك بما جاء فيه من الكتاب والسنة الثابتة عن النبي ـ ﷺ ـ وآثار الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين وأحوالهم في ذلك ، فإن لهذا شأنا عظيما يوصل إلى الغاية المقصودة من الموعظة متى صدرت من قلب سليم نقي متخلق بما يدعو إليه ، لأن الموعظة في الغالب إذا صدرت من القلب وقعت في القلب وإن خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان[1] ، وباستعراض رسائل الأسمر نجد أنه قد تفنن في استعمال هذين النوعين من الوعظ وفقا لشروط الموعظة بل إن رسائله كلها موعظة وتذكير بالخير والحق ودعوة إلى التحلي والتخلي .

وهذه بعض سمات الوعظ في رسائل الأسمر :

أولا : رسائل الأسمر التي بين أيدينا الآن وجميع كتبه ومؤلفاته ، مليئة بالوعظ والنصائح لعامة المسلمين ، فكان دائما يوصي في رسائله بالتقوى والإخلاص والتمسك بالكتاب والسنة ، فيقول ((فإني أوصيك ونفسي بتقوى الله في كل موطن ، وعلى كل حال ، وحيث ما كنت ، وبمراقبة الله واستشعار علمه واطلاعه عليك ومعيته لك وإحاطته بك على الدوام ، وبالإخلاص لله ، وبالصدق مع الله ، وبالتواضع لله ، وبالشكر لله على نعمائه والصبر لله على بلائه ، والرضا عن الله في حكمه وعند مر قضائه وحلوه ، ولا تختار على الله ، ولا تؤثر عليه شيئا سواه ، ولا تختر معه ولا تذم شيئا إلا ما أمرك ونهاك عنه على وفق ما أمرك ونهاك ، ولا تعلق قلبك بشيء سوى ربك ، وارفع همتك عن الأكوان ، ولا تعجب بنفسك ، ولا ترتفع على إخوانك ، ولا تتبع هوى نفسك الأمارة بسوء في شيء من الأشياء ، واجعل الكتاب والسنة حاكمين عليك وقائدين لك ...))[2]

---

(1) ـ انظر : سعيد بن على بن وهف القحطاني ، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، ن : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد ، المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1423هـ ، ج2 ، ص 483 وما بعدها.

(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الرحمن بن عبد المؤمن الفزاني ، ص 126 .

ثانيا : الجمع بين أسلوبي الترغيب والترهيب

ونقصد بالترغيب كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه ، ونقصد بالترهيب كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله[1] ، لذلك نجد الشيخ الأسمر يوازن بين الترغيب والترهيب في رسائله ، فكان كثيرا ما يدعو إلى محاسن الأخلاق ويوضح مكانتها في الشريعة ، ومن ذلك قوله ـ رحمه الله ـ ((الله الله في حسن الخلق فإنه أثقل شيء يوضع في الميزان ، وبه يدرك الإنسان درجة الصائم القائم كما ورد))[2] وكذلك قوله : ((وعليكم ... بملازمة الطهارة الباطنة وهي : خلو القلب من الغل ، والحسد ، والغش لأحد من المسلمين ... وعليكم بسلامة الصدور ، وسخاوة النفوس، والرحمة بكل مسلم ...))[3] ، وتارة يغلب الشيخ جانب الترهيب ، ففي معرض حديثه من التحذير من الغيبة ، يقول : ((إياكم وغيبة أحد من أهل الإسلام فإن إثم الغيبة أعظم من إثم الزنى ، واحذروا من الكذب فإنه مناقض للإيمان))[4] ، وجاء في سياق حديثه في التحذير من الكذب ، قوله : ((وإياكم والأيمان فإنها توقع في الحنث ، وإياكم وكثرة الكلام فإنه يوقع في الكذب ، وإياكم أن يخالف ظاهركم باطنكم))[5].

ثالثا : الدعاء للمسلمين :

إن من النصيحة للمسلمين الدعاء لهم ، وهذا أسلوب دعوي غالبا ما يختم به الأسمر رسائله ، ومن ذلك وصيته إلى عبد الحميد بن علي العوسجي حيث يقول : ((أوصيك : بإضمار الخير لجميع المسلمين ، وأن تحب لهم ما تحب لنفسك ، وتكره لهم ما تكره لنفسك في الدنيا والآخرة ، وبطيب الكلام معهم في غير معصية ، وبإفشاء السلام عليهم ، وخفض الجناح ولين الجانب لهم ، والتخلق بالشفقة والرحمة مع سائرهم مع الإجلال والتعظيم لمسنهم ، والستر على مسيئهم ، والدعاء بالتوفيق للتوبة وللمحسن بالثبات على ما هو عليه من الخيرات))[6]

---

(1) ـ عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة ، ج1 ، ص 491 .
(2) ـ الأسمر، رسالة إلى محمد بن عبد الكريم الشاذلي ، ص 137 .
(3) ـ الأسمر، رسالة إلى أصحابه بتونس ، ص 256 ـ 257 .
(4) ـ الأسمر، رسالة إلى أصحابه بتونس ، ص 268 .
(5) ـ الأسمر، رسالة إلى أصحابه بالزاوية الغربية ، ص 170 .
(6) ـ الأسمر، رسالة إلى عبد الحميد بن علي العوسجي ، ص 157 .

فالموعظة الحسنة هي سبيل المؤمنين ، وخيار الدعاة المتقين ، وأسلوب الناصحين في الدعوة إلى الله رب العالمين ، وعندما استخدم الأسمر أسلوب الموعظة الحسنة بكل معانيها وأنواعها ، قطف ثمار الدعوة ، ويتضح ذلك من تأثير دعوته في مريديه ومحبيه ومجتمعه بصفة عامة .

المبحث الثالث : القصة والشعر وضرب الأمثال

المطلب الأول : القصة

أولا : تعريف القصة في اللغة : القصص : جمع قصة ، والقص معناه : قص أثره، أي تبعه، قال تعالى : ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۖ فَارْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصاً ﴿٦٤﴾﴾[1] ، وكذلك اقتص أثره ، وتقصص أثره، ومنه قوله تعالى : ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾[2] ، أي : اتبعي أثره .

والقصة : الأمر والحديث والخبر ، وقد اقتصصت الحديث : رويته على وجهه ، وقد قص عليه الخبر " قصا " و " قصصا " : أعلمه به وأخبره ، ومنه : قص الرؤيا .

يقال : قصصت الرؤيا أقصها قصا ، ومنه قوله تعالى : ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداًۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾[3]

والقاص : وجمعه قصاص : هو من يأتي بالقصة ، وقيل للقاص يقص القصص : لإتباعه خبرا بعد خبر وسوقه الكلام سوقا[4]

ثانيا : تعريف القصة اصطلاحا :

القصة : هي فن حكاية الحوادث والاعمال بأسلوب لغوي ينتهي إلى غرض مقصود

---

(1) ـ سورة ، الكهف ، آية : 63.
(2) ـ سورة ، القصص ، آية : 10.
(3) ـ سورة ، يوسف ، آية : 5.
(4) ـ انظر : الأزهري ، تهذيب اللغه ، باب : القاف والصاد ، مادة : (قص) ، ج 8 ، ص254 ، ، والقاموس المحيط ، باب : الصاد ، فصل القاف ، مادة : (قص) ، ج 2 ، ص 479، وتاج العروس، باب : الصاد ، فصل : القاف ، مادة : (ق ص ص) ، ج 18 ، ص 99 .

وقيل : هي سرد لأحداث واقعية أو خيالية، قد تكون نثرًا أو شعرًا يقصد من خلالها إثارة الإهتمام والإمتاع والتثقيف للسامعين أو القراء[1] .

وقيل : هُي مَجْمُوعُ الْكَلَامِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى مَا يَهْدِي إِلَى الدِّينِ، وَيُرْشِدُ إِلَى الْحَقِّ وَيَأْمُرُ بِطَلَبِ النَّجَاةِ[2]

والقصة عبارة عن سرد قصصي قصير ، يهدف إلى إحداث تأثير مهيمن ويمتلك عناصر الدراما الكثير من القصص القصيرة تتكون من شخصية (أو مجموعة من الشخصيات) تقدم في مواجهة خلفية أو وضع[3] .

أهمية القصة في مجال الدعوة :

القصة أفضل أسلوب للتربية وتهذيب النفوس ، فعن طريق عرض حوادث القصص وأشخاصها تتفتح أشواق النفس إلى متابعة عرض القصة ومشاركة مواقفها وأحداثها وجدانيا حتى وكأن القارئ أو المستمع أو المشاهد واحد من أفرادها ، والداعية يحتاج في دعوته إلى إيراد القصص الصحيحة المعبرة التي حصلت للأمم الماضية ، وخصوصا قصص القرآن لما فيها من فوائد وعبر ، وهي تعرفهم بمناهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوة أقوامهم إلى الله ، وكيف أن الله أظهرهم على عدوهم رغم قلة عددهم ، وفيها بيان لما جبلت عليه النفوس من غرائز وميول ورغبات وكيف عالج الأنبياء عليهم السلام أحوال الناس وفقا لهذه الميول والرغبات[4]

---

(1) ـ فاروق محمد عبد الرحمن ، القصص القرآني ودفع ما أثير حوله من شبهات ، ن : دار الأندلس للطباعة ، ص 11 ، وانظر : العسكري ، الفروق اللغوية ، ن : دار العلم والثقافة – القاهرة ، ص430 .

(2) ـ انظر : فخر الدين الرازي ، مفاتح الغيب ، ن : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط2 ج8 ، ص 250.

(3) ـ انظر : عبد اللطيف رجب العمودي ، قضايا الأمة وعلاجها في القصص القرآني ، د ، ن ، ص 8.

(4) ـ انظر : عبد الكريم يونس الخطيب ، التفسير القرآني للقرآن ، ن : دار الفكر العربي – القاهرة ، ج8 ، ص 588.

الأدلة على أسلوب القصة من القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿فَاقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾[1] ، وقال جل شأنه : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلاَّ ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾[2] ، وقال ﷻ : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾[3] ، يقول الشوكاني ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية : (لقد كان في قصصهم) أي : قصص الرسل ومن بعثوا إليهم من الأمم ، أو في قصص يوسف وإخوته وأبيه (عبرة لأولي الألباب) والعبرة : الفكرة والبصيرة المخلصة من الجهل والحيرة، وقيل: هي نوع من الاعتبار، وهي العبور من الطرف المعلوم إلى الطرف المجهول، وأولو الألباب : هم ذو العقول السليمة الذين يعتبرون بعقولهم فيدرون ما فيه مصالح دينهم، وإنما كان هذا القصص عبرة لما اشتمل عليه من الأخبارات المطابقة للواقع مع بعد المدة بين النبي ـ ﷺ ـ وبين الرسل الذين قص حديثهم[4]

الأدلة من السنة على أسلوب القصص :

لقد قص النبي ـ ﷺ ـ على أصحابه قصصا كثيرة ومن ذلك ما رواه صهيب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : ((كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر ، قال للملك إني قد كبرت فابعث إلي غلاما أعلمه السحر فبعث إليه غلاما يعلمه ...))[5]

---

(1) ـ سورة ، الأعراف ، آية : 176.
(2) ـ سورة ، آل عمران ، آية : 61.
(3) ـ سورة ، يوسف ، آية : 111.
(4) ـ محمد بن على الشوكاني ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ن : دار الفكر، بيروت، ط 3 ، 1402هـ، ج 4 ، ص 81 وما بعده .
(5) ـ مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب : الزهد والرقائق، باب : قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، رقم الحديث 5327، ج 14، ص 293.

ومن ذلك قصة الأبرص والأقرع والأعمى : فعن أبي هريرة - ﷺ - أنه سمع النبي - ﷺ - يقول : ((إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا الله ﷻ أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا ...))[1]

وهذه نماذج لبعض القصص التي أوردها الأسمر في رسائله :
لقد جاءت القصة في رسائل الأسمر للترغيب أو الترهيب ، فمما قصه الأسمر لترغيب في قيام الليل قوله : ((وقد روي عن بعض الصالحين أنه كان له ورد من كتاب الله ﷻ يقرأه آخر الليل جهرا ، فقام ليلة من الليالي فقرأ بعضه ثم نام فأتته جارية في منامه وهي تقول :

أألهتك اللذائذ والأماني عن الفردوس والظلل الدواني
ولذة نومك عن خير عيش مع الخيرات في غرف الجنان
تيقظ من منامك إن خيرا من النوم التهجد بالقرآن

فأفاق من نومه مرعوبا مما رأى في منامه ...))[2]

ومما ساقه للرضا بالقدر قوله : ((وحكي أن عبد الملك بن مروان[3] ، هرب من الطاعون فركب ليلا ومعه غلام كان ينام على دابته فقال للغلام : حدثني فقال من أنا حتى أحدثك ؟ فقال : على كل حال حدث حديثا سمعته ، فقال : بلغني أن ثعلبا كان يخدم أسدا ليحميه عن الآفات والبليات فرأى ذلك الثعلب يوما عقابا يقصده فلجأ إلى الأسد وأعلمه القضية ، فقال الأسد : لا تخف ، فلم يسكن الثعلب واشتد فزعه ، فلما رأى الأسد خوفه رحمه فأقعده على ظهره ، فانقض العقاب فاختلسه من ظهره فصاح الثعلب : يا أبا الحرث أغثني فأين عهدك ؟ فقال : إنما أقدر على أهل الأرض فانصرف وارض بالقضاء ، ومما قيل شعرا :

فإذا خشيت من الأمور مقدرا ففررت منه فنحوه تتوجه))[4]

---

(1) - البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب : حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل، رقم الحديث 3205، ج 4، ص 171.
(2) - الأسمر، رسالة إلى أصحابه بالزاوية الغربية ، ص 175.
(3) - عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو الوليد: من أعاظم الخلفاء ودهاتهم. نشأ في المدينة، فقيها واسع العلم، متعبدا، ناسكا. وشهد يوم الدار مع أبيه. واستعمله معاوية على المدينة ، انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج 4 ، ص 165.
(4) - الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بتونس ، ص 262 .

ومما أورده من قصة في فضل آية الكرسي ما حدث مع أبي هريرة ـ ﷺ ـ عندما كلفه الرسول ـ ﷺ ـ حارسا على زكاة الفطر فأتى الشيطان فأخذ منها ، ثم علمه آية الكرسي[1]

ويلاحظ أن الأسمر قد أكثر من استخدام القصة في تصوير الحقائق الإيمانية بصورة محسوسة لتكون أقوى في اقناع المدعوين وأبلغ في التأثير في النفوس باعتبارها وسيلة دعوية وتربوية ناجحة وسهلة الفهم لما لها من دور فعال في تجسيد الأحداث، وذلك لأنها تثير الحواس وتشد الانتباه.

المطلب الثاني : الشعر :

أولا : تعريف الشعر لغة : ((العلم الدقيق، وسمى الشاعر شاعرا لفطنته ودقة معرفته ، ومنه: ليت شعري))[2].

ثانيا : تعريف الشعر اصطلاحا : ((الشعر هو الكلام المبني على الاستعارة والأوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده الجاري على أساليب العرب المخصوصة به))[3]

ثالثا : أهمية الشعر ودوره في الدعوة :

إذا كانت الرسالة الإعلامية هي مجموعة من الأفكار والمعلومات التي يرغب المرسل في إرسالها ، فإن اللغة كانت هي الوسيلة الوحيدة في بداية الدعوة لنقل تلك الرسالة ، لذلك أضفى عليها المرسل مسحة من الشعر الذي يحدث التأثير المطلوب في المتلقي ، أضف إلى ذلك أن اللغة والإشارات والحركات والإيقاع كلها وسائل لنقل الرسالة .

لقد تتبع الشعر الدعوة الإسلامية وصور أحداثها بكل دقة وذلك منذ هجرة الرسول ـ ﷺ ـ إلى المدينة إلى وقتنا الحاضر ، واستمر الشعر في هذا المنهج الإعلامي محافظا على الدعوة الإسلامية في كل جوانبها .

---

(1) ـ والقصة أوردها البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب فضل سورة البقرة ، ج 6 ، ص 104 .

(2) ـ المناوي ، التوقيف على أمهات التعاريف ، ج 1 ، ص 204 ، وانظر : معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ، ج 2 ، 338 .

(3) ـ وجدي وهبة و كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ن : مكتبة لبنان، بيروت ، ط 2 ، 1984 م ، ص 212 .

فبهذا الدور الذي قام به الشعر في نشر الإسلام وإيصاله إلى الناس ، عن طريق الرواية الشفوية أو المكتوبة يكون قد أنجز مهمة إعلامية لا تقل أهمية عن دور وسائل الإعلام المختلفة في وقتنا الحاضر .

وبفضل تلك القصائد التي نظمها شعراء الإسلام ، سواء أكانت في مجال العقيدة أو الفقه أو الحديث أو الأخلاق ، كتب الله ﷻ لهذا الدين أن ينتشر ، وتحفظ فروعه[1] .

وهكذا يتضح مما لا يدع مجالا لأدنى شك أن الشعر كان من العوامل المهمة التي ساعدت على انتشار الدعوة الإسلامية ، ومن هنا ندرك مغزى قول النبي ـ ﷺ ـ حين قال : ((إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً))[2]

والحكمة من الشعر هي دوره المشهود في الدفاع عن عقائد الأمة وأخلاقها وفي الدفاع عن رسول الله ـ ﷺ ـ فكانت قصائد الشعراء هي المنبر الإعلامي الأول والمؤثر على المجتمع حينها[3] ،

ومن هنا ظهرت مهمة شعراء الصوفية في نشر تعاليم الدين الإسلامي الذي يدعو إلى الأخلاق الحميدة ، فجاء دورهم متمما ومساندا لرسول الله ـ ﷺ ـ للدفاع عن الأخلاق ، فالموضوعات الشعرية تطورت عند شعراء الصوفية ، من الحب الإلهي الذي ظهر

---

(1) ـ انظر : عبسي كمال ، دور الشعر العربي في خدمة الدعوة الإسلامية (حسان بن ثابت أنموذجا) رسالة ماجستير ، نوقشت في جامعة أبي بكر القايد ، تلمسان ، الجزائر ، كلية الآداب ، قسم اللغة والأدب العربي ، تحت إشراف : شريفي عبد اللطيف ، سنة المناقشة 2012 م ، 2013 م ، ، ص 36 وما بعدها

(2) ـ الأصبهاني ، الأمثال في الحديث النبوي ، تح : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، ن : الدار السلفية - بومباي – الهند ، ط 2 ، 1408 - 1987م ، ج 1 ، ص 38 ، وانظر الحديث في : سنن ابن ماجه ، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني ، ن : دار الفكر – بيروت ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، رقم الحديث 3755 ، ج2 ، ص 1235 ، والسنن الصغرى للبيهقي ، رقم الحديث 3369

(3) ـ انظر : المصدر السابق ، ص 40.

في شعر رابعة العدوية[1]، إلى شعر الخمرة والغزل الذي ظهر في أشعار ابن عربي وابن الفارض[2]، إلى المديح الذي ظهر في أشعار المتأخرين من متصوفة المغرب[3]

لقد كان الأسمر يقرض الشعر الصوفي الفصيح والعامي وعلى أوزان مختلفة كأوزان ابن الفارض[4] والششتري[5] ، والجعراني[6] ، قال سالم السنهوري في هذا الصدد :

((قالت : المشايخ سماع كلام الصالحين ينتفع به ولو كان ملحونا لأن سرهم ممزوج مع كلامهم ، اعلم يرحمك الله أن هذا الشيخ له نظم شائع على طريق الرجز وغيره وموشحات طريفة سبك فيها أسرار أهل الطريق، وله نصائح منها ما هو على موازين العروض العربية المشهورة عند النحات، ومنها ما كان على موازين ابن الفارض وموازين الششتري وموازين الشيخ يوسف الجعراني وغيره من المشايخ ، قال الحفيد في ترجمة كتابه المشهور بالبحر في جمع مناقب صاحب البندير بعد كلام كثير إن للشيخ عبد السلام الأسمر مقطوعات كثيرة لا يحصى عددها إلا الذي خلقه ، فإن له على موازين العروض العربية سبعمائة قصيدة وعلى لغة العرب المنحرفة أربعمائة مقطوعة، وعلى موازين الشيخ عمر ابن الفارض ثلاثة آلاف مقطوعة، وعلى موازين الشيخ أبي الحسن الششتري ثمانمائة مقطوعة ، وعلى موازين الشيخ يوسف الجعراني خمسمائة قصيدة ، وأما التي على عرف البلد الملحونة لا يحصيها إلا الله ﷻ ، وقد

---

(1) ـ رابعة بنت إسماعيل العدوية، أم الخير، مولاة آل عتيك، البصرية: صالحة مشهورة، من أهل البصرة، ومولدها بها. لها أخبار في العبادة والنسك، ولها شعر: من كلامها: (اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم) توفيت بالقدس سنة (135 هـ) وقيل غير ذلك ، انظر : الأعلام ، ج 3 ، ص 10

(2) ـ عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، أبو حفص وأبو القاسم، شرف الدين ابن الفارض: أشعر المتصوفين. يلقب بسلطان العاشقين ، توفي سنة (632 هـ) ، انظر : الأعلام ، ج 5 ، ص 55 .

(3) ـ انظر : الحركة التواصلية في الخطاب الصوفي ، مصدر الكتاب الشاملة ، ص 383 .

(4) ـ سبق وأن ترجم له ، ص99 .

(5) ـ علي بن عبد الله النميري الششتري، أبو الحسن: متصوف فاضل أندلسي. نعته صاحب نفح الطيب بعروس الفقهاء. من أهل ششتر (من عمل وادي آش) تنقل في البلاد، وكان يتبعه في أسفاره ما ينيف على أربعمائة فقير يخدمونه. وتوفي بقرب " دمياط " ودفن فيها. من كتبه " العروة الوثقى " في بيان السنن وما يجب أن يفعله المسلم، و " المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية - خ " وله " ديوان شعر - ط " قال الغبريني: وشعره في غاية الانطباع والملاحة وتواشيحه ومقفياته ونظمه الهزلي الزجلي في غاية الحسن ، توفي سنة (668 هـ) ، انظر : الأعلام ، ج 4 ، ص 305 .

(6) ـ ولي الله العالم المفتي الحافظ المحصل الشيخ يوسف بن علي الجعراني أصلا من الجعرانة بضواحي مكة المكرمة المسلاتي ولادة وإقامة ووفاة ، عالم بالقرآن الكريم واللغة العربية ، انظر : موسوعة القطعاني ، ج 1 ، ص 298.

فقد الأكثر من كلامه ومقطوعاته في يوم قتل سيدي عمران بعد وفاة الشيخ بمدة نحو خمسة عشر عاما))[1]

رابعاً : أغراض شعر الأسمر :
لقد تعددت أغراض الشعر وألوانه على مر العصور من مدح ورثاء وتشبيب ووصف ...إلخ ، غير أن الاهتمام بالجانب الروحي كان محط أفكار شعراء الصوفية ، فقد عبر الكثير منهم عن تجربته المعرفية والروحية والأخلاقية عن طريق الشعر ، و كان الأسمر من ضمن من وضع تجربته الروحية في خدمة التصوف ، فالتزم بمبادئ الدعوة الإسلامية ، حيث نلمح في شعره الحفاظ على الهوية الإسلامية المعتدلة .
وقد أورد الأسمر في رسائله العديد من الأشعار المنسوبة إلى كبار الصوفية ليستدل بها على ما يريد إقراره أو النصح به من ذلك على سبيل المثال لا الحصر :

أولا : الزهد : كان يطلق على التصوف الزهد في أول الأمر ثم تطور حتى أصبح الزهد مقاما من مقامات التصوف ، وقد تطورت تلك النزعة الزهدية حتى ظهرت في شعر المتصوفة .

1 ـ فقد استدل على التحذير من الركون إلى الدنيا بقول إبراهيم بن أدهم حين سئل كيف أنت وكيف حالك ؟ فقال :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع

وقال آخر :

يا نائم الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
أفنى القرون التي كانت منعمة كر الليالي إقبالا وإدبارا
يا من يعانق دنيا لا بقاء لها يمسي ويصبح في دنياه سفارا
هلا تركت من الدنيا معانقة حتى تعانق في الفردوس أبكارا
إن كنت تبغي جنان الخلد تسكنها فينبغي لك أن لا تأمن النار

وقال آخر :

---

(1) ـ سالم السنهوري ، النور النابر ، ص 26 .

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سرورا وأنعما

كبان بنى بنيانه فأتمه فلما استوى ما قد بناه تهدما[1]

2 ـ واستدل على معنى الفقير ، فقال : قال بعضهم في نعت الفقير :

فاء الفقير فناؤه ببقائه والقاف قرب محله للقائه

واليا ليعلم كونه عبدا له في جملة العتقاء من طلقائه

والراء راحة جسمه من كده وبلائه وعنائه وشقائه

هذا الفقير يا من طلبت وجدته في جملة الأصحاب من رفقائه

أهل الصيانة والديانة والتقى مضمون قصد الحق من تلقائه[2]

ثانيا : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

1 ـ واستدل على أن التقوى شرط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أن العالم مثل الطبيب ، فإذا كان الطبيب يجر الداء إلى نفسه فكيف يداوي غيره ، ونعم ما قيل فيه :

وغير تقي يأمر الناس بالتقى طبيب يداوي الناس وهو مريض[3]

ثالثا : المدح المحمدي :

كان للمدائح النبوية أثر عاطفي بالغ في نفوس الصوفية فتنافس شعراء الصوفية في إبراز براعتهم في هذا الغرض تعلقا بشمائل المصطفى ـ ﷺ ـ وحبا في سيرته وأخلاقه الشريفة ، لأنهم يرون ذلك قربة لله تعالى ، ووسيلة من وسائل القرب من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عساهم يحضون برضاه .

4 ـ من شعره في مديح المصطفى ـ ﷺ ـ

((زين جميل بهي لا نظير له كأنه البدر أو كالشمس في الحمل

يغار حسن النقا من حسن قامته ويختفي البدر تحت الغيم من خجل

---

(1) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بتونس ، ص 279 .
(2) ـ انظر : الأسمر، رسالة إلى أصحابه بمدينة طرابلس ، ص 223.
(3) ـ انظر : الأسمر، رسالة إلى أصحابه بمالي ، ص 249.

حلو المشارف يشتفى العليل به فكم شفى برحيق الثغر من علل
الله أكبر ما أحلى شمائله قد زاد حسنا وزينا غاية الأمل
بدا كبدر الدجى تجلى محاسنه يا حسنه من مليح بالجمال حلى
أنا المتيم فيمن قد سما وعلا فخرا على سائر الأملاك والرسل
هو النبي الذي ما مثله أحد وهو المبرأ من نقص ومن زلل
وهو الشفيع غدا من حر نار لظى والناس كلهم منها على وجل
صلى عليه إله العرش ما طلعت شمس وحل قمر على طلل))[1]

المطلب الثالث : الأمثال :

أولا : تعريف الأمثال لغة :

الأمثال لغة : جمع مثل ، والمثل : الشيء يضرب للشيء فيجعل مثله ، والمِثل : شبه الشيء في المثال والقدر ونحوه حتى في المعنى ، والممَثل : ما يضرب به من الأمثال، ومثل الشيء أيضا : صفته ، ومَثّلت له كذا تمثيلا ، إذا صورت له مثاله بالكتابة وغيرها[2]

ثانيا : تعريف الأمثال اصطلاحا :
جاء في غريب القرآن الأمثال : ((هي عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره))[3]

فضرب الأمثال على نوعين :

1 ـ تشبيه شيء بشيء لتقريب الصورة للفهم والتأثير على العقل

2 ـ الاستعانة بالأمثال العربية التي قيلت في زمن مضى لتقوية الحجة والدلالة على المعنى المراد[4]

---

(1) ـ محمد مخلوف ، تنقيح روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار في مناقب سيدي عبد السلام الأسمر ، ن : المطبعة الحلبية ، القاهرة ، ط 1 ، 1378 هـ ، 1958 م ، ص 220 .
(2) ـ انظر : الصحاح في اللغة ، باب : اللام ، فصل : الميم ، ج5 ، ص101 ، كتاب العين ، باب : الثاء واللام والميم ، مادة : (مثل) ، ج8 ، ص 228 .
(3) ـ المفردات في غريب القرآن ، ج2 ، ص 596 .
(4) ـ نفس المصر السابق ، ص 597.

ثالثا : أهمية الأمثال في الدعوة :

للأمثال من الكلام وقع في الأسماع ، وتأثير في القلوب ، لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها ولا يؤثر تأثيرها ، لذلك ضرب الله الأمثال في كتابه العزيز ، وجعلها من دلائل رسله وأوضح بها الحجة على خلقه ، لأنها في العقول معقولة وفي القلوب مقبولة ...وهذا يدل على علو شأنها وبعدها عن غيرها من الكلام وتميزها وتفردها بالمعاني العظيمة والحكم البالغة كيف لا وهي جزء من كلام الله ﷻ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ... والله ﷻ ما ضرب الأمثال للناس في كتابه الحكيم بل في جميع كتبه إلا لما لها من الأثر البالغ في تفهيمهم وتعليمهم ، فضربها سبحانه وصرفها رحمة بعباده ليتعلموا من ربهم ويفهموا عنه بمختلف أساليب البيان[1]

رابعا : الأدلة على أسلوب ضرب الأمثال من الكتاب والسنة :

أولا : الأدلة من القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧١﴾﴾[2]، وقال ﷻ : ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾[3]، أي : ((يتفكرون أحوال المبدأ والمعاد ، وبدائع صنعه ﷻ الدالة على وجوده ووحدانيته ، وفي ضرب الأمثال زيادة تذكير وتفهيم وتصوير للمعاني))[4] ، ومن الأدلة كذلك قوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا

---

(1) ـ انظر : عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله ، مع نماذج من بعض الأمثال ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ط1 ، ص 141 ـ 142 .
(2) ـ سورة ، الحج ، آية : 71.
(3) ـ سورة ، إبراهيم ، آية : 27 .
(4) ـ الشوكاني ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، تح : عبد الرحمن عميرة ، وضع فهارسه وشارك في تخريج أحاديثه لجنة التحقيق والبحث العلمي بدار الوفاء ، ج 3 ، ص 132 .

ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾[1] ، أي : تلك الأمثال التي في القرآن نضربها للناس تنبيها لهم ، وتقريبا لما بعد عن أفهامهم ، وما يتعقل الأمر الذي ضربناها لأجله ، إلا العاملون ، العارفون بالله الراسخون في العلم المتدبرون المتفكرون لما يتلى عليهم من القرآن[2]

ثانيا : الأدلة من السنة على أسلوب ضرب الأمثال :

روى النعمان بن بشير ـ رضى الله عنهما ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال : ((مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا"[3] ، ومعنى قوله ـ ﷺ ـ " مثل القائم على حدود الله والواقع فيها " ، معناه الناهي عن المعصية والواقع فيها ، وقوله : " استهموا على سفينة " ، أي : اقترعوا عليها ، فأخذ كل واحد منهم نصيبا من السفينة بالقرعة))[4]

وعن أبي موسى الأشعري ـ رضى الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال : ((إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة))[5] ، وفيه تمثيله ـ ﷺ ـ الجليس الصالح بحامل المسك ، والجليس السوء بنافخ الكير ، ومعنى (يحذيك) ، أي يعطيك[6] ، و (نافخ الكير) :

---

(1) ـ سورة ، العنكبوت ، آية : 43.
(2) ـ انظر : فتح القدير ، ج 4 ، ص 253 مصدر سابق .
(3) ـ صحيح البخاري ، كتاب : الشركة ، باب : هل يقرع في القسمة والاسهام فيها ، رقم الحديث 2313 ، ج 2 ، ص882
(4) ـ ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج 8 ، ص 213 .
(5) ـ البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب : البيوع ، باب : العطار وبيع المسك ، رقم الحديث 1959 ، ج 18 ، ص 359 ، صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : استحباب مجالسة الصالحين ، ومجانبة قرناء السوء ، رقم الحديث 4762 ، ج 17 ، ص 108 .
(6) ـ انظر : النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج 8 ، ص 468 .

حقيقته البناء الذي يركب عليه الزق ، والزق هو الذي ينفخ فيه فأطلق على الزق اسم الكير مجازا لمجاورته له ، وقيل الكير هو الزق نفسه وأما البناء فاسمه الكور [1]

خامسا : الأمثال في رسائل الأسمر :

لقد استخدم الشيخ الأسمر هذا الأسلوب في رسائله ، لعلمه بأهمية هذا الأسلوب في مجال الدعوة وأن له تأثيرا على المدعوين

وهذه نماذج من الأمثال التي أوردها الأسمر :

1 ـ في الحث على طلب العلم ، استدل بقول النبي ـ ﷺ ـ ((العلم للقلوب شفاء والقرآن للقلوب شفاء ، كما أن المريض يداوي بالأطباء فكذلك القلب يداوى بذلك والعلماء هم الأطباء والدنيا ظلمة والعلماء مصابيحها))[2] ، واستدل بقول النبي ـ ﷺ ـ ((إن العلم حياة القلوب كما أن الماء حياة الأرض))[3] ، ولا يخفى ما في هذا الحديث من التمثيل والتشبيه .

2 ـ في الوصية بحفظ اللسان ضرب مثلا بقوله : ((وأوصيك : بحفظ اللسان فإنها التي يتوقف على استقامتها استقامة القلب ، وهي كما قال بعض الحكماء : اللسان كالسبع إن حبسته حرسك ، وإن أرسلته افترسك ، فاجتهد في إشغالها بما يعينك وذلك كالتلاوة والذكر والدعوة إلى الخير ، واحترز من إشغالها بما لا يعنيك وهو كل ما لا يرجى عن النطق به ثوابا ، ولا يخشى في الإمساك عنه عقابا))[4]

3 ـ وفي معرض حديثه عن ضابط المخالة ضرب مثلا قائلا : ((فلا تجالس إلا من تنفعك مجالسته في دينك فإن تعذر عليك ففر من مجالسة من تضرك مجالسته في الدين فرارك من السبع الضار وأشد ، فإن السبع إنما يضر بك ظاهرك الذي هو طعمة لهوام الأرض ، وأما هذا الشيطان فإنه يضرك في قلبك الذي به تعرف ربك وفي دينك الذي به تنجو في آخرتك))[5]

---

(1) ـ انظر : ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج6 ، ص 421 .
(2) ـ عبد السلام الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس الأقصى ، ص 331 .
(3) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس الأقصى ، ص 331.
(4) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الحميد العوسجي ، ص 155.
(5) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الحميد العوسجي ، ص 156.

المبحث الرابع : الترغيب والترهيب

المطلب الأول : أسلوب الترغيب :

أولا : تعريف الترغيب لغة واصطلاحا : يقصد بالترغيب في اللغة :((طلب الشي ،والحرص عليه والطمع فيه))[1]

وفي الاصطلاح : ((كل ما يشوق المدعو إلي الاستجابة ، وقبول الحق والثبات عليه))[2]

ثانيا : أهميـــة أسلوب الترغيب في الدعوة :

لما كان الإنسان مجبولا علي حب ما ينفعه ، وتقر به عينه ، وتطمئن به نفسه ،وينفر من كل ما يخفيه ويفزعه ، كان لأسلوب الترغيب والترهيب أهمية قصوى في الدعوة إلي الله ، وأصبح الطريق ممهدًا بعض الشي أمام الداعية لاستثمار هذه الفرصة لدى المدعو وتخوله بها .

وعلي هذا الأساس كان للترغيب أهمية كبيرة في جنس الطاعات ، وعلي رأسها تحقيق كلمة التوحيد والقيام بمقتضياتها وشروطها والبعد عما ينقضها و يخدشها ، والحذر كل الحذر من الشرك بأنواعه ، فهو محبط للأعمال والعياذ بالله ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُّشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَّشَآءُ وَمَنْ يُّشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ إِفْتَرَىٰ إِثْماً عَظِيماً ﴿٤٨﴾﴾[3]

ويتناول الترغيب كذلك بقية أركان الإسلام الخمسة : كالصلاة والزكاة والصوم والحج ، وأركان الإيمان والإحسان من ثم الترغيب في بقية أنواع الطاعات الأخرى ، وأشكالها ، كبر الوالدين وصلة الرحم والصدقة والإنفاق والإحسان إلي اليتيم والجار وذي الحاجة ، وكف الأذى عن الناس باليد واللسان والجوارح الأخرى ، كما قال ﷺ : ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده))[4]

والأصل في الترغيب أن يكون في الدعوة إلى نيل رضاء الله سبحانه وتعالي في الدنيا والآخرة ولا يكون إلا في العبادات .

---

(1) ـ معجم مقاييس اللغة ، ج2 ، ص 415.
(2) ـ عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة ، ص 437.
(3) ـ سورة ، النساء ، آية : 47.
(4) ـ البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث 10 ، ج 1 ، ص 11 .

ثالثا : نماذج من صور الترغيب في رسائل الأسمر :

أولا : الترغيب في طلب العلم :

((وأوصيكم : بالحرص على طلب العلم النافع قرءاة ومطالعة ومذاكرة لأن علم الدين أفضل ما يحوزه العبد من المراتب العلية ، وأشرف ما يكتسبه العبد من المناقب السنية ... واعلموا أن فائدة العلم الإخلاص فيه لله تعالى ،والأدب مع سائر الخلق بارا وفاجرا ، ونفي الكبر من قلبه ، ومن علامات الإخلاص : أن لا يتكدر ممن نسبه إلى الجهل وعدم الفهم ، ولا من قال فيه : إن فلانا يتعلم العلم حجة عليه، أو فلانا لا يعمل بعلمه وغير ذلك ، فيتساوى عنده نسبته للجهل ونسبته للعلم على حد سواء ... واعلموا : أن فائدة العلم العمل به)) [1]

يقول الأسمر : تعلم العلم يكون فرض عين وهو : بقدر ما يحتاج إليه المسلم لدينه، وهو على ثلاثة أوجه[2] :

1 ـ علم التوحيد : بمقدار ما يعرف به ذات الله تعالى وصفاته على ما يليق به ﷻ ، وما يعرف به تصديق نبيه في جميع ما جاء به من عند ربه .

2 ـ علم التصوف : وهو الذي سماه بعضهم بعلم السر ، أعني ما يتعلق بالقلب ، بمقدار ما يحصل به تعظيم الله تعالى وإخلاص أعماله له تعالى وإصلاحها .

3 ـ علم الشريعة الظاهرة : بمقدار ما يتعلق به فعله كالطهارة ، والصوم ، والصلاة ، والزكاة ، والحج ، ونحوها من أبواب الفقه ، وفرض كفاية وهو : ما زاد عليه لنفع غيره ، ومندوب وهو : التبحر في الفقه وعلم القلب ، وحرام وهو : علم الفلسفة والشعبذة والتنجيم والرمل والقرعة والتقازة إلى غير ذلك.

يرى الأسمر أن العلم والعمل توأمان لا ينفكان عن بعضهما ، والسالك في طريق التعرف على الله والوصول إلى رضاه لا يستغني عن العلم في أية مرحلة من مراحل سلوكه ، ففي ابتداء سيره لا بد له من علم العقائد وتصحيح العقيدة والإستقامة على العبادات ، وفي أثناء سلوكه لا يستغني عن علم التصوف وتزكية النفس ، ولهذا يرى الباحث أن اكتساب العلم الضروري من أهم الأسس في المنهج العلمي للتصوف لدى الأسمر ، وهو بذلك يسير على خطا أسلافه من الصوفية الذين يرون أن التصوف ما هو إلا تطبيق عملي للإسلام في جميع جوانبه الظاهرة والباطنة عن علم .

---

(1) ـ انظر : الأسمر، رسالة إلى أصحابه بمالي ، ص 236 .
(2) ـ انظر : الأسمر، رسالة إلى أصحابه بمالي ، ص 237 وما بعدها .

أولا : الترغيب في التوحيد

لقد رغب الأسمر في التوحيد في جميع رسائل فقال : ((إخواني عليكم بالتوحيد ...))[1] ، ((واعلموا أن التوحيد على أربعة أقسام ...))[2] ، وحث على تصحيح العقيدة على ما قرره أئمة أهل السنة " أوصيكم ونفسي بتقوى الله واتباع سنة رسول الله ـ ﷺ ـ التي هي المحجة البيضاء ، وبتصحيح إيمانكم)) [3] ، ((فيجب على كل مكلف شرعا ... أن يعرف ما يجب في حق الله وما يستحيل وما يجوز ، ويجب عليه مثل ذلك في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام ، لأنه بمعرفة ذلك يكون مؤمنا محققا لإيمانه على بصيرة في دينه))[4]

ثانيا : الترغيب في شرائع الدين " أركان الإسلام " :

لقد سلك الأسمر منهج النصح والإرشاد مع مريديه ومع عامة المسلمين في التنبيه على أركان الإسلام وفرائضه ، فكان يذكرهم ويحثهم ويحرضهم على التمسك بهدي كتاب الله وسنة رسول الله ، والمقصود بأركان الإسلام هي التي اشتمل عليها حديث جبريل المشهور ، حيث سأل النبي ـ ﷺ ـ عن الإسلام فقال : ((أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، إن استطعت إليه سبيلا ...))[5] وفي حديث عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ حيث قال عليه الصلاة والسلام : ((بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان))[6] ، والدعوة إلى هذه الأركان يأتي بعد الدعوة إلى التوحيد وتصحيح العقيدة في رسائل الأسمر فلقد أوصى ونصح ورغب أتباعه ومريديه بالمحافظة على شرائع الإسلام حيث قال : ((واعلموا : أن أقسام الإسلام عشرة ، أولها : شهادة أن لا إله إلا الله وهي الملة ، والثانية : الصلاة وهي الفطرة ، والثالثة : الزكاة وهي الطهارة ، والرابعة : الصوم وهو الجنة ، والخامسة : الحج وهو الشريعة، والسادسة : الجهاد

---

(1) ـ عبد السلام الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص204.
(2) ـ نفس الرسالة ، ص 195.
(3) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة طرابلس الغرب ،ص 214 .
(4) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 199 .
(5) ـ مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : سؤال جبريل النبي ـ ﷺ ، حديث رقم 1 ، ج 1 ، ص 29.
(6) ـ البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب : الإيمان ، باب : بني الإسلام على خمس ، حديث رقم 8، ج 1 ، ص 19.

وهو الفوز ويقال الكفارة ، والسابعة : الأمر بالمعروف وهو الوفاء، والثامنة : النهي عن المنكر وهو الغيرة ، والتاسعة : الجماعة وهي الالفة، والعاشرة : طلب العلم وهو الحجة))[1] ، ((واعلموا رحمكم الله : أن أحق شيء بالتقديم في النصيحة والوصية تقوى الله واتباع سنة رسول الله ـ ﷺ ـ فأوصيكم أيها الفقراء المنتسبين إلينا وإلى طريقتنا ... بتصحيح إيمانكم ، ثم معرفة ما يصلح بكم من فرض العين كالطهارة والوضوء والصلاة ونحو ذلك))[2] وقال في موضع آخر من رسائله : ((فإني أوصيك ونفسي بتقوى الله العظيم حيث ما كنت ، وبخشيته حيث يراك الناس وحيث لا يرونك ، وبالمحافظة على فرائض الله ، وبالمجانبة لمحارم الله، وبالمسارعة إلى الخيرات ابتغاء وجه الله ، وبالمحافظة على الصلوات الخمس في الجماعة ، وبالخشوع وحضور القلب في جميع الصلوات ...))[3] ومما يلاحظ تنوع منهج الشيخ الأسمر في الدعوة إلى أركان الإسلام مستدلا على كل ما يقول من الكتاب والسنة .

ثالثا : الترغيب في الصلاة

الصلاة من أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين ، وهي شعار المسلمين والعهد الذي بينهم وبين ربهم وهي براءة من الكفر ، وقد جاءت آيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول الأمين بالحث عليها وذكر فضلها وتعظيم شأنها ، والأمر بإقامتها والمداومة عليها ، ومن ذلك قوله تعالى في وصف المتقين ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾[4]، وقال تبارك وتعالى آمرا بالمحافظة بالمحافظة عليها ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝٢٣٨﴾[5] ، والصلاة هي عمود الدين ، فعن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال : ((ألا أخبركم برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال :

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 188.
(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمالي ، ص 232 .
(3) ـ الأسمر ، رسالة إلى محمد بن عبد الكريم الشاذلي ، 134.
(4) ـ سورة ، البقرة ، آية : 2.
(5) ـ سورة ، البقرة ، آية : 236.

رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ..))[1] ، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من الأعمال ، ففي الحديث الصحيح أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : ((أول ما يحاسب به العبد الصلاة ، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء))[2] ، يقول الشيخ الأسمر : ((إخواني عليكم بالمحافظة على الصلوات الخمس بأن تصلوها في أوائل الوقت مع الجماعة فإنها عماد الدين ، وأتقنوها بفرائضها وسننها ومستحباتها ،واعرفوا مكروهاتها ومبطلاتها ، قال عليه الصلاة والسلام : ((من حافظ على الصلوات الخمس بسجودها وركوعها وجميع شرائطها صعدت إلى السماء وعليها نور وهي تقول : حفظك الله يا فلان كما حفظتني ، ومن لم يحافظ عليها صعدت إلى السماء وعليها ظلمة وهي تقول : ضيعك الله يافلان كما ضيعتني))[3] ، وقال عليه الصلاة والسلام : ((الصلاة مرضاة الرب تبارك وتعالى ، وحب الملائكة ، وسنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ونور المعرفة ، وأصل الإيمان ، وإجابة الدعاة ، وقبول الأعمال ، وبركة في الرزق ، وراحة الأبدان ، وسلاح على الأعداء ، وكراهية الشيطان ، وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت ، وسراج في قبره ، وفراش تحت جنبه ، وجواب لمنكر ونكير ، ومؤنس وزائر في قبره إلى يوم القيامة ، فإذا كانت القيامة صارت الملائكة ظلا فوقه ، وتاجا على رأسه ، ولباسا على بدنه ، ونورا يسعى بين يديه ، وسترا بينه وبين النار ، وحجة للمؤمنين بين يدي الرب تبارك وتعالى ، وثقلا في الميزان ، وجوازا في الصراط ، ومفتاحا للجنة لأن الصلاة تسبيح وتحميد وتقديس وتعظيم وقراءة ودعاء ، وإن أفضل الأعمال كلها الصلاة))[4] ، وإياكم أن تتركوا الفروض الكفائية كصلاة الجنازة وغيرها ، ولا تتركوا النوافل ، وصلاة الضحى فإن فيها بركة كثيرة ، وهي من خصائص النبي ـ ﷺ[5] ـ .

---

(1) ـ أحمد ، المسند ، كتاب : مسند الأنصار ، باب : حديث معاذ بن جبل ، رقم الحديث 21008 ، ج 36 ، ص 345 .

(2) ـ البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب : الديات ، باب : قول الله تعالى (ومن يقتل مؤمنا متعمدا ..) ، رقم الحديث 6864 ، ج 22 ، ص426 .

(3) ـ البيهقي ، شعب الإيمان ، المؤلف ، ن : دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، 1410 ، تح: محمد السعيد بسيوني زغلول ، رقم الحديث 1141 ، ج 3 ، ص 144، وانظر: ابن شاهين ، الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، ن: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م ، رقم الحديث 42 ، ج1 ، ص 20.

(4) ـ النازلي ، خزينة الأسرار ، ص 32 .

(5) ـ انظر: الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بالزاوية الغربية ، ص 176.

ثالثا الترغيب في الزكاة :

إن من أعظم ما أوجب الله في الأموال ، وأفضل ما أمر به ﷻ هي الزكاة التي هي ثالث أركان الإسلام ، وقرينة الصلاة في محكم التنزيل قال تعالى : ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾[1] ، وجاء في منعها والبخل بها الوعيد الشديد ، قال تعالى : ﴿۞ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾[2] ، وعن أبي هريرة ـ ﷺ ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ " من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني بشدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا : ﴿وَلاَ يَحْسِبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾[3]

وإظهارا لهذه الشعيرة ومكانتها في الإسلام أسهم الأسمر ـ رحمه الله ـ في الحث على إخراجها بنفس راضية ، وأن توضع حيث أمر الله بوضعها ، فقال : ((وأوصيك ونفسي بتقوى الله ... وبإخراج الزكاة إن كان عندك مال تجب فيه إخراجها وأنت طيب القلب فرح مسرور بذلك ، وضعها حيث وضعها الله في الفقراء والمساكين ، ولا تطلب على ذلك ثناء منهم ولا من غيرهم ولا تعمل إلا لوجه الله فإن الفاعل لوجه الناس مردود العمل ، وأن الله سبحانه لا يقبل من الأعمال إلا ما هو خالص لوجهه

---

(1) ـ سورة ، البقرة ، آية : 109.
(2) ـ سورة ، التوبة ، آية : 34.
(3) ـ سورة ، آل عمران ، آية : 180، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، رقم الحديث 4289 ،ج4 ، ص 1663 .

))[1] ، وبما أن النية مطلوب استحضارها في جميع العبادات كان لابد من الحث عليها عند إخراج الزكاة والتحذير من الرياء فيها ، والزكاة الواجبة يجب دفعها إلى مستحقها على الفور وقت الوجوب بأن توضع حيث وضعها الله ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَٰكِينِ وَالْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَالْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَابْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾[2]

ثالثا : الترغيب في الصيام

صيام رمضان هو الركن الرابع من أركان الإسلام ، ودليل فرضيته قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾[3] ، يقول الأسمر : ((إخواني : اعتكفوا في المساجد ، وأكثروا من الذكر والفكر وأحيوا ليالي شهر رمضان بالصلاة والذكر لكي تنالوا الخير والأجر ، وربما تظفرون حين ذلك بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر))[4]

" واعلموا أن للصوم فوائد جليلة ، منها :

1 ـ إجابة الدعاء

2 ـ نزول البركة من السماء

3 ـ صلاة الملائكة على الصائم إذا أكل عنده الصائمون

4 ـ مجاهدة الجوع والعطش

5 ـ ومنها الاستيلاء على النفس

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى محمد بن عبد الكريم الشاذلي ، ص 134.
(2) ـ سورة ، التوبة ، آية : 60 .
(3) ـ سورة ، البقرة ، آية : 182
(4) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة طرابلس الغرب ص 230

6 ـ التمكن من السهر وأن لا ينسى البلاء وأهله ، والتمكن من إيثار الفقراء والتخلص من شر بطنه

7 ـ ومنها أنه يفيد الصحة ، فإن كل من قل أكله قل مرضه وكثرة الأخلاط سبب الأمراض

وللصيام فضائل وفوائد عديدة حينما يترك ما تشتهيه نفسه ، أملا فيما عند الله من الأجر والمثوبة والرحمة والرضوان والعتق من النيران ، فيجب على المسلم أن يصوم رمضان إيمانا واحتسابا ، لا رياء ولا سمعة ولا مجاملة لأحد .

رابعا : الترغيب في الحج

قد فرض الله تعالى حج بيته الحرام للمستطيع من المسلمين فقال ﷻ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حَجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[1] ، وقد نهانا الله تعالى عن اللغو والجدال في الحج ، فقال تعالى : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٦﴾ ﴾[2] ، وفي الحديث عنه ـ ﷺ ـ أنه قال : ((من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه))[3] ، فقد بين الأسمر حكم الحج ، ونبه على الإخلاص في آدائه ، وحذر من الاستهانة بشعائر الله وتعدي حرماته ، حيث قال : ((وعليكم : بتجريد النية والقصد لحج بيت الله الحرام وقضاء مناسككم وتعظيم حرماته وشعائره ، وزيارة قبر النبي ـ ﷺ ـ فلا يكن لكم في سفركم غرض ولا أرب غير ذلك ، وما يلحق به من المقاصد المحمودة ، واحذروا : أن تخلطوا بهذه النيات الشريفة طلب نزهة أو رغبة في تجارة ، وعليكم : بالإكثار من الطواف بالبيت العتيق ، فإن الطائف به خائض في

---

(1) ـ سورة ، آل عمران ، آية : 97.
(2) ـ سورة ، البقرة ، آية : 196.
(3) ـ صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب : فضل الحج المبرور ، رقم الحديث1521 ، ج 6 ، ص 57.

الرحمة ، ولتكن قلوبكم في حال طوافكم طافحة بتعظيم رب البيت وإجلاله ، ولا تشتغلوا في طوافكم بشيء سوى التلاوة والذكر والدعاء ، واحذروا : من اللغو فيه ، وحافظوا : على الأذكار والدعوات التي تقال في الطواف والسعي وغيرهما من المواطن ... وأكثروا من الاعتمار سيما في شهر رمضان فإن العمرة فيه تعدل حجة مع النبي - ﷺ -))[1] .

سادسا : الترغيب والدعوة إلى الأدب وحسن الخلق :

إن الدعوة إلى الأدب وحسن الخلق يمثلان أساس دعوة الأسمر في رسائله ومحورها الذي تدور عليه ((عليكم بالأدب مع الله ومع رسوله ومع مشايخكم وجميع الخلق من بار وفاجر))[2] ، فالأدب مع الله : بامتثال أمره ، واجتناب نهيه ، والاستسلام لقهره ، والأدب مع رسوله : باتباع سنته ، وإيثار محبته ، والتخلق بأخلاقه ، والاهتداء بهديه ، والأدب مع الأشياخ : بفظ حرمتهم ، وحسن خدمتهم وصدق محبتهم ، والأدب مع سائر الخلق : بالحب لهم ما يحب المرء لنفسه وأكثر ، والأدب عند الأسمر هو : ((العلم كله))[3] .

لقد تعددت موضوعات الترغيب في رسائل الأسمر ومن الملاحظ أنه كان يدعو إلى التركيز فيها على أركان الإسلام كالصلاة والصوم والزكاة والحج ، وهذا لا يعني ان الناس في عصر الأسمر كانوا غير محافظين على هذه الشعائر بل من الواضح أن الأسمر قد لاحظ خللا في أداء المدعوين لتلك العبادات وهذا الخلل يتجلى في جوهر تلك العبادات ألا وهو الإخلاص ، فهو روح الأعمال فمن دونه تظل تلك العبادات أجسام لا روح فيها ، وكذلك الخشوع والتذلل فيها هو هدف العبادة ومقصودها ، فحاول اصلاحه بالدعوة إلى المحافظة على التكاليف الشرعية ، وهذا ما نرى الأسمر قد شحن رسائله بالدعوة إليه فهو يقول في معظم رسائله : ((عليكم بالإخلاص في كل الطاعات والعبادات ، والإخلاص هو : إفراد الحق سبحانه وتعالى في الطاعة بالقصد ، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى))[4] ، ((وأوصيك بحضور القلب وخشوع الجوارح في جميع عباداتك ، فبذلك يحصل لك ثمارها وتفيض عليك أنوارها

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بتونس ، ص 269 .
(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس ، ص 290 .
(3) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بتونس ، ص 313.
(4) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس الأقصى ، ص 325 .

))[1] ، ((وأوصيك بإصلاح القلب وافتقاره ، فإنه رئيس الجوارح وأميرها ، وعلى صلاحه وفساده يدور صلاحها وفسادها))[2]

فحقيقة دعوة الأسمر إذاً هي دعوة إلى إصلاح الباطن والظاهر وإقامة التوازن بينهما ، وهذا ما نراه مفقودا عند المسلمين في عصرنا الحاضر .

المطلب الثاني : أسلوب الترهيب :

أولا : تعريف الترهيب لغة واصطلاحا : يقصد بالترهيب لغة : ((الخوف والفزع))[3]

وأما في الاصطلاح : ((كل ما يخيف المدعو ويحذره من عدم الاستجابة ، أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله))[4]

ثانيا : أهمية أسلوب الترهيب في مجال الدعوة :

إن للترهيب أهمية كبيرة في مجال الدعوة ؛لأن هنالك بعضًا من الناس وأصنافًا منهم لا يجدي فيهم الترغيب والوعود الجميلة ، وإنما ينفع معهم التقريع والتعنيف وكسر حدة النفس ، وإلزامها كلمة التقوى والمتابعة ، فكان الترهيب والتخويف مناسبًا لذلك ، ومن صوره : الترهيب من ترك جنس الطاعات وعدم القيام بتحقيق أركان الإسلام والإيمان والإحسان ، أو التهاون في بقية أنواع الطاعات الأخرى والحقوق والواجبات المترتبة على المسلم

ولكن يبقى هناك أمر لا بد من ذكره والإشارة إليه وهو مراعاة التوسط في الترغيب والترهيب فلا نغالي في الترغيب فيتكل الناس ولا نبالغ في الترهيب فييأس الناس فلابد من التوازن بينهما ، كما لابد من الممازجة بينهما فذكر الترغيب مصحوبًا بالترهيب فيجمع بين الرجاء والخوف ، وإذا تأملنا آيات الذكر الحكيم ونصوص السنة المطهرة لرأينا ذلك فما ذكرت الرحمة إلا وجاء بعدها الشدة والقسوة ، وما ذكر الغضب وإلا جاء بعده العفو والصفح ، وما ذكر العذاب إلا ذكرت بعده المغفرة، وما

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الحميد بن علي رالعوسجي ، ص 153 .
(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الحميد بن علي رالعوسجي ، ص 153 .
(3) ـ معجم مقاييس اللغة ، ج 2 ، ص447
(4) ـ عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة ، ص 437

ذكرت الجنة وما فيها من نعيم إلا وذكرت معها النار وما فيها من جحيم، وهكذا... ومن هنا تأتي ضرورة التمازج بينهما. ولا نذكر أحدهما إلا أعقبناهُ بالآخر[1].

ثالثا : نماذج من صور الترهيب في رسائل الأسمر :

1 ـ الترهيب والتحذير من الغفلة ، يقول الأسمر : ((وإياك والغفلة عن ذكر مولاك فإن الغافل عن ذكر ربه ميت القلب))[2]

2 ـ التحذير من الغيبة ، يقول الأسمر : ((والحذر من الغيبة فإنها تأكل الحسنات ، وتكثر السيئات ، و " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده "[3] ، " وحرمة مال المؤمن وعرضه كحرمة دمه "[4] ...))[5]

3 ـ التحذير من عقوق الوالدين ، يقول الأسمر : ((وإياكم وعقوق الوالدين الرفيقين الشفيقين على الذرية ، ليس منا من عق والديه نعوذ بالله منه لأن الفقير الصحيح الذي لا يدخله الغلط والهوى لا يكون عاقا لوالديه ولا لمؤدبه ومعلمه))[6]

3 ـ التحذير من السحر ، يقول الأسمر : ((إخواني : إياكم واتباع علم الكيمياء ، والكنوز والجداول والتبريج والفال ، وتقليب القلوب ... وقد نهانا عن ذلك أهل الطريقة العروسية غاية النهي ، ومن الباطل أيضا : علم العزائم والأسحار وربما يكون كفرا بالله أعاذنا الله من ذلك ، فالعروسي لا يفعل شيئا من المحرمات ولا المكروهات))[7]

---

(1) ـ انظر : أبوبكر محمد أبوبكر ، أساليب الدعوة عند الشيخ محمد الغزالي (رحمه الله)(1917م - 1996م) ، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير ، تحت إشراف : فضيلة الأستاذ الدكتور : محمد السيد إبراهيم البساطي ، العام الجامعي : 1434هـ - 2013 م ، جامعة المدينة العالمية ، كلية العلوم الإسلامية ، قسم الدعوة وأصول الدين ، ماليزيا ، ص 32

(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الرحمن بن عبد المؤمن الفزاني ، ص 127 .

(3) ـ البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب : الإيمان ، باب : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، رقم الحديث 10 ، ج 1 ، ص 11 .

(4) ـ أحمد ، مسند الإمام أحمد ، رقم الحديث 4262 ، ج 1 ، ص 446.

(5) ـ الأسمر ، رسالة إلى محمد بن عبد الكريم الشاذلي ، ص 136.

(6) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بطرابلس ، ص 221 .

(7) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمالي ، ص 248 .

5 ـ التحذير من استعمال التبغ ((الدخان))

يعتبر استعمال التبغ من القضايا الفقهية المستجدة في عصره لذا نجده يحذر منه فقد تناول موضوع التدخين في رسالته الموجه إلى مريديه بتمبكتو : ((إياكم وشرب الدخان في الفم والأنف ، وهو شجرة قبيحة الرائحة تسمى بالتابغة يذكر أنها خلقت من بول إبليس لعنه الله ...))[1] ، ويستدل على تحريم شرب الدخان بفتوى لشيخه عبد الواحد الدكالي بقوله : ((سئل شيخنا عن شرب الدخان هل هو حرام أم لا ؟ فأجاب ـ رحمه الله ـ بما نصه : شرب الدخان عندي محرم لثلاثة أوجه :

الأول : إنه من الخبائث ، وقد حرم الله عز وجل في كتابه العزيز الخبائث فقال جل من قائل : ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ﴾[2]

الثاني : إن فيه إضاعة المال وقد نهى ـ ﷺ عن إضاعة المال .

الثالث : إن فيه أكل جزء من النار وأكل النار حرام ، إلى أن قال : ولا يقول بجوازه إلا من يشربه والله أعلم .

وسئل أيضا والد شيخنا محمد الدكالي ـ رحمه الله ـ فأجاب بأنه حرام قائلا : ولو لم يكن للعلماء فيه مقال لكان يكفينا في تحريمه قولهم : لا يجوز لأحد أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه ، وهذا لا نعلم حكم الله فيه ، فلا يجوز لنا القدوم عليه والله أعلم))[3]

(3)

ومن الملاحظ هنا أيضا أن صور الترهيب قد تنوعت في رسائل الأسمر بين الدعوة إلى إصلاح الظاهر والباطن وهذا ما يؤكد فعلا أن الخلل الذي حاول الأسمر إصلاحه هو فقدان التوازن بين الحقيقة والشريعة .

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمالي ، ص 240 .
(2) ـ سورة ، الأعراف ، آية : 157 .
(3) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمالي ، ص 241 .

المبحث الخامس : الرفق والقدوة الحسنة في الدعوة :

المطلب الأول : أسلوب الرفق في الدعوة :

أولا : تعريف الرفق لغة واصطلاحا :

الرفق في اللغة : ضد العنف ، وهو لين الجانب ، ويقال: رَفَق بالأَمر وله وعليه يَرْفُق رِفْقًا، ومرفقًا: لان له جانبه وحسن صنيعه ، ورَفُقَ يَرْفُقُ ورَفِقَ لطف ورفَقَ بالرجل وأَرْفَقه بمعنى وكذلك تَرفَّق به ، وقيل : حسن الانقياد لما يؤدي إلى الجميل[1]

وفي الاصطلاح : ((لين الجانب بالقول والفعل ، والأخذ بالأسهل ، وهو ضد العنف))[2] ، وقال القاري[3] : ((هو المداراة مع الرفقاء، ولين الجانب، واللطف في أخذ الأمر بأحسن الوجوه، وأيسرها))[4] ، وهو مفتاح الداعية في الدخول إلى عقول المدعوين وقلوبهم .

لقد كان الرفق ديدن دعوة الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام ، فقد دعا نوح عليه الصلاة والسلام قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ، استخدم معهم أنواعا من الأساليب ، ليقبلوا على دعوته ويقبلوا منه ، لكن المحصلة كانت قليلة ، وكذلك عاش إبراهيم ، وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام على دعاء أقوامهم يدعونهم إلى الله برفق وعدم عجلة ، حتى نص القرآن الكريم على وجه من توجيهات الرب تبارك وتعالى لموسى وأخيه هارون عليهما السلام في دعوتهما إلى فرعون : ﴿فَقُولاَ لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّناً لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٣﴾﴾[5]

فالقول اللين : هو القول الذي لا خشونة فيه ، وإذا كان موسى عليه السلام أمر بأن يقول لفرعون قولا لينا ، فمن دونه أحرى بأن يقتدى بذلك في خطابه ، وأمره بالمعروف في كلامه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً ﴿٨٣﴾﴾[6]

---

(1) ـ انظر : ابن منظور ، لسان العرب ،ج 10 ، ص 118 ، والمعجم الوسيط ، ج 1 ، ص 362

(2) ـ ابن حجر ، فتح الباري ، ج 10 ، ص 449 .

(3) ـ علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ) ، انظر : الأعلام ، ج 5 ، ص 12 .

(4) ـ القاري ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ن : دار الفكر، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 1422هـ - 2002م ، ج 8 ، ص 3170 .

(5) ـ سورة ، طه ، آية : 43.

(6) ـ سورة ، البقرة ، آية : 82.

ولقد تحلى قدوة الدعاة ، النبي الخاتم محمد ـ ﷺ ـ بالرفق في أقواله وأفعاله مع من دعاهم إلى الله تعالى ، وكان ذلك سببا رئيسا من أسباب نجاحه في دعوته ، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : ((بال أعرابي في المسجد ، فقام الناس إليه ليقعوا فيه ، فقال النبي ـ ﷺ ـ : دعوه وأريقوا على بوله سجلا من الماء ، أو ذنوبا من ماء ، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين))[1] ، وعن معاوية بن الحكم السلمي[2] ـ رضي الله عنه ـ قال : ((بينما أنا أصلي مع رسول الله ـ ﷺ ـ إذ عطس رجل من القوم فقلت : يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم ، فقلت : وآثكل أمِياه ، ما شأنكم ؟ تنظرون إليَ ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يصمتونني ، لكني سكت ، فلما صلى رسول الله ـ ﷺ ـ فبأبي هو وأمِي ، ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه ، فو الله ما كهرني ، ولا ضربني ولا شتمني ، قال : إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن))[3]

ولقد حث النبي ـ ﷺ ـ المسلمين عامة ، ويدخل في ذلك الدعاة من باب أولى إلى التحلي بالرفق ، فمن ذلك : ما روته أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال : ((إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما يعطي على سواه))[4] ، وعن جرير بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال : ((من حرم الرفق يحرم الخير))[5] ، وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال : ((إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه و لا ينزع من شيء إلا شانه))[6]

---

(1) ـ النسائي ، السنن الكبرى ، باب : ترك التوقيت في الماء ، رقم الحديث 52 ، ج 1 ، ص 92.
(2) ـ معاوية بن الحكم السلمي الحجازي له صحبة من قيس عيلان بن مضر وهو معاوية بن الحكم بن مالك بن خالد بن صخر بن الشريد ، انظر : ابن حبان ، الثقات ، ج3 ، ص 373 .
(3) ـ مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : تحريم الكلام في الصلاة ، ونسخ ما كان من إباحة ، رقم الحديث 537 ، ج 1 ، ص 381 .
(4) ـ مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : فضل الرفق ، رقم الحديث 2592 ، ج 4 ، ص 2003 .
(5) ـ مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : فضل الرفق ، رقم الحديث 2592 ، ج 4 ، 2003 .
(6) ـ مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : فضل الرفق ، رقم الحديث 2594 ، ج 4 ، ص 2003 .

فبالرفق تساس الطباع ، ويعرف مكمن الداء ، ويعطى الدواء ، لتستقيم الأنفس على الخير ، وتقبل دعوة الله ﷻ ، ويزول ما في الصدور ما حل فيها من عوارض البغض ، وأسباب الشحناء ، ولا شك أن الدواء لهذا كله بلسم الرفق[1]

ولما كان الرفق من أهم مظاهر الدعوة الناجحة والمحققة للمقاصد فإننا نجد الأسمر ـ رحمه الله قد أخذ به في دعوته إلى مريديه ليتحلوا به ، وهذا ما سطره في رسائله إليهم من ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله : ((وأوصيك بالرفق في جميع الأحوال))[2] ، ((وإذا أمرت أحدا بمعروف أو نهيته عن منكر فيكون ذلك برفق ولطف وشفقة))[3] ، ((وأنصح من يحتاج إلى النصح منهم بلطف وشفقة في خلوة ، وكن كثير الاحتمال دائر العفو والصفح عن عثرات الإخوان ، والحذر من الجفاء والغلظة والفظاظة فإنها من أخلاق الجبابرة))[4]

إن من أهم وأوضح صور الرفق والحلم في رسائل الأسمر هو حب الأسمر لمريديه ورأفته بهم ، وعدم مصادمة مشاعرهم ، وتمثل ذلك في الدعاء لهم .

والدعاء للغير يأخذ معنى تمني الخير للغير وحب المصلحة له والخوف عليه ، مما يعطي المريد الإحساس بحب الشيخ له والرغبة الصادقة في دعوته للخير وهدايته ، وهذا يكون أدعى إلى قبول النصيحة .

أما عن الدعاء للمريد في رسائل الأسمر فقد أخذ صورا متعددة منها :

1 ـ ((فإنني أوصيك أيها المريد النجيب وفقك الله بتوفيق الصالحين وأخذ بناصيتك إلى كل خير))[5]

2 ـ ((وفقنا الله وإياك ، وجعلنا بالعافية والسلامة ، وحققنا بالتقوى والاستقامة ، وأحيانا وأماتنا على الملة الزهراء ، والمحجة الغراء التي بعث بها رسوله الكريم وحبيبه الأعظم سيدنا محمد ـ ﷺ ـ والحمد لله رب العالمين))[6]

---

(1) ـ انظر : العمار ، محمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار ، صفات الداعية ، ن : دار إشبيليا ، ط 2 ، 1999م ، ص 58 .
(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الحميد بن على العوسجي ، ص 158 .
(3) ـ الأسمر ، رسالة إلى محمد بن عبد الكريم الشاذلي ، ص 137 .
(4) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الرحمن بن عبد المؤمن الفزاني ، ص 127 .
(5) ـ الأسمر ، رسالة إلى محمد بن عبد الكريم الشاذلي ، ص 134 .
(6) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الرحمن بن مؤمن الفزاني ، ص 132.

المطلب الثاني : القدوة الحسنة

قبل أن أتطرق إلى أسلوب القدوة الحسنة في رسائل الأسمر أحب أن أبين المعنى المراد بالقدوة في اللغة والاصطلاح .

أولا : تعريف القدوة لغة واصطلاحا :

القدوة : الإسوة ، يقال : فلان قدوة ، يقتدى به ، وقد يضم ، فيقال : لي بك : قُدوة وقِدوة وقدةً [1]

والقُدوة : اسم من اقتدى به إذا فعل مثل فعله تأسيًا ، وفلان (قُدوةً) أي يقتدى به والضم أكثر من الكسر ، قال ابن فارس : ويقال : إن (القُدوة) الاصل الذي يتشعب منه الفروع[2]

وفي الاصطلاح : قال الإمام الشوكاني : الاقتداء : ((هو طلب موافقة الغير في فعله))[3]

ويمكن أن نخلص من ذلك إلى أن القدوة الحسنة : هي التأسي بكل من عمل عملا صالحا حسنا، سواءً كان نبيًا رسولاً، أو كان تابعًا للرسل الكرام ناهجًا نهجهم في عمله[4]

ثانيا : أهمية أسلوب القدوة الحسنة :

إن أسلوب القدوة الحسنة من أهم الأساليب في الدعوة إلى الله تعالى ، لأن تأثر الناس بالأفعال والسلوك غالبا ما يكون أشد وأكثر من تأثرهم بالأقوال فقط ، ولا شك أن أسلوب القدوة يعد من أهم الأساليب الدعوية الناجحة وأشدها تأثيرا ، وربما كان أول ما ينبغي البدء به من أساليب الدعوة المختلفة ، إسوة بالرسل الكرام ـ عليهم أفضل الصلاة وأتم السلام ـ الذين كانوا يمتثلون ما يدعون أقوامهم إليه ويطبقونه قبل أن يدعوا إليه ، كما يتضح ذلك في قوله تعالى حكاية عن سيدنا شعيب ـ عليه السلام ـ ﴿ وَمَا

---

(1) ـ انظر : مختار الصحاح ، ص 249 ، وانظر : التوقيف على مهمات التعاريف ، ص 269 ، مصدر سابق .

(2) ـ انظر : أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري ، المصباح المنير ، ن : المكتبة العلمية ، بيروت ، د ن : ط ، ج 2 ، ص 494 .

(3) ـ الشوكاني ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، ن : دار الفكر ، بيروت ، ط 3 ، 1402 هـ ، ج 2 ، ص 137.

(4) ـ انظر : عبد الكريم زيدان ، المدخل إلى علم الدعوة ، ص 272 .

ٱرِيدُ أَنْ ٱخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ ٱرِيدُ إِلاَّ ٱلإِصْلَاحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيَ إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ ٱنِيبُ ﴿٨٨﴾[1]

ولقد أمر الله ﷻ نبيه محمد ـ ﷺ ـ بالاقتداء بمن سبقه من الرسل والتأسي بهم فقال ﷻ : ﴿ٱوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴿٩٠﴾﴾[2]

كما حرض وندب عباده المؤمنين بالتأسي به ـ ﷺ ـ في قوله تعالى : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَالْيَوْمَ ٱءَلاْخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً ﴿٢١﴾﴾[3]

ومن هنا فالداعية الحكيم هو الذي يراعي هذا الأسلوب في الدعوة ، فالنفوس مجبولة على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه ، ولا يوافق فعله قوله ، ولا أدل على نجاح هذا الأسلوب وقوة تأثيره في المدعوين من أن كثيرا من بلاد المسلمين التي لم يصلها الفتح الإسلامي ، إنما دخل أهلها الاسلام نتيجة لتأثرهم بأخلاق التجار المسلمين واقتداءهم بهم ، فالقدوة هي الدعوة الصامته التي لا يعوقها حاجز اللغة ، بل يفهمها جميع أجناس البشر دون عناء .

وقد أدرك الأسمر ـ رحمه الله ـ أهمية هذا الأسلوب وسرعة تأثيره في المدعوين ، وسهولة تلقيهم له ، إضافة إلى عمق تأثيره في نفوسهم فحرص ـ رحمه الله ـ على الأخذ به ، والاستفادة من ثماره ، ولئن كانت الشواهد على ذلك في السيرة العامة للأسمر واضحة فإن رسائله أيضا التي هي مادة هذا البحث فيها دعوة للاقتداء بالرسول ـ ﷺ ـ ومن سار على نهجه من الدعاة العاملين ، ((فإنني أوصيكم ونفسي بتقوى الله واتباع سنة رسول الله ـ ﷺ ـ التي هي المحجة البيضاء))[4]

ولكن لكي تعطي القدوة الحسنة ثمارها لابد لها من أصلين تقوم عليهما هما :

1 ـ حسن الخلق

2 ـ موافقة العمل للقول

---

(1) ـ سورة ، هود ، آية : 88.
(2) ـ سورة ، الأنعام ، آية : 91.
(3) ـ سورة ، الأحزاب ، آية : 21.
(4) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه في طرابلس الغرب ، ص 214

فإذا تحقق هذان الاصلان حسنت سيرة الداعي وكانت سيرته الطيبة دعوة صامتة إلى الإسلام ، وإن فاته هذان الاصلان ساءت سيرته وصارت دعوةً صامتة منفرة عن الإسلام[1]

ولقد تحقق هذان الاصلان في سيرة الأسمر حتى ذاعت أخلاقه وشدت إليه الرحال ، تقتبس من سيرته وأخلاقه وتجعله قدوة وحجة في التربية والسلوك ، ومما لاشك فيه أن أعماله الخيرة وجهوده في الدعوة من تدريس وخطابة وإحسان إلى الناس تعتبر إسلوبا من أساليب دعوته الناجحة .

المبحث السادس : موضوعات الدعوة في رسائل الأسمر :

التزم الباحث في هذا المبحث بالمنهج الذي سار عليه في المباحث السابقة في الكشف عن الموضوعات التي تناولها الأسمر في رسائله وتصنيفها .

المطلب الأول : موضوعات الشريعة :

أولا : الدعوة إلى الصلاة :

الصلاة في اللغة : ((الدعاء))[2] ، وفي الاصطلاح : هي ((أفعال وأقوال مخصوصة ، مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم مع النية بشرائط مخصوصة))[3] ، فالصلاة من أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين ، وهي شعار المسلمين والعهد الذي بينهم وبين الكفر ، وقد جاءت آيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول الأمين بالحث عليها وذكر فضلها وتعظيم شأنها ، والأمر بإقامتها والمداومة عليها ، ومن ذلك قوله تعالى في وصف المتقين ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾[4] ، وقال تبارك وتعالى آمرا بالمحافظة عليها ﴿حَافِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَالصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝٢٣٨﴾[5] ، والصلاة هي عمود الدين ، فعن معاذ بن جبل - ﷺ - أن النبي - ﷺ - قال : ((... ألا أخبركم برأس الأمر وعموده

---

(1) - انظر : عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة ، ط 3 ، ص 468

(2) - الرازي ، مختار الصحاح ، تح : محمود خاطر ، ن : مكتبة لبنان ناشرون ، 1995 م ، باب الواو والياء، فصل الصاد ، مادة (صلا) ، ج6 ، ص384 .

(3) - الحطاب ، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ، ن: دار الفكر ط 2 ، 1412هـ - 1992م ، ج 1 ، ص 377.

(4) - سورة ، البقرة ، آية : 2.

(5) - سورة ، البقرة ، آية : 236.

وذروة سنامه ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ..))[1] ، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من الأعمال ، ففي الحديث الصحيح أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : ((أول ما يحاسب به العبد الصلاة ، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء))[2] ، يقول الشيخ الأسمر متناولا موضوع الصلاة والحث عليها : ((إخواني عليكم بالمحافظة على الصلوات الخمس بأن تصلوها في أوائل الوقت مع الجماعة فإنها عماد الدين ، وأتقنوها بفرائضها وسننها ومستحباتها ،واعرفوا مكروهاتها ومبطلاتها ، قال عليه الصلاة والسلام : " من حافظ على الصلوات الخمس بسجودها وركوعها وجميع شرائطها صعدت إلى السماء وعليها نور وهي تقول : حفظك الله يا فلان كما حفظتني ، ومن لم يحافظ عليها صعدت إلى السماء وعليها ظلمة وهي تقول : ضيعك الله يافلان كما ضيعتني "[3] ، وقال عليه الصلاة والسلام : " الصلاة مرضاة الرب تبارك وتعالى ، وحب الملائكة ، وسنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ونور المعرفة ، وأصل الإيمان ، وإجابة الدعاة ، وقبول الأعمال ، وبركة في الرزق ، وراحة الأبدان ، وسلاح على الأعداء ، وكراهية الشيطان ، وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت ، وسراج في قبره ، وفراش تحت جنبه ، وجواب لمنكر ونكير ، ومؤنس وزائر في قبره إلى يوم القيامة ، فإذا كانت القيامة صارت الملائكة ظلا فوقه ، وتاجا على رأسه ، ولباسا على بدنه ، ونورا يسعى بين يديه ، وسترا بينه وبين النار ، وحجة للمؤمنين بين يدي الرب تبارك وتعالى ، وثقلا في الميزان ، وجوازا في الصراط ، ومفتاحا للجنة لأن الصلاة تسبيح وتحميد وتقديس وتعظيم وقراءة ودعاء ، وإن أفضل الأعمال كلها الصلاة "[4] ، وإياكم أن تتركوا الفروض الكفائية كصلاة الجنازة وغيرها ، ولا تتركوا النوافل ، وصلاة الضحى فإن فيها بركة كثيرة ، وهي من خصائص النبي ـ ﷺ ـ))[5].

---

(1) ـ أحمد ، مسند الإمام أحمد ، كتاب : مسند الأنصار ، باب : حديث معاذ بن جبل ، رقم الحديث 21008 ، ج 36 ، ص 345 .

(2) ـ البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب : الديات ، باب : قول الله تعالى (ومن يقتل مؤمنا متعمدا ..) ، رقم الحديث 6864 ، ج 22 ، ص426 .

(3) ـ البيهقي ، شعب الإيمان ، ن : دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1410 ، تح: محمد السعيد بسيوني زغلول ، رقم الحديث 1141 ، ج 3 ، ص 144، وانظر : ابن شاهين ، الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك ، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، ن: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م ، رقم الحديث 42 ، ج1 ، ص 20.

(4) ـ النازلي ، خزينة الأسرار ، ن : دار الفكر ، ص 32.

(5) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بالزاوية الغربية ، ص 177 .

ثالثا : الدعوة إلى إخراج الزكاة :

الزكاة في اللغة : ((النماء))[1] ، وشرعا : ((مال مخصوص يؤخذ من مال مخصوص في زمن مخصوص يصرف في جهات مخصوصة))[2] ، وقيل : ((حق واجب في مال خاص ، لطائفة مخصوصة ، في وقت مخصوص))[3]

إن أعظم ما أوجب الله في الأموال ، وأفضل ما أمر به ﷻ هي الزكاة التي هي ثالث أركان الإسلام ، وقرينة الصلاة في محكم التنزيل قال تعالى : ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾[4] ، وجاء في منعها والبخل بها الوعيد الشديد ، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾[5]

وعن أبي هريرة ـ ﷺ ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ ((من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني بشدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا : ﴿وَلاَ يَحْسِبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾[6]، وإظهارا لهذه الشعيرة ومكانتها في الإسلام أظهر الأسمر ـ رحمه الله ـ إهتماما بها في رسائله الدعوية إلى مريديه وحث على إخراجها بنفس راضية ، وأن توضع حيث أمر الله بوضعها ، فقال : ((وأوصيك ونفسي بتقوى الله ... وبإخراج الزكاة إن كان عندك مال تجب فيه

---

(1) ـ الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، باب : الواو والياء ، فصل : الزاي ، مادة : (زكا) ، ج 4 ، ص 375.

(2) ـ عثمان بن حسنين بري الجعلي المالكي ، سراج السالك شرح أسهل المسالك ، ن : المكتبة العصرية ، بيروت ، ص147 .

(3) ـ ابن قدامة ، المغني ، ج2 ، ص 433 .

(4) ـ سورة ، البقرة ، آية : 109.

(5) ـ سورة ، التوبة ، آية : 34.

(6) ـ سورة ، آل عمران ، آية : 180.

إخراجها وأنت طيب القلب فرح مسرور بذلك ، وضعها حيث وضعها الله في الفقراء والمساكين ، ولا تطلب على ذلك ثناء منهم ولا من غيرهم ولا تعمل إلا لوجه الله فإن الفاعل لوجه الناس مردود العمل ، وأن الله سبحانه لا يقبل من الأعمال إلا ما هو خالص لوجهه))[1] وبما أن النية مطلوب استحضارها في جميع العبادات كان لابد من الحث عليها عند إخراج الزكاة والتحذير من الرياء فيها ، والزكاة الواجبة يجب دفعها إلى مستحقيها على الفور وقت الوجوب بأن توضع حيث وضعها الله ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَٰكِينِ وَالْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَالْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَابْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾[2]

الملاحظ أن الأسمر- رحمه الله - لا يكتفي إلى أداء الصلاة والزكاة وغيرها من الفرائض بوصفها أعمالا ظاهرية وإنما يقرن ذلك بالعمل الباطن كالإخلاص والخشوع وغيرها ، وفي ذلك دلالة على الدعوة إلى إقامة التوازن بين الظاهر والباطن ، أي بين الشريعة والحقيقة ودون خلل في أحدهما[3]

ثالثا : الدعوة إلى صيام رمضان

الصيام في اللغة : ((الإمساك))[4] ، وشرعا : ((الإمساك عن شهوتي البطن والفرج والفرج في جميع النهار بنية))[5] ، وصيام رمضان هو الركن الرابع من أركان

---

(1) - الأسمر ، رسالة إلى محمد بن عبد الكريم الشاذلي ، ص 134.
(2) - سورة ، التوبة ، آية : 60 .
(3) - انظر ، حسين علي عكاش ، بحوث ودراسات في التصوف الإسلامي ، ن دار الأهرام للطباعة والنشر ، ط 1 ، 2019 ، ص 44 وما بعدها .
(4) - القاموس المحيط ، باب : الميم ، فصل : الصاد ، مادة (صام) ج4 ، ص 101 .
(5) - القطب الدردير ، الشرح الكبير على مختصر خليل ، ومعه تحريرات البناني وتحصيلات الدسوقي ، ن : المكتبة العصرية ، ج 1 ، ص 373 .

الإسلام ،ودليل فرضيته قوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾[1] ، يقول الأسمر :

((إخواني : اعتكفوا في المساجد ، وأكثروا من الذكر والفكر وأحيوا ليالي شهر رمضان بالصلاة والذكر لكي تنالوا الخير والأجر ، وربما تظفرون حين ذلك بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر))[2]

واعلموا أن للصوم فوائد جليلة ، منها :

1 ـ إجابة الدعاء

2 ـ نزول البركة من السماء

3 ـ صلاة الملائكة على الصائم إذا أكل عنده الصائمون

4 ـ مجاهدة الجوع والعطش

5 ـ ومنها الاستيلاء على النفس

6 ـ التمكن من السهر وأن لا ينسى البلاء وأهله ، والتمكن من إيثار الفقراء والتخلص من شر بطنه

7 ـ ومنها أنه يفيد الصحة ، فإن كل من قل أكله قل مرضه وكثرة الأخلاط سبب الأمراض

وللصيام فضائل وفوائد عديدة حينما يترك ما تشتهيه نفسه ، أملا فيما عند الله من الأجر والمثوبة والرحمة والرضوان والعتق من النيران ، فيجب على المسلم أن يصوم رمضان إيمانا واحتسابا ، لا رياء ولا سمعة ولا مجاملة لأحد))[3] .

---

(1) ـ سورة ، البقرة ، آية : 182.
(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة طرابلس الغرب ، ص 230 .
(3) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة بسوس الأقصى ، ص 285 وما بعدها .

رابعا : الدعوة إلى فريضة الحج

الحج في اللغة : ((القصد ، والقدوم ، والتردد ، وقصد مكة للنسك))[1] ، وشرعا : ((وقوف بعرفة ليلة عاشر ذي الحجة وطواف بالبيت سبعا وسعى بين الصفا والمروة كذلك على وجه مخصوص بإحرام))[2] ، وقد فرض الله تعالى حج بيته الحرام للمستطيع من المسلمين فقال ﷻ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حَجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾[3] ، وقد نهانا الله تعالى عن اللغو والجدال في الحج ، فقال تعالى : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَابِ ﴿١٩٦﴾﴾[4] ، وفي الحديث عنه ـ ﷺ ـ أنه قال : ((من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه))[5] ، فقد بين الأسمر حكم الحج ، ونبه على الإخلاص في آدائه ، وحذر من الاستهانة بشعائر الله وتعدي حرماته ، حيث قال : وعليكم : بتجريد النية والقصد لحج بيت الله الحرام وقضاء مناسككم وتعظيم حرماته وشعائره ، وزيارة قبر النبي ـ ﷺ ـ فلا يكن لكم في سفركم غرض ولا أرب غير ذلك ، وما يلحق به من المقاصد المحمودة ، واحذروا : أن تخلطوا بهذه النيات الشريفة طلب نزهة أو رغبة في تجارة ، وعليكم : بالإكثار من الطواف بالبيت العتيق ، فإن الطائف به خائض في الرحمة ، ولتكن قلوبكم في حال طوافكم طافحة بتعظيم رب البيت وإجلاله ، ولا تشتغلوا في طوافكم بشيء سوى التلاوة والذكر والدعاء ، واحذروا : من اللغو فيه ، وحافظوا : على الأذكار والدعوات التي تقال في

---

(1) ـ القاموس المحيط ، باب : الجيم ، فصل : الحاء ، مادة : (حج) ، ج1 ، ص 247 .
(2) ـ الشرح الكبير ، ص 411 مصدر سابق .
(3) ـ سورة ، آل عمران ، آية : 97.
(4) ـ سورة ، البقرة ، آية : 196.
(5) ـ البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب : فضل الحج المبرور ، رقم الحديث1521 ، ج 6 ، ص 57.

الطواف والسعي وغيرهما من المواطن ... وأكثروا من الإعتمار سيما في شهر رمضان فإن العمرة فيه تعدل حجة مع النبي ـ ﷺ ـ[1]

إن من الموضوعات المهة في دين الإسلام موضوع العبادات لما لها من الأهمية والمحافظة على انظباط سلوك الفرد والمجتمع ، فالأسمر حين يدعو إلى المحافظة عليها ، فهو يدعو إلى وسيلة من وسائل إصلاح الأفراد والمجتمعات ، وذلك لما للعبادة من أثر روحي كبير في شحن القلوب بالشحنة الإيمانية التي تنفي الخواطر والهواجس والأفكار الردئية من القلوب وتحل محلها الأفكار الخيرة الربانية التي تنتج السلوك الطيب المستقيم ، فجميع صور العبادات في الإسلام تحول نفسية الفرد المسلم إلى نفس هادئة مطمئنة لا تميل إلى فعل المنكرات بل وتستقبح ذلك ، ويظهر أثر التصوف والدعوة إليه عند الأسمر في إلزام المريد بالعبادات المختلفة والمتنوعة وعدم التفرط فيها .

من هنا يمكن القول بأن المنهج الدعوي والمنهج الصوفي عند الأسمر تميز بالعناية بنفس المريد وحملها على تطبيق جميع التعاليم والآداب الشرعية التي تصونه وتحفظ له الإنظباط في كل أحواله وأوقاته ، وبذلك تتحول صور العبادات وأشكالها إلى وسيلة من وسائل التربية وإصلاح النفس وإقامة التوازن والإعتدال والوسطية في الأخلاق والأفعال والسلوك .

المطلب الثاني : موضوعات الأخلاق في رسائل الأسمر :

لم يرسم القرآن الكريم للمسلمين معالم عقيدتهم وفروضها العملية فحسب ، بل رسم لهم أيضا طريق الفضيلة وما ينبغي أن يتحلوا به في سلوكهم من أخلاقهم ، حتى ينالوا رضا ربهم ومحبته ، يقول الله تعالى : ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾﴾[2] ، ويقول ﷻ ناهيا عن احتقار الناس والغيبة والظن السيء : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن

---

(1) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بتونس ، ص 269 .
(2) ـ سورة ، الفرقان ، آية : 63.

قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَّكُونُواْ خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰ أَنْ يَّكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُواْ أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُواْ بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾[1]

ولقد حرم الله تعالى الفواحش ما ظهر منا وما بطن فقال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[2] ، وأمر بالتزكية وفعل الخير فقال جل ذكره : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾﴾[3]

فبهذه القيم الروحية جميعا يقوم الإسلام وينتشر ، فالإسلام ليس عقيدة فقط ولا أعمالا تتعب البدن وتجهد النفس ، بل هو أخلاق كما قال ـ ﷺ ـ ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ))[4] ، فكما جاءت الآيات والأحاديث لتقرير العقيدة وبيان الشريعة ، جاءت أيضا للدعوة إلى طهارة النفس ونبذ الفواحش ومراقبة الله في السر والعلن في الأقوال والأفعال ، وشيخنا الأسمر لم يخرج عن هذا المنهج الرباني الذي جاء به القرآن الكريم ودعا إليه سيد المرسلين ، فقد تناولت رسائل الأسمر موضوعات شتى ومسائل متعددة ، من هذه الموضوعات ما هو عقدي أو تشريعي أو أخلاقي ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الأسمر قد تعددت اهتماماته بجميع جوانب الدعوة ومن بين الموضوعات التي اهتمت بها رسائل الأسمر فيما يتعلق بعلم الباطن الذي هو هدف التصوف ومقصوده :

---

(1) ـ سورة ، الحجرات ، آية : 11.
(2) ـ سورة ، الأعراف ، آية : 31.
(3) ـ سورة ، الشمس ، آية : 9.
(4) ـ البيهقي ، السنن الكبرى ، تح: محمد عبد القادر عطا ، ن : دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات ، ط 3 ، 1424 هـ - 2003 م ، باب : بيان مكارم الأخلاق ، رقم الحديث 20782 ، ج 10 ، 323 .

أولا : " التحذير من الرياء "

وقبل أن نستعرض النصوص التي ساقها الأسمر في طيات رسائله في التحذير من الرياء ، لابد من تعريف الرياء في اللغة والاصطلاح : ـ

الرياء لغة : مصدر قولهم : راءاه ، يرائيه رياء ومراءة ، وهو مأخوذ من مادة " رأى " التي تدل كما يقول ابن فارس على نظر وإبصار بعين أو بصيرة ، يقال من ذلك : راءى فلان ، وفعل ذلك رئاء الناس ورياء الناس ، وهو أن يفعل شيئا ليراه الناس[1] ، وجاء في لسان العرب راءيت الرجل مراآة ورياء أريته أني على خلاف ما أنا عليه ، وفي التنزيل : ﴿بَطَراً وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾[2] ، وفيه أيضا : ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾[3] ، يعني المنافقين أي إذا صلى المؤمنون صلوا معهم يرآؤونهم أنهم على ما هم عليه ، وفلان مراء وقوم مراؤون والاسم الرياء[4]، والرياء : إظهار جميل الفعل رغبة في حمد الناس لا في ثواب الله[5]

وقيل : الرياء سقوط النشاط في الخلاء وزوال المشاق في الملأ ، وقال الغزالي :الرياء في طلب المنزلة في قلوب الناس بالعبادة[6]

حكم الرياء : قبل الحديث عن مادة الرياء في القرآن الكريم ينبغي للباحث أن يبين حكم الرياء أولا :

ذكر الذهبي الرياء ضمن الكبائر ، وذكر أدلة ذلك من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح[7]

وعده ابن حجر الكبيرة الثانية بعد الشرك بالله وقال شهد بتحريمه الكتاب والسنة وانعقد عليه إجماع الأمة ، وبعد أن أشبع القول في ذكر أدلة تحريمه ، قال : المعنى في تحريمه وكونه كبيرة شرعا مقتضيا للعن أنه فيه استهزاء بالحق تعالى ... ولذلك

---

(1) ـ انظر : ابن فارس ، مقاييس اللغة ، ج2 ، ص 472 ـ 473 بختصار.
(2) ـ سورة ، الأنفال ، آية : 48 .
(3) ـ سورة ، الماعون ، آية : 6.
(4) ـانظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج4 ، ص 296 مصدر سابق .
(5) ـ انظر : العسكري ، الفروق اللغوية ، تح : محمد إبراهيم سليم ، ن : دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ـ مصر ، ج 1 ، ص 229.
(6) ـ انظر : المناوي ، التوقيف على مهمات التعاريف ، ج1 ، ص 184 مصدر سابق .
(7) ـ انظر : الذهبي ، الكبائر ، ن: دار الندوة الجديدة – بيروت ، ج 1 ، ص 154 ـ 157 .

سماه الرسول ـ ﷺ ـ ب " الشرك الأصغر" وفي الرياء أيضا تلبيس على الخلق لإيهام المرائي لهم أنه مخلص مطيع لله تعالى وهو بخلاف ذلك[1]

حديث القرآن الكريم عن الرياء :

لقد وردت مادة الرياء في القرآن الكريم بصيغة الأسم في ثلاثة مواضع ، قال تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾[2]

قال محمد ثناء الله[3] : في هذه الآية تعريض بأن الرياء والمن والأذى من صفات الكفار لا ينبغي للمؤمن ارتكابها أو فعل شيء من هذه الأمر[4] ، وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾[5] ، وقال ﷻ : ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٨﴾﴾[6] ، ووردت مادة الرياء بصيغة الفعل المضارع في موضعين : قال

---

(1) ـ انظر : ابن حجر الهيثمي ، الزواجر عن اقتراف الكبائر ، ن: دار الفكر ، ط 1 ، 1407هـ - 1987م ، ج 2 ، ص 44 .

(2) ـ سورة ، البقرة ، آية : 263.

(3) ـ محمد ثناء الله الهندي ، الباني ، النقشبندي ، الحنفي ، فاضل ، من آثاره: التفسير المظهري ، انظر : رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، ج9 ، ص 144.

(4) ـ محمد ثناء الله المظهري ، التفسير المظهري ، تح : غلام نبي التونسي ، ن : مكتبة الرشدية ـ الباكستان ، 1412 ه ، ج1 ، ص 375 .

(5) ـ سورة ، النساء ، آية : 38.

(6) ـ سورة ، الأنفال ، آية : 48.

تعالى : ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿١٤٢﴾﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٦﴾﴾[2] ، هاتان الآيتان وردتا في حصر صفات المنافقين والتي من بينها أنهم يرآؤن الناس بصلاتهم إذا صلوا ، لأنهم يصلونها ليراهم المؤمنون فيكفوا عن سفك دمائهم وسبي ذراريهم وهم المنافقون الذين كانوا على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ يستبطنون الكفر ويظهرون الإسلام[3]

وهكذا كان حديث القرآن الكريم عن الرياء ترهيبا منه وتخويفا وذما له من كل جوانبه وكل صوره ، المراءاة في الصلاة ، وفي الصدقة وفي النفقة ، وفي الجهاد ، ثم بين الحق ﷻ أن المرائي لا يعمل إلا شرا ، ولا يحصل ثوابا ولا يجني ثمرا ، بل عمله محبط ومردود عليه ، ويوم القيامة تأتي أعماله ولو كانت مثل الجبال علوا وضخامة ، فهي الهباء المنثور أو العهن المنفوش لأن المرائي قد أتعب جسده وهو يحسب أنه يحسن الصنع ويسير على الجادة ولا يدري أنه لا وزن له ولا مكانة ، ولا وزن لعمله ولا مقدر[4]

حديث السنة عن الرياء :

كما جاء القرآن بالتحذير من الرياء ، والأمر بالأخلاص لله تعالى ، كذلك جاءت السنة النبوية بالتحذير من الرياء أيضا :

فقد جاء في الحديث تسمية الرياء بالشرك الخفي أو الشرك الأصغر كما مر ، فقد روى الإمام البغوي في شرح السنة أن النبي ـ ﷺ ـ قال : ((إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكَ الأَصْغَرَ)) ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ؟ قَالَ: ((الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ يُجَازِي الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِمُ: اذْهَبُوا عَلَى الَّذِينَ كُنْتُم تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً))[5].

---

(1) ـ سورة ، النساء ، آية : 141.
(2) ـ سورة ، الماعون ، آية : 6.
(3) ـ انظر : تفسير الطبري ، ج 30 ، ص 313 .
(4) ـ انظر : رسائل علماء المسلمين في العصر العباسي الأول ، ص 265 .
(5) ـ البغوي ، شرح السنة ، تح: شعيب الأرنؤوط ـ محمد زهير الشاويش ، الناشر: المكتب الإسلامي الإسلامي - دمشق، بيروت ، ط 2 ، 1403هـ - 1983م ، عدد الأجزاء: 15، باب الرياء والسمعة ، رقم الحديث 4135 ، ج 14 ، ص 323 ، وانظر : مسند الإمام أحمد ، رقم الحديث 23680 ، ج5، ص 428 .

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة ـ ﷺ ـ قال سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : ((إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتَى بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ قَالَ: كَذَبْتَ إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، فَأَمَرَ بِهِ فَيُسْحَبُ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتَى بِهِ اللَّهَ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَقَرَأْتُ الْقُرْآنَ وَعَلَّمْتُهُ فِيكَ قَالَ: كَذَبْتَ إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ عَالِمٌ، وَفُلَانٌ قَارِئٌ، وَقَدْ قِيلَ فَأَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ أَنْوَاعَ الْمَالِ فَأُتَى بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ فَقَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ شَيْءٍ تُحِبُّ أَنْ أُنْفِقَ فِيهِ إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهِ لَكَ قَالَ: كَذَبْتَ إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ. فَأَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ))[1]

وعن أبي سعيد الخذري ـ ﷺ ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «مَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ» [2]

وعن شداد بن أوس ـ ﷺ ـ قال : إني سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : ((مَنْ صَلَّى يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ صَامَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ))[3]

وللرياء أنواع[4] ، منها :

أولها : تحسين السمت " الهيئة " مع إرادة الجاه وثناء الناس

وثانيها : لبس الثياب القصار أو الخشنة ليأخذ بذلك هيبة الزهد في الدنيا

وثالثها : الرياء بالقول بإظهار السخط على أهل الدنيا ، واظهار الوعظ والتأسف على ما يفوته من فعل الخير والطاعة

ورابعها : إظهار الصلاة والصدقة أو تحسين الصلاة لأجل رؤية الناس له[5]

---

(1) ـ مسلم ، صحيح مسلم ، باب من قاتل للرياء ، رقم الحديث 5032 ، ج 12 ، ص 451 .

(2) ـ أبو يعلى ، مسند أبي يعلى ، تح : حسين سليم أسد ، ن: دار المأمون للتراث – دمشق ، الطبعة: الأولى، 1404 – 1984، رقم الحديث 1059 ، ج2 ، 323 ، عدد الأجزاء: 13، قال : حسين سليم أسد : إسناده ضعيف .

(3) ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، رقم الحديث 17140 ، ج 28 ، ص 364.

(4) ـ انظر : الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج5 ، ص59 .

(5) ـ انظر : وهبة بن مصطفى الزحيلي ، تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ن : دار الفكر المعاصر ـ دمشق ، ط 2 ، 1418 هـ ، ج 30 ، ص 425

أما لو عمل الإنسان عملا وهو مخلصا فيه ثم اطلع الناس عليه وأثنوا عليه وهو غير متطلع إلى مدحهم وثنائهم فليس هذا من الرياء ، فقد سئل النبي ـ ﷺ ـ عن الرجل يعمل من الخير يحمده الناس عليه ، فقال : ((تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ))[1].

لذلك على الداعية إلى الله أن يهتم بالإخلاص ويحذر من الرياء والسمعة ، فإن الشيطان حريص على أن يفسد عليه عمله وقد تدعوه النفس الأمارة بالسوء إلى حب الظهور أو الشهرة أو ما شابههما من أغراض الدنيا الفانية ومن ثم يقع في المحذور والعياذ بالله[2] ، فهذه الآفة إن استحكمت من نفس الداعية قتلت دعوته في المهد .

يقول الإمام الغزالي : ((إن الرياء داء يتسلل للنفس ، لأنها من طبيعتها حب المدح والمحمدة عند الناس ، ويبين أنه شرك يقع فيه الجميع ، وخاصة العلماء منهم ، حيث يقول : إن الرياء يقع فيه العلماء فضلا عن عامة العباد والاتقياء ، وهو من آواخر غوائل النفس وبواطن مكايدها ، وإنما يبتلى به العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد ، لسلوك سبيل الآخرة فإنهم مهما قهروا أنفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات ، عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة والواقعة على الجوارح ، فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير ، وإظهار العمل والعلم ، فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ونظرهم إليه بعين الوقار والتعظيم ، فسارت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده))[3]

والرياء الذي ورد التحذير منه والنهي عنه في رسائل الأسمر هو الرياء الخفي ، فقد أشار إلى معنى الرياء في معرض تعريفه للإخلاص حيث قال : ((والإخلاص هو إفراد الحق ﷻ في الطاعة بالقصد ، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى ... فما خرج عن هذا القصد فهو الرياء))[4] ، ((فمن أراد مع وجه الله منزلة عند الناس أو مدحا أو مالا فهو الرياء))[5]

---

(1) ـ مسلم ، صحيح مسلم ، باب إذا أثني على الصالح فهي بشرى ، رقم الحديث 6891 ، ج17 ، 145

(2) ـ انظر : حمود بن أحمد بن فرج ، المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله ، ن : الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ط 1 ، 1423 هـ ـ 2003م ، ج 1 ، ص 155

(3) ـ الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج3 ، ص 275 .

(4) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بتونس الأقصى ، ص 325.

(5) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بتونس ، ص 257 .

مضار الرياء في رسائل الأسمر : ـ

يقول الأسمر : ((الرياء محبط للعمل ومبطل للثواب))[1] ، يكمن خطر الرياء في كونه أمرًا خفيًّا سريع التسلل إلى القلب، فقد يقع فيه الإنسان من حيث لايشعر، وقد حذر منه النبي -ﷺ-، وخافه على أمته فقد جاء فى مسند الإمام أحمد ، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : ((إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قال وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله ﷻ إذا جزي الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء))[2] ، ومن آثاره كذلك : الحرمان من الهداية والتوفيق ، وحصول الضيق والاضطراب النفسي ، ونزع الهيبة من قلوب الناس، والإعراض من الناس وعدم تأثرهم، وعدم إتقان العمل ، والوقوع في غوائل الإعجاب بالنفس ، والغرور ، والتكبر ، وحب الثناء ، والتشبع بما لم يعط ، ومن آثاره على الدعاة محق بركة الأعمال ، وضعف الثمرة أو انعدامها ، وطول الطريق وكثرة التكاليف ؛ فإن الله لا يمكِّن للمرائين حتى يُمحِّص الصفوف ، ويميز الخبيث من الطيب[3] .

علاج الرياء وضعف الإخلاص :

إن معرفة أسباب الرياء هي أكبر معين على التخلص منه ؛ وذلك بالتزام وسائل المعالجة، التي منها : معرفة الله ﷻ حق المعرفة ، واستشعار منته وفضله وتوفيقه ، والعلم بما يستحق من العبودية، وآدابها الظاهرة والباطنة، وشروطها ، وتعميق حب الله تعالى ، والتعلق بالآخرة ، وتعميق مراقبة الله تعالى ومحاسبة النفس، والتوقف عند نوايا الأعمال، ودفع ما يخطر من موارد الشيطان ووساوسه في الحال، وترك المبالاة بالخلق ، ومعرفة حقيقتهم ، ووضعهم في منزلتهم ومرتبتهم البشرية وتذكر عواقب الرياء الدنيوية والأخروية ،وتصور حال المرائين ومصيرهم

---

(1) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بتونس ، ص 257.

(2) ـ مسند الإمام أحمد ، رقم الحديث حديث 23636 ، ج 39 ، ص 43 .

(3) ـ انظر : المحاسبي ، الرعاية للحقوق الله ، ن : شركة القدس للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط1 ،ص 130 وما بعدها ، ونظر : تنبيه المسلمين إلى أهم أمور الدين ، موقع الكتاب الشاملة ، ص 12 ، وانظر : عبد الحكيم بن محمد بلال ، الأخلاص هم الدعوة ، مجلة البيان 106 جماد آخر17 نوفمبر 1996 م ، ص 30 .

والإكثار من قـراءة وسماع النصوص المرغبة في الإخلاص الداعية إليه ، ومطالعة أخبار المخلصين وحكاياتهم كل ذلك معين على الإخلاص[1].

ولا بد من اللجوء الـتــام إلى الله والاستعانة به ، فقد قال النبي ـ ﷺ ـ ((يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك؛ فإنه أخفى من دبيب النمل ، فقال له من شاء الله أن يقول : وكـيـف نتـقـيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ، قال: قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلم))[2]

ولقد حاول الأسمر علاج هذا المرض الفتاك في رسائله وهذه بعض النقاط التي استشفها الباحث في رسائل الأسمر في معالجة الرياء وهو في ذلك تبعا لمن قبله من الصوفية كأمثال الجنيد والمحاسبي والغزالي وغيرهم وهذا يدل على سعة إطلاعه على كتب التصوف ومدى تمسكه بالسير في طريقهم وهي :

1 ـ ((الإخلاص لله والصدق مع الله))[3]

2 ـ ((بالحذر من الغفلة عن حسن النية وعن استحضارها عند كل حركة))[4]

3 ـ ((بمراقبة الله واستشعار علمه واطلاعه عليك ومعيته لك وإحاطته بك على الدوام))[5]

4 ـ ((بخشية الله تعالى حيث يراك الناس وحيث لا يرونك))[6]

5 ـ ((بحفظ القلب من الخواطر المذمومة وتنظيفه من الأخلاق القبيحة المسمومة))[7]

المسمومة))[7]

7 ـ ((بالحذر من حب الجاه والشهرة والصيت بين الناس والتعظيم والثناء منهم فإن ذلك كله من السموم))[8]

---

(1) ـ انظر : عبد الحكيم بن محمد بلال ، الإخلاص وهمّ الدعوة ، مجلة البيان 106 جماد آخر17 نوفمبر 1996 م ، ص 30 مصدر سابق .

(2) ـ أبو شيبة ، مصنف ابن أبي شيبة ، كتاب: الدعاء ، باب: ما يدعو به الرجل إذا رأى ما يكره ، ج6،ص70 ، رقم الحديث 3458.

(3) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الرحمن بن مؤمن الفزاني ، ص 126 .

(4) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الرحمن بن مؤمن الفزاني ، ص 126.

(5) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الرحمن بن مؤمن الفزاني ، ص 126.

(6) ـ الأسمر ، رسالة محمد بن عبد الكريم الشاذلي ، ص 134.

(7) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بتونس ، ص 268.

(8) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الرحمن بن مؤمن الفزاني ، ص 128.

8 ـ ((باستشعار التقصير منك بالقيام بواجب حق مولانا عليك))[1]

9 ـ ((بحضور القلب وخشوع الجوارح في جميع عباداتك))[2]

10 ـ ((باتهام النفس في جميع الأحوال وأن يرى عيوبه ولا يرى عيوب الناس))[3]

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى سعة إطلاع الأسمر على كتب التصوف ومدى تمسكه بطريق القوم والسير على نهجهم .

وخلاصة ما نستنتجه من عرض هذه النقاط هو أن فيها دعوة للإخلاص في العبادات وإصلاح الباطن الذي هو مصب رحال علوم التصوف وثمرته.

ثانيا : التواضع :

إن للتواضع في أذهان الكثير من الناس فهما مغلوطا ، وللكبر كذلك ، فالكثير من الناس يظن أن التواضع هو في رخص الثياب أو ترقيعه، أو الجلوس على الأرض ، أو انحناء الرأس ، أو التخشع فى الكلام ، أو خفض الرأس وانحناء الظهر ، وكذلك الكبر عند معظم الناس، يعنى ارتداء غالى الثياب أو الاعتناء بالشكل والمظهر، أو الاعتداد بالنفس والثقة فيها ، كل هذا فهم مغلوط لأن سيد المتواضعين ﷺ لم يكن هذا شأنه وكان هو سيد المتواضعين .

فالتواضع يتولد من بين العلم بالله سبحانه ، ومعرفة أسمائه وصفاته ونعوت جلاله وتعظيمه ومحبته وإجلاله ، ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها وعيوب عملها وآفاتها، فيتولد من بين ذلك كله خلق هو التواضع وهو انكسار القلب لله ، وخفض جناح الذل والرحمة بعباده فلا يرى له على أحد فضلا ، ولا يرى له عند أحد حقا، بل يرى الفضل للناس عليه والحقوق لهم قبله ، وهذا خلق إنما يعطيه الله ﷻ من يحبه ويكرمه ويقربه ، وأما المهانة فهي الدناءة والخسة وبذل النفس وابتذالها في نيل حظوظها وشهواتها ، كتواضع السفل في نيل شهواتهم وتواضع طالب كل حظ لمن يرجو نيل حظه منه فهذا كله ضعة لا تواضع والله سبحانه يحب التواضع، ويبغض الضعة والمهانة والتواضع المحمود على نوعين : النوع الأول : تواضع العبد عند أمر الله امتثالا وعند نهيه اجتنابا، فإن النفس لطلب الراحة تتلكأ في أمره، فيبدو منها نوع إباء وشراد هربا من العبودية وتثبت عند نهيه طلبا للظفر بما منع منه، فإذا وضع العبد نفسه لأمر الله ونهيه فقد تواضع للعبودية، والنوع الثاني : تواضعه لعظمة الرب وجلاله وخضوعه لعزته وكبريائه، فكلما شمخت نفسه ذكر عظمة الرب تعالى

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى سعيد بن عبد الحميد الغدامسي ، ص 132.
(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الحميد العوسجي ، ص 153 .
(3) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس الأقصى ، ص 298 .

،وتفرده بذلك وغضبه الشديد على من نازعه ذلك فتواضعت إليه نفسه وانكسر لعظمة الله قلبه واطمأن لهيبته وأخبت لسلطانه فهذا غاية التواضع ، وهو يستلزم الأول من غير عكس والمتواضع حقيقة من رزق الأمرين[1]

التواضع في القرآن الكريم :

لقد تناولت آيات القرآن الكريم التواضع حاثة عليه مرغبة فيه ،مبينة حسن حال ومآل المتواضعين ومحذرة من الكبر ، مرهبة عنه مخوفة منه ، مبينة سوء حال ومآل المتكبرين ، فلقد عده الله تعالى صفة من صفات عباده المخلصين فقال تعالى في معرض تعداده لصفات عباد الرحمن :

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰماً ﴿٦٣﴾﴾[2] ، قال ابن عباس : بالطاعة والمعروف والتواضع ، وقال الحسن[3] : حلماء إن جهل عليهم لم يجهلوا وقيل لا يتكبرون على الناس ،وهذه كلها معان متقاربة ويجمعها العلم بالله والخوف منه والمعرفة بأحكامه والخشية من عذابه وعقابه[4]

وهو كذلك صفة لأهل الإيمان ، الذين توعد الله تعالى من يبدل دينه باستخلافهم فقال تعالى : ﴿يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَنْ يَّرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ﴿٥٤﴾﴾[5] ، فلما كان الذل منهم ذل رحمة وعطف وشفقة وإخبات عداه بأداة على تضمينا لمعاني هذه الأفعال فإنه لم يرد به ذل الهوان الذي صاحبه ذليل وإنما هو ذل اللين والانقياد الذي صاحبه ذلول فالمؤمن ذلول[6]

---

(1) ـ انظر : محمد حواش ، رسائل علماء المسلمين في العصر العباسي الأول ، ص 213 .
(2) ـ سورة ، الفرقان ، آية : 63.
(3) ـ الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه ، انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج2 ، ص226 .
(4) ـ انظر : القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج 13 ، ص 67.
(5) ـ سورة ، المائدة ، آية : 56.
(6) ـ انظر : مدارج السالكين ، ج 2 ، ص 327 .

وبين الله تعالى في القرآن الكريم أن الدار الآخرة وما فيها من نعيم مقيم وسعادة دائمة غير منقطعة هي للمتواضعين الصالحين فقال تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱءَلاْخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِى ٱلأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1] ، فوعد الله بالجنة من يبعد عن الكبر ويتصف بالتواضع ، "تلك الدار الآخرة " يعني الجنة وقال ذلك على جهة التعظيم لها والتفخيم لشأنها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض أي رفعة وتكبرا على الإيمان والمؤمنين ولا فسادا عملا بالمعاصي ، والفساد أخذ المال بغير حق وقال يحيى بن سلام[2] : هو قتل الأنبياء والمؤمنين والعاقبة للمتقين ، قال الضحاك[3] : الجنة فالذي لا يريد علوا هو من لم يجزع من ذلها ولم ينافس في عزها وأرفعهم عند الله أشدهم تواضعا وأعزهم غدا ألزمهم لذل اليوم وقيل لفظ الدار الآخرة يشمل الثواب والعقاب والمراد إنما ينتفع بتلك الدار من اتقى ومن لم يتق فتلك الدار عليه لا له لأنها تضره ولا تنفعه[4]

وقال الطبرى : ((يقول تعالى ذكره تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبرا عن الحق في الأرض وتجبرا عنه ولا فسادا يقول ولا ظلم الناس بغير حق وعملا بمعاصي الله فيها))[5]

وذكر تعالى صفة التواضع من بين صفات العلماء الربانيين، فالعالم يجب أن يكون متواضعا غير متكبر، قال تعالى في صفات الذين أوتوا العلم : ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ

---

(1) ـ سورة ، القصص ، آية : 84.
(2) ـ يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي: مفسر، فقيه، عالم بالحديث واللغة، أدرك نحو عشرين من " التابعين " وروى عنهم ، انظر : الأعلام ، ج8 ، ص148 .
(3) ـ أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك ابن مخلد الشَّيْبَاني، أبو بكر بن أبي عاصم، ويقال له ابن النَّبِيل: عالم بالحديث، زاهد رحالة، من أهل البصرة ، انظر : الأعلام ، ج1 ، ص 189 .
(4) ـ انظر : القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج 13 ، ص 320 .
(5) ـ الطبري ، تفسير الطبري ، ج 20 ، ص 122.

سُجَّداً وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾[1] ، ((فهذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم وحق لكل من توسم بالعلم وحصل منه شيئا أن يجري إلى هذه المرتبة فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ، وقال ابن عباس : ((ويخرون للأذقان سجدا أي للوجوه وإنما خص الأذقان بالذكر لأن الذقن أقرب شيء من وجه الإنسان))[2]

وفى معرض بعض الوصايا الأخلاقية القرآنية تأتى الوصية بالتواضع والتحذير من الكبر وبيان سوء حال ومآل المتكبر فمهما بلغ من طول وضخامة فهو أقصر وأقل من الجبل ومهما بلغت قوته فلن يستطيع بقدمه المجردة أن يخرق الأرض ، قال تعالى : ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾[3]

قال ابن كثير : ((يقول تعالى ناهيا عباده عن التجبر والتبختر في المشية ولا تمش في الأرض مرحا أي متبخترا متمايلا مشى الجبارين إنك لن تخرق الأرض أي لن تقطع الأرض بمشيك ولن تبلغ الجبال طولا أي بتمايلك وفخرك وإعجابك بنفسك بل قد يجازي فاعل ذلك بنقيض قصده))[4]

وهكذا جاء الحث على التواضع في القرآن الكريم إما في صورة وصف لعباد الرحمن الذين يضرب بهم المثل ويجعلوا منارة لسواهم وقدوة لغيرهم ، وإما وصية من الله تعالى لعبادهم بأن يتواضعوا فمهما علوا فأقل المخلوقات شأنا أعلى منهم ومهما عظموا فأقل المخلوقات قدرا أعظم منهم ومهما بلغوا من قوة فلن يستطيعوا خرق الأرض التي يمشون عليها ، أو يأتي الحديث مشتملا النهى عن الإعراض عن الناس وتجاهلهم ، أو يأتي الحديث معلنا أن الجنة بنعيمها المقيم الدائم ليست لأهل العلو ولا التكبر ولا الفساد في الأرض بل هي لأهل التواضع .

التواضع في السنة النبوية :

إن السنة النبوية مثل القرآن الكريم تناولت صفة التواضع أيضا مرغبة فيها حاثة عليها فقد جاء في الحديث أن التواضع يزيد العبد رفعة وارتقاء وعلو مكانة لا كما

---

(1) ـ سورة ، الإسراء ، آية : 107.
(2) ـ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج 10 ، ص 340 .
(3) ـ سورة ، الإسراء ، آية : 37.
(4) ـ ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج 3 ، ص 41 .

يظن البعض أنه يزيده امتهانا وضعة ففي الحديث : عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ((ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله رجلا بعفو إلا عزا أو ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله))[1]

فالعز والكبرياء صفتان لازمتان لا تكونان بمعناهما المطلق المجرد إلا لله تعالى ، فعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال فيما يحكى عن ربه جل وعلا: ((الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما قذفته في النار))[2]

التواضع في رسائل الأسمر :

عرف الأسمر التواضع بقوله : التواضع هو أن ينظر الإنسان إلى غيره من أهل الإيمان بعين الاجلال والتعظيم وإلى نفسه بعين الاحتقار والاستصغار[3] ، ثم قسم التواضع إلى قسمين :

1 ـ تواضع مع الله : وهو يكون باتباع أوامر الله واجتناب نواهيه[4]

2 ـ والتواضع للخلق : وهو ينقسم إلى نوعين أيضا : مذموم ومحمود ، ومن التواضع المحمود التواضع مع عباد الله : وهو يكون بسلامة الصدر وبترك البغض والحقد والاحتقار والاستهانة والحسد والكبر في الظاهر وإخراجه من القلب[5] ، و يكون بسعة الصدر والقيام بأوامر البشر وطلاقة الوجه وطيب الكلام وخفض الجناح ولين الجانب مع المؤمنين ... والتجاوز عن مسيئهم والعفو والصفح عنهم[6] ، ويكون بإضمار الخير لجميع المسلمين واصبر على من آذاك ولا تجف من جفاك وآت المسلمين ما تحب أن يأتوه إليك[7]

والثاني وهو المذموم : وهو أن يتواضع الإنسان لأبناء الدنيا رجاء أن يصيب من دنياهم .

---

(1) ـ مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب : الآداب ، باب : التواضع ، رقم الحديث 6684 ، ج 8 ، ص 21.

(2) ـ ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، باب : قول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري ، رقم الحديث 248 ، ج 10 ، ص 273 .

(3) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بتونس ، ص 257 .

(4) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى عبد الرحمن بن مؤمن الفزاني ، ص 126.

(5) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى محمد بن عبد الكريم الشاذلي ، ص 135 .

(6) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى عبد الرحمن بن مؤمن الفزاني ، ص 127 .

(7) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى سعيد بن عبد الحميد الغدامسي ، ص 131.

ويرى الباحث أن هذا التعريف الذي أورده الأسمر للتواضع موافقا لأصول الشريعة غير خارج عنها ، فهو يدور حول اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه ، والتحلي بالأخلاق المحمدية .

ثالثا : لزوم العزلة :

إن علاقة المريد بالناس وتعامله معهم وصحبته لهم ومجالسته إياهم ينبغي أن تنضبط بضابط الشرع الحكيم ، وفي هذا المطلب سوف أحاول التعرف على مفهوم وضابط العزلة في رسائل الأسمر ، ولكن قبل ذلك لا بد من تعريف العزلة أولا :

تعريف العزلة لغة : العزلة مأخوذة من مادة : (ع ز ل) ، واعْتَزَلَهُ وتَعَزَّلَهُ بمعنى واحد ، والاسم العُزْلَةُ والعُزْلةُ : الانْعِزال نفسُه ، يقال : العُزْلةُ عِبادة ، وكُنْتُ بمَعْزِلٍ عن كذا وكذا أَي : كُنْتُ بموْضع عُزْلةٍ منه.

واعْتزَلْتُ القومَ أَي فارَقْتهم وتَنَحَّيت عنهم ، وعَزَلَهُ أفرزه يقال أنا عن هذا الأمر بمَعْزِلٍ وعَزَلَهُ عن العمل نحَّاهُ عنه فَعَزل وعَزَلَ عن أمته وباب الثلاثة ضرب[1] .

وعَزَلَ الشيءَ يَعْزِلُه عَزْلاً و عَزَّلَهُ فاعْتَزَلَ وانْعَزَلَ و تَعَزَّلَ: نَحَّاه جانِبًا فتَنَحى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾[2] ؛ معناه أَنَّهم لَمَّا رُمُوا بالنجوم مُنِعوا من السَّمْع. واعْتَزَلَ الشيءَ وتَعَزَّلَه، ويتعديان بعَنْ: تَنَحَّى عنه وقوله تعالى : ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢٠﴾﴾[3] ؛ أَراد إن لم تؤمنوا بي فلا تكونوا عَليَّ ولا مَعِي وتَعَازَلَ القومُ : انْعَزَلَ بَعْضُهم عن بَعْض. واعْتَزَلْت القومَ أَي فارَقْتهم وتَنَحَّيت عنهم؛ وقَوْمٌ من القَدَرِيَّةِ يُلَقَّبون المُعْتَزِلة؛ زعموا أَنهم اعْتَزَلوا فِئَتي الضلالة عندهم ، يَعْنُون أَهلَ السُّنَّة والجماعةِ والخَوارِجَ الذين يَسْتَعْرِضُونَ الناسَ قَتْلاً[4]

---

(1) ـ انظر : مختار الصحاح ، ج 1 ، ص 181
(2) ـ سورة ، الشعراء ، آية ، 212
(3) ـ سورة ،الدخان ، آية : 20
(4) ـ انظر : لسان العرب ، ج 1 ، ص 440

والعزلة اصطلاحا : ((هي الخروج من مخالطة الخلق بالانزواء والانقطاع))[1] ، فالعزلة على هذا هى : الانفراد والانقطاع والوحدة عن الناس وعدم مخالطتهم .

وقد جاءت نصوص الشريعة بذم الجاه وحب الصيت والشهرة والحث على الخمول والاختفاء والبعد عن أضواء الناس وعن أنظارهم قدر الإمكان : ففى القرآن الكريم يقول الله تعالى : ﴿۞ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[2]

قال ابن كثير : يخبر تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علوا في الأرض أي ترفعا على خلق الله وتعاظما وتجبرا بهم ولا فسادا فيهم كما قال عكرمة[3] : العلو التجبر ، وقال سعيد بن جبير[4] : العلو البغي ، وقال سفيان بن سعيد الثورى : العلو في الأرض التكبر بغير حق والفساد أخذ المال بغير حق ، وقال ابن جريج : لا يريدون علوا في الأرض تعظما وتجبرا ولا فسادا عملا بالمعاصي[5]

وفى السنة النبوية نصوص كذلك تحبب الاختفاء وتبين فضل الأخفياء وتذم حب الشهرة والصيت ، فقد روى الحاكم فى مستدركه أن عمر بن الخطاب ﷺ : ((خرج إلى مسجد رسول الله ﷺ فإذا هو بمعاذ بن جبل ﷺ عند قبر رسول الله ﷺ يبكي فقال ما يبكيك يا معاذ قال يبكيني شيء سمعته من صاحب هذا القبر قال وما سمعته قال سمعته يقول إن اليسير من الرياء شرك وإن من عادى ولي الله فقد بارز الله تعالى

---

(1) ـ الجرجاني ، التعريفات ، ج 1 ، ص 194 ، و موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان ، ج 14 ، ص 247

(2) ـ سورة ، القصص ، آية : 83

(3) ـ عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عباس: تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي ، انظر : الأعلام ، ج4 ، ص244 .

(4) ـ سعيد بن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله: تابعيّ، كان أعلمهم على الإطلاق ، انظر : الأعلام ، ج3 ، ص93.

(5) ـ انظر : ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج 3 ، ص 403 .

بالمحاربة وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة))[1]

وروى الترمذي بسنده عن أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ : ((كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك))[2]

قال عبد الوهاب الشعراني : ((اعلم - وفقني الله وإياك إلي ما يجب:- أن الصحبة في الله تعالي من أوثق عري الإسلام ومن أكبر أبواب الخير، وقد رغب العلماء فيها سلفا وخلفا.

أما من حذر منها وقال: إن العزلة أقرب إلي السلامة من الآفات، وأبعد من تحمل الحقوق في المخالطات وأجزأ للاشتغال بالطاعات، فإن ذلك في حق المريد ما دام قاصرا، فإذا انتهي سلوكه وكمل حاله كان الأفضل في حقه (الخلطة) بل- (الخلطة) في حق مثل هذا واجبة كما قال بعضهم ، فعلم أنه لا يقال: العزلة مطلقا))[3].

وهكذا ترشد نصوص الشرع من القرآن والسنة إلى ذم الشهرة والصيت وحبهما والسعي إليهما والعمل على نيلهما .

وكذلك جاءت أقوال العلماء لتصب فى نفس الهدف :

---

(1) ـ الحاكم ، المستدرك ، كتاب : الإيمان ، رقم الحديث 4 ، ج1 ، ص 44 ، وكتاب : الرقاق ، رقم الحديث 7933 ، ج 4 ، ص 364 ، وقال :هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(2) ـ الترمذي ، سنن الترمذي ، باب : مناقب مصعب بن عمير ، رقم الحديث 4227 ،ج 14 ، ص 2.

(3) ـ الإمام عبد الوهاب الشعراني ، المختار من الأنوار في صحبة الأخيار ، ن : دار الإيمان ، ج1 ، ص 21 .

قال سعيد بن المسيب[1] : عليكم بالعزلة فإنها عبادة ، وعن الربيع بن خثيم[2] : تفقه ثم اعتزل ، وقال وهيب بن الورد[3] : كان يقال: العافية على عشرة أجزاء فتسعة منها في الصمت والعاشر في الهروب من الناس[4] .

مفهوم العزلة عند الأسمر :

اختلف العلماء في العزلة والمخالطة وتفضيل أحدهما على الآخر فذهب إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان الثوري[5] ، وإبراهيم بن أدهم[6]، وداود الطائي[7]، وفضيل بن عياض ، وبشر الحافي[8]، وقال أكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والإخوان والتآلف والتحبب إلى المؤمنين والاستعانة بهم في الدين تعاونا على البر والتقوى ومال إلى هذا سعيد بن المسيب، وابن عيينة، وابن المبارك[9] ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل وجماعة، وروي عن عمر ﷺ أنه قال :

---

(1) ـ سعيد بن المسيّب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد: سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة. جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت، لا يأخذ عطاءا. وكان أحفظ الناس لأحكام عمر ابن الخطاب وأقضيته، حتى سمي راوية عمر. توفي بالمدينة سنة (94 هـ) ، انظر الأعلام ، ج 3 ، ص 102 .

(2) ـ الرَّبِيْعُ بن خُثَيْمِ بن عَائِذٍ أَبُو يَزِيْدَ الثَّوْرِيُّ ، انظر : سير أعلام النبلاء ، ج 4 ، ص258

(3) ـ وهيب بن الورد بن أبي الورد المخزومي، بالولاء، أبو أمية: من العبّاد الحكماء. من أهل مكة، ووفاته بها. كان من أقران إبراهيم بن أدهم ، توفي سنة (153 هـ) ، انظر : الأعلام، ج 8 ، ص 126.

(4) ـ الجرجاني ، الاعتبار وسلوة العارفين ، تح : عبد السلام بن عباس الوجيه ، ن : مؤسسة الإمام زيد بن علي ، ط 1 ، سنة الطباعة : 2001 ، ج 1 ، ص 75.

(5) ـ سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أبو عبد الله: أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى ، انظر : الأعلام ، ج 3 ، ص 104

(6) ـ إبراهيم بن أدهم بن منصور، التميمي البلخي أبو إسحاق: زاهد مشهور ، توفي سنة (161 هـ) ، انظر : الأعلام ، ج 1 ، ص 31 .

(7) ـ داود بن نصير الطائي، أبو سليمان: من أئمة المتصوفين ، انظر : الأعلام ، ج 2 ، ص 335 335

(8) ـ بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرحمن المروزي، أبو نصر، المعروف بالحافي: من كبار الصالحين. له في الزهد والورع أخبار، وهو من ثقات رجال الحديث، من أهل (مرو) سكن بغداد وتوفي بها ، توفي سنة (227 هـ) ، انظر : الأعلام ، ج 2 ، ص 54 .

(9) ـ عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظليّ بالولاء، التميمي، المروزي أبو عبد الرحمن: الحَافظ، الحَافظ، شيخ الإسلام، توفي سنة (181 هـ) ، انظر : الأعلام ، ج 4 ، ص 115 .

خذوا بحظكم من العزلة ، وقال ابن سيرين[1] : العزلة عبادة ، وقال الفضيل كفى بالله بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا وقيل اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا وقال أبو الربيع الزاهد لداود الطائي عظني ، قال : صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الأسد ، وقال الحسن ـ رحمه الله ـ كلمات أحفظهن من التوراة قنع ابن آدم فاستغنى اعتزل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا وترك الحسد فظهرت مروءته صبر قليلا فتمتع طويلا[2]

وكما جاءت الأحاديث في سنة النبي ﷺ ترغب في العزلة نجد أيضا نصوصا تحبب في الاختلاط بين الناس ومعاشرتهم والصبر على أذاهم وكيف أن الاختلاط بالناس ثوابه كبير وأجره عظيم يعادل الاعتزال والعبادة عشرات السنين ، قال ﷺ: ((الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم))[3]

قال صاحب تحفة الأحوذي : ((في الحديث أفضلية من يخالط الناس مخالطة يأمرهم فيها بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحسن معاملتهم ، فإنه أفضل من الذي يعتزلهم ولا يصبر على المخالطة والأحوال تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والأزمان ولكل حال مقال . ومن رجح العزلة فله على فضلها أدلة))[4]

وقوله ﷺ : ((لا يحل لامرئ أن يهجر أخاه فوق ثلاث))[5] ، قال النووي : ((قوله قوله ﷺ : (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال) قال العلماء : في هذا الحديث تحريم الهجر بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال ، وإباحتها في الثلاث الأول بنص الحديث والثاني بمفهومه ، قالوا : وإنما عفي عنها في الثلاث لأن الآدمي

---

(1) ـ محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر: إمام وقته في علوم الدين بالبصرة ، توفي سنة (110 هـ) ، انظر : الأعلام ، ج 6 ، ص 154.
(2) ـ انظر : الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج 2 ، ص 222.
(3) ـ البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث 388 ، ج 1، ص 140 .
(4) ـ المباركفوري ، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ، ن : دار الكتب العلمية - بيروت ، ج 7 7 ، ص 178
(5) ـ مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة ، باب : تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعى ، ، رقم الحديث 2561 ، ج 4 ، ص 1984.

مجبول على الغضب وسوء الخلق ونحو ذلك ؛ فعفي عن الهجرة في الثلاثة ليذهب ذلك العارض))[1]

قال القرطبي : أحوال الناس في هذا الباب تختلف فرب رجل تكون له قوة على سكنى الكهوف والغيران في الجبال وهي أرفع الأحوال لأنها الحالة التي اختارها الله لنبيه ﷺ في بداية أمره ونص عليها في كتابه مخبرا عن الفتية فقال وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ، ورب رجل تكون العزلة له في بيته أخف عليه وأسهل وقد اعتزل رجال من أهل بدر فلزموا بيوتهم بعد قتل عثمان ـ ﷺ ـ فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم ، ورب رجل متوسط بينهما فيكون له من القوة ما يصبر بها على مخالطة الناس وأذاهم فهو معهم في الظاهر ومخالف لهم في الباطن ، وذكر ابن المبارك ، قال : جاء رجل إلى وهب بن منبه[2] ، فقال : إن الناس وقعوا فيما فيه وقعوا وقد حدثت نفسي ألا أخالطهم ، فقال : لا تفعل إنه لابد لك من الناس ولابد لهم منك ولك إليهم حوائج ولهم إليك حوائج ولكن كن فيهم أصم سميعا أعمى بصيرا سكوتا نطوقا وقد قيل إن كل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معنى الجبال والشعاب مثل الاعتكاف في المساجد ولزوم السواحل للرباط والذكر ولزوم البيوت فرارا عن شرور الناس وإنما جاءت الأحاديث بذكر الشعاب والجبال واتباع الغنم والله أعلم لأن ذلك هو الأغلب في المواضع التي يعتزل فيها فكل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معناه كما ذكرنا والله الموفق وبه العصمة [3]

يقول الأسمر : ((إياكم والخلطة وعليكم بالعزلة وأبعدوا عن أبواب السلاطين واتركوا الحاجة التي تجئ بكم إليهم فلا خير لكم فيها وقد قال ـ ﷺ ـ : من قرب من أبواب السلاطين افتتن))[4] ، في هذا النص من رسائل الأسمر التحذير من الخلطة والترغيب في العزلة ، ويحذر بصفة خاصة من مخالطة السلاطين .

---

(1) ـ النووى ، شرح صحيح الإمام مسلم ، ج 16 ، ص 117.
(2) ـ وهب بن منبه الا بناوي الصنعاني الذماري، أبو عبد الله: مؤرخ، كثير الإخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات. يعد من التابعين ، انظر : الأعلام ، ج 8 ، ص 125 .
(3) ـ انظر : القرطبي ، تفسير القرطبى ، ج 10 ، ص 362.
(4) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بالزاوية الغربية ، ص 169 ، والحديث أورده المناوي في كتابه كنوز الحقائق ، ج 2 ، ص 97 .

لقد سار الأسمر على منهج الفريق الأول الذين قالوا بإختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة ، ولكن بالنظر إلى الضوابط التي وضعها الأسمر للمخالطة يمكن القول بأنه لا يقول بالعزلة المطلقة ، لئن المريد بحاجة إلى من يعينه على السير في طريق الله وهذا لايكون إلا بالمخالطة والصبر على الإخوان .

ضابط المخالطة عند الأسمر :

((وإياكم ومخالطة الأراذل وأهل الاعتزال والفسقة والزنادقة واليهود والنصارى والمجوس، إلا لقضاء حاجة ضرورية لا توجد عند غيرهم مع عدم الضحك في وجوههم وإنباذهم من قلوبكم وقد يجب الفرار من جموع أهل المعاصي))[1] ، ففي الحديث : (من حضر معصية فكرهها فكأنما غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن حضرها)[2] ، ثم قال : ((ولا تخالط ولا تجالس ولا تعاشر إلا أهل الخير والدين واجتنب مخالطة أهل الشر والباطل ، واحترز من مجالستهم فإن المرء من جليسه وعلى دين خليله))[3] ، ((فالسعيد من اعتزل أهل العصر واشتغل بربه عنهم وما هم فيه وصبر على ذلك حتى يأتيه اليقين ... فلا تجالس إلا من تنفعك مجالسته في دينك ، فإن تعذر عليك ففر من مجالسة من تضرك مجالسته في الدين فرارك من السبع الضاري وأشد ، فإن السبع إنما يضر بك في ظاهرك الذي هو طعمة لهوام الأرض ، وأما هذا الشيطان فإنه يضرك في قلبك الذي به تعرف ربك وفي دينك الذي به تنجو في آخرتك))[4] ، وقال في نص آخر :

((وعليكم : بمجانبة الأشرار ، وترك مصاحبتهم والاختلاط بهم ، فإن فيه الخسار والعار في الدنيا والآخرة وهو الذي يعوج المستقيم ، وفيه من الإضرار بالقلب والدين أمر عظيم ' وما أحسن ما قيل :

ما يبرئ الجرباء قرب سليمة

منها ولكن السليمة تجرب))[5]

بهذه العبارات حدد الأسمر ضابط الخلطة والتي مدار الأمر عنده فيها على إصلاح الدين ، فكل من كان في مخالطته مصلحة دينية أو أخروية فهذا يجب معاملته

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمالي ، ص 241.
(2) ـ البيهقي ، السنن الكبرى ، كتاب : الصداق ، باب : الرجل يدعى إلى الوليمة وفيها المعصية نهاهم ، رقم الحديث 14553 ، ج 7 ، ص 434 .
(3) ـ الأسمر ، رسالة إلى محمد بن عبد الكريم الشاذلي ، ص 136 .
(4) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الحميد بن علي العوسجي ، ص 156 .
(5) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بتونس ، ص 258.

ومخالطته ، كما قال : ((معاملة المؤمن واجبة))[1] ، وقد يؤخذ من هذه العبارات حكم العزلة عند الأسمر وبأنها واجبة في الزمان الفاسد المعكوس، الذي غلبت على أهله الغفلة ونسيان عمل الآخرة ، مع الحرص على الدنيا وكثرة الاشتغال بها والتهالك على جمعها والاغترار بزخارفها ، وكما ذكر أن مجالسة أهل الشر والباطل ومخالطتهم خسارة في الدنيا والآخرة ، ولأن أكثر حديثهم وخوضهم في الغيبة والفضول وما لا يعني من الكلام فلذا يجب اعتزالهم

مضار المخالطة عند الأسمر :

يقول الأسمر : ((وإياكم والجلوس مع ثمانية أصناف من غير ضرورة وهم : كذاب ، وقتاب ، ومغتاب ، وتارك الصلاة ، ومدمن خمر وزاني ولواط وعاق والديه ، ومتكبر ، وربما يجب هجرانهم لأن الطبع يسري كما في الحديث ، وقال ـ ﷺ ـ من جلس مع ثمانية أصناف زاده الله ثمانية أشياء : فمن جلس مع الأمراء زاده الله الكبر وقساوة القلب ، ومن جلس مع الأغنياء زاده الله الحرص في الدنيا ، ومن جلس مع الفقراء زاده الله الشكر والرضى بما قسم له ، والعزلة أحسن ، ومن جلس مع الصبيان زاده الله لهوا ولعبا ، ومن جلس مع النساء زاده الله شهوة وجهلا ، ومن جلس مع الصالحين زاده الله رغبة في الطاعة ، ومن جلس مع العلماء زاده الله العلم والورع ، ومن جلس مع الفساق زاده الله الذنب والتسويف))[2]

ولا يخفى أن في عبارة الأسمر دعوة واضحة إلى مريديه لتقييد المخالطة ومعرفة من يجالسون ، لأن المريد العاقل يلزم صحبة الأخيار، ويفارق صحبة الأشرار؛ لأن صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار، ومن صاحب الأشرار لم يسلم من الدخول في جملتهم، فالواجب على المريد أن يجتنب أهل الريب؛ لئلا يكون مريبًا، فكما أن صحبة الأخيار تورث الخير، كذلك صحبة الأشرار تُورث الشر ، وهذا ما دعا الأسمر إلى التحذير من مخالطة أصناف معينة من الناس ، فكل من لا يستفيد منه المريد خيرًا فلا يجالسه قريبًا كان أو بعيدًا.

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس الأقصى ، ص 264 .
(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمالي ، ص 250 .

الفصل الثالث

مجلات الدعوة في رسائل الأسمر

الفصل الثالث : مجالات الدعوة في رسائل الأسمر

تمهيد :

إن من أول مجالات الدعوة في القرءان الكريم التي خاطب الله بها خلقه وعباده ، دعوته إلى الإيمان بالله وحده ، وإخلاص التوحيد له ، ونبذ الشرك والكفر ، ولا شك أن الخروج عن هذا المنهج القرءاني هو خروج عن المنهج المعصوم ، ومن هذا الملمح جرت سنة الدعاة في الإسلام أن يقدموا هذا الجانب من الدعوة على غيره من الجوانب ، ولقد لاحظ الأسمر هذا المنهج القرءاني فسار عليه في كتابة رسائله

أولا : العقيدة : ((مقام الإيمان))

لا شك أن للعقيدة أهمية كبيرة في الدين الإسلامي، فالإسلام عقيدة وعملٌ، ولا يَصِح عملٌ بلا اعتقادٍ، ولا ينفع عمل بلا عقيدة صحيحة؛ ولذلك أحببتُ كتابة هذا التمهيد في بيان أهمية العقيدة وأهمية تعلُّم العقيدة، والفائدة من تعلُّم العقيدة ، فقد قيل إن شرف العلم بشرف المعلوم ، ومادام الأمر كذلك فإن هذا العلم هو أهم العلوم وأشرفها ، لأنه أساس الدين كله ـ بعقائده وشرائعه ونظمه ـ ومنزلة هذا العلم من بقية العلوم كمنزلة القلب من الجسد ، فالعقيدة الإسلامية هي الأساس الذي يقوم عليه الدين وتصح معه الأعمال ، كما قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦ أَحَداً ﴿١١٠﴾﴾[1]

والعقيدة الإسلامية هي الأساس الذي تقوم عليه الشريعة ، فلا يتأتى وجود الشريعة من دون العقيدة ، لأنه لا قيمة لأي عمل من دون العقيدة ، كما لا يتأتى وجود العقيدة من دون الشريعة ، فهما أمران متلازمان لا يجوز الفصل بينهما ، فمن آمن بالعقيدة لا بد أن يؤمن بالشريعة ، ومن عمل بالشريعة فلا بد أن يربطها بالعقيدة ، عليه فإن العقيدة هي الأساس الذي يقوم عليه البناء " بناء الشريعة " وما لم يكن العمل

---

(1) ـ سورة ، الكهف ، آية : 105.

على وفق العقيدة ، فإنه سيكون هباء منثورا[1] ، كما قال تعالى : ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُوراً ﴿٢٣﴾﴾[2]

من هنا فإن تأسيس العقيدة على أساس سليم يجعل الداعية حريصا على أن يستقي منهجه في الدعوة من المنهج الرباني الذي لا إفراط فيه ولا تفريط ولا غلو و لا إجفاء ولا دعوة إلى التعصب والتحزب والفرقة ، بل هو منهج لا خلاف فيه بين جميع الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ، وهو سفينة النجاة للبشرية جمعاء ، ولقد استقى الأسمر منهجه في تقرير العقيدة من الكتاب والسنة وذلك في الاستدلال على مسائل العقيدة .

المبحث الأول : المنهج العقدي في رسائل الأسمر :

المطلب الأول : الاستدلال بالكتاب والسنة (النقل)

وأقصد بالنقل الكتاب والسنة ، لأنهما منقولان عن الرسول ـ ﷺ ـ فالقرآن كله منقول بالتواتر وهو قطعي الثبوت لذلك لم يقع الخلاف بين الأمة في حجية الاستدلال به لا في العقيدة ولا في غيرها من الأحكام الشرعية

أما السنة فمنها ما نقل بالتواتر وهذا قليل جدا ، ومنها ما نقل بطريق الآحاد وهو الأكثر ، والمنقول بالتواتر منه ما تواتر لفظه ومعناه ومنه ما تواتر معناه دون لفظه ، وهو بنوعيه يفيد العلم ، وهو حجة يحتج به في العقائد والأحكام باتفاق جمهور علماء الأمة[3]

والمنقول عن طريق الآحاد هو الذي فيه النزاع هل يحتج به في العقائد أو لا يحتج به إلا في الأحكام دون العقائد والنزاع فيه معروف في كتب الأصول

فقد ذهب جمهور علماء الأشاعرة إلى أن خبر الواحد لا يحتج به في أصول العقائد ولا يعني هذا أنهم يردون خبر الواحد أو ينكرون العمل به ، بل إنهم يرون أن العقيدة هي التي تميز بين الكفر والإيمان ، وما كان كذلك لا يمكن إلا أن يكون عن دليل قطعي التبوث قطعي الدلالة يفيد اليقين .

---

(1) ـ انظر : سعد عبد الله عاشور ، أهمية العقيدة في حياة الإنسان ، ن : الجامعة الإسلامية ، غزة ، ص 1 ، وما بعدها .

(2) ـ سورة ، الفرقان ، آية : 23.

(3) ـ انظر : محمود بن زيد اللّامشي الحنفي الماتريدي ، كتاب في أصول الفقه ، تح : عبد المجيد تركي ، ن : دار الغرب الإسلامي ، ص 148 .

والعقيدة لا تكون إلا عن علم وخبر الآحاد لا يفيد إلا الظن ، أما ما ورد من أخبار الآحاد في شأن الغيبيات ، كعذاب القبر ، والحوض والصراط والشفاعة ، وغير ذلك من الأمور التي شحنت بها كتب الأشاعرة وغيرهم فيجب الإيمان بها ويفسق جاحدها ، لأنه خبر واحد يجب الإيمان بمقتضاه إلا أنهم لا يحكمون على جاحده أو مؤوله بالكفر ، لأنه لم ينكر شيئا من أصول العقيدة مما ثبت بخبر متواتر ، وبناء على ذلك لم يكفروا المعتزلة في انكارهم لكثير من المغيبات وتأويلها ، مما ثبت بدليل ظني الدلالة[1]

والمقصود هنا هو بيان موقف الأسمر هل يرى الاحتجاج بخبر الآحاد في أصول العقيدة أو لا يرى ذلك ؟

لقد أورد الأسمر في طيات رسائله أكثر من مئتي حديث صريح وغير صريح ما بين متواتر وآحاد ، ولكنه لم يستدل بحديث واحد منها على مسائل العقيدة

من هنا يمكن القول بأن الأسمر درج على منهج الأشاعرة الذين يستدلون بالحديث المتواثر على أصول العقيدة ويقولون بالأخذ بحديث الآحاد في فروع العقيدة دون أصولها

المطلب الثاني : الاستدلال بالعقل :

يعتبر العقل ألة الادراك والتمييز عند الإنسان ، وهو نعمة عظيمة وهبها الله للإنسان وفضله بها على كثير من خلقه قال تعالى : ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾﴾[2]

وفي آيات كثيرة دعا الله تعالى الإنسان إلى استعمال العقل والنظر في ملكوت السموات والأرض للوصول إلى حقيقة التوحيد ، فقال تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى

---

(1) ـ انظر :محمد صالح أحمد الغرسي ، منهج الأشاعرة في العقيدة بين الحقائق والأوهام ، ن : دار روضة استانبول ، ط1 ، ص 32 وما بعدها .

(2) ـ سورة ، الإسراء ، آية : 70

ٱلۡأَبۡصَارُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾[1] وقال جل اسمه : ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾[2]

فالعقل هو مناط التكليف في الإسلام وهو آلة الفهم لذى الانسان ، به يتفاوت الإيمان في الجنان ، وهو حاسة الروح كما أن البصر حاسة الجسد ومن المعلوم أن لكل حاسة من حواس الإنسان طاقة محدودة تقف عندها ولا تتجاوزها ، ولقد أدرك السلف الصالح حقيقة العقل ومكانته ، فاستعملوه في مجالاته الصحيحة ، وقصروه عن الخوض فيما ليس له فيه مجال من الأمور الغيبية ، وقد حاولت في أثناء قرائتي لرسائل الأسمر التعرف على منهجه في الاستدلال بالعقل على مسائل العقيدة ؟ فوجدت الأسمر يقيم توازنا عجيبا بين العقل والنقل في الاستدلال على مسائل العقيدة .

ومن ذلك على سبيل المثال استدلاله على وحدانية الله ﷻ بقوله : الوحدانية وضدها التعدد ، وحقيقة الوحدانية سلب التعدد في الذات والصفات والأفعال ، والدليل من العقل : لو لم يكن واحدا لزم أن لا يوجد شيء من العالم[3] ، والدليل من النقل قوله تعالى : ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾[4]

وهكذا نجده يقيم توازنا عجيبا في الاستدلال على مسائل العقيدة بين النقل والعقل وهو ما درج عليه علماء الأشاعرة قبله ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى تمسك الأسمر بمنهج الأشاعرة في العقيدة والدعوة إليه .

المطلب الثالث : منهج القرآن في إثبات العقيدة :

لقد فصل القرآن الكريم مسائل العقيدة التي أخبر بها تفصيلا متميزا ، وأشار إليها إشارات بليغة ، ووقف عندها طويلا في مواضع كثير من آياته ، وقد اشتملت هذه الآيات على جميع أنواع البراهين والأدلة وسلك جميع طرق الاستدلال وما من سبيل أو طريق لإثبات العقيدة إلا وكتاب الله قد سبق إليه وقرره ، ووضع له الأسس التي يجب أن تحتذى .

---

(1) ـ سورة ، الحج ، آية : 44.
(2) ـ سورة ، يونس ، آية : 101.
(3) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى عبد الرحمن بن ساعد ، وعلي بن محمد أبو سلامة بمدينة غريان ، ص 200.
(4) ـ سورة ، الإخلاص ، آية : 1.

إن الاستدلال على وجود الله من أهم مباحث العقيدة لأنه الدعامة الأساسية التي يقوم عليها الدين ، والأدلة على وجوده ﷻ واضحة في القرآن تفوت الحصر ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾[1] وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلاَّ ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾[2] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ءَايَـٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾[3] وقوله تعالى : ﴿۞ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾[4]

وقد تعددت الأساليب والأدلة التي جاء بها القرآن في الاستدلال على وجوده ﷻ ، ومن أهم هذه الأساليب أسلوب التأمل والتفكر في آيات الله التي وضعها في الكون للدلالة على وحدانيته وعظيم قدرته وجليل حكمتة

ولقد نبه الإمام الغزالي على أهمية براهين القرآن على وجود الله وفضلها على غيرها من بين سائر الأدلة بقوله : ((إن أدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل الناس وأدلة المتكلمين والفلافسة مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ويستضر به الأكثرون))[5]

المبحث الثاني : منهج الأسمر في تقرير الإيمان :

المطلب الأول : تعريف الإيمان لغة واصطلاحا :

أولا : تعريف الإيمان لغة : الإيمان في اللغة هو شيء واحد وهو التصديق قال هذا أهل اللغة وغيرهم من علماء المسلمين فهم متفقون في ذلك على حد الإيمان.

فالإيمان : مصدر آمن يؤمن إيمانا ، فهو مؤمن ، وهو مشتق من الأمن ، قال الجوهري : ((الإيمان : التصديق والله تعالى المؤمن ،لأنه آمن عباده من أن يظلمهم ، وأصل آمن أأمن بهمزتين لينت الثانية ، والأمن ضد الخوف))[6]

---

(1) ـ سورة ، العنكبوت ، آية : 19.
(2) ـ سورة ، الأنبياء ، آية : 22.
(3) ـ سورة ، آل عمران ، آية : 190.
(4) ـ سورة ، الغاشية ، آية : 17.
(5) ـ الغزالي ، إلجام العوام عن علم الكلام ، مجموعة رسائل الإمام الغزالي ، ن : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص 20.
(6) ـ الجوهري ، الصحاح ، تح : أحمد عبد الغفور عطار ، ن : دار العلم للملايين ، بيروت ، ط4 ط4 ، 1407 هـ، 1987م ، ج5 ، ص 2071.

وقال الراغب الاصفهاني[1] : " آمن إنما يقال على وجهين :

أحدهما متعديا بنفسه ، يقال : آمنته ، أي :جعلت له الأمن ، ومنه قيل لله مؤمن .

والثاني : غير متعدٍ ، ومعناه صار ذا أمن .

والإيمان يستعمل تارة اسما للشريعة التي جاء بها محمد ـ ﷺ ـ وتارة يستعمل على سبيل المدح ، ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق ، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء : تحقيق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بحسب ذلك بالجوارح ، وعلى هذا قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾﴾[2] ، ويقال لكل واحد من الاعتقاد والقول والعمل الصالح : إيمان ، إلا أن الإيمان هو التصديق الذي معه أمن[3]

وقال ابن منظور : ((الإيمان ضد الكفر ، والإيمان بمعنى التصديق ضده التكذيب ، يقال : آمن به قوم وكذب به قوم))[4]

وفي هذا يقول الأسمر ـ رحمه الله تعالى : الإيمان بالله تعالى هو التصديق به[5] ، لقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[6]

وهذا التعريف الذي أورده الأسمر هو الذي اتفق عليه أهل اللغة وغيرهم من علماء المسلمين ، قال الباقلاني : ((إن الذي عليه أهل الحق وجميع سلف الأمة من الفقهاء وغيرهم أن الله ﷻ لم ينقل شيئا من الاسماء اللغوية إلى معان وأحكام شرعية ، ولا خاطب الأمة إلا باللسان العربي ، ولا أجرى سائر الأسماء والتخاطب إلا على ما كان جاريا عليه في وضع اللغة))[7] ، والإيمان في اللغة موضوع للتصديق .

---

(1) ـ الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب ، انظر : الأعلام ، ج2، ص255 .

(2) ـ سورة ، الحديد ، آية : 18.

(3) ـ انظر : الاصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، تح : صفوان عدنان الداودي ، ن : دار القلم ، الدار الشامية ، دمشق ، بيروت ، ط1، 1412 هـ ،ج1 ، ص 91 .

(4) ـ لسان العرب ، ج 13 ، ص 21 ، (مادة : أمن).

(5) ـ انظر : الأسمر، رسالة إلى عبد الرحمن بن ساعد، وعلي بن محمد أبو سلامة بمدينة غريان، ص 193 .

(6) ـ سورة ، يوسف ، آية : 17.

(7)ـ القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ت 403 هـ، التقريب والإرشاد، تح : عبد الحميد بن علي أبو زنيذ ، ن : مؤسسة الرسالة ، ط2 ، 1418هـ ، 1998م ، ج 1، ص 387.

وقد نقل الطبري عن ابن عباس[1] ـ ﷺ ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ۝٣﴾[2] ، قوله : " يصدقون " ثم قال : ومعنى الايمان عند العرب التصديق[3] التصديق[3]

ثانيا : أما حده اصطلاحاً :

فقد اختلف أهل الفرق والمذاهب الإسلامية في بيان حد الإيمان على أقوال كثيرة نذكر منها :

القول الأول :

إن الإيمان اسم يقع على الإقرار باللسان والتصديق بالقلب ولا يدخل فيه العمل بالجوارح ، ولكن أصحاب هذا القول يقولون إن العمل بكل ما صح عن رسول الله ـ ﷺ ـ من الشرائع والبيان حق واجب على المؤمنين الذين اكتسبوا هذا الاسم بالإقرار والتصديق[4]، وقد ذهب إلى هذا القول الإمام أبو حنيفة النعمان[5]، وأبو يوسف الأنصاري[6]، وأبو الحسن الشيباني[7].

---

(1) ـ عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الامة ، انظر : الأعلام ، ج4 ، 95 .

(2) ـ سورة ، البقرة ، آية : 2.

(3) ـ انظر : الطبري ، جامع البيان ، ج 1 ، ص 240 .

(4) ـ انظر : الإمام أبو جعفر الطحاوي ، العقيدة الطحاوية، ن : المكتبة الإسلامية، بيروت ، 1978، ص259.

(5) ـ هو النعمان بن ثابت ، التيمي بالولاء إمام مجتهد ، أحد الأئمة الاربعة ولد بالكوفة سنة 80هـ وبها نشأ وطلب العلم ، أُريد للقضاء فامتنع ، قال عنه الإمام الشافعي : الناس عيال في الفقه على ابي حنيفة ، توفي ببغداد سنة 150هـ ، ينظر : سير أعلام النبلاء ،ج 6 ، ص390.

(6) ـ هو يوسف بن يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري القاضي الفقيه صاحب أبي حنيفة ، ينظر : الجرجاني ، تاريخ جرجان ، ن : عالم الكتب، بيروت، ط3، ج 1، ص 487.

(7) ـ هو محمد بن الحسن أبي الحسن الشيباني مولى بني شيبان، تفقه على يد أبي يوسف الأنصاري ، ، قال الشافعي فيه (ما رأيت أحدا يسال عن مسالة فيها نظر إلا تبين في وجهه كراهة إلا محمد بن الحسن) ، انظر :الشيرازي ، طبقات الفقهاء، ن : دار العلم ، تحقيق خليل الميس ، ج 1 ، ص 142.

وعلى هذا فان الإيمان عند أصحاب هذا القول هو التصديق واستدلوا على ذلك بقوله تعالى مخبرًا عن إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[1] ، أي بمصدق لنا [2]

والإجماع قائم عند أهل اللغة على إن الإيمان هو التصديق[3] ، وهؤلاء اثبتوا إن التصديق هو المعنى الوحيد للإيمان من جانب اللغة و الشرع وبنوا على ذلك ما ذهبوا إليه من آراء ، (وهذا المعنى هو الواجب على العبد حقا لله وهو أن يصدق الرسول بما جاء به من عند ربه .... ومن صدق فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى ، والإقرار شرط إجراء أحكام الإسلام في الدنيا)[4] ، فجعلوا الإقرار باللسان شرطا لإقامة أحكام الإسلام على من أقر بلسانه وصدق بقلبه واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِالْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾[5] ، فمن صدق رسول الله ـ ﷺ ـ في جميع ما جاء به من عند الله فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى وإن لم يقر باللسان وقالوا الدليل على أن الأعمال خارجة عن الإيمان إذ لو كان الإيمان مركبًا من قول وعمل لزال كله بزوال جزء منه.
حيث إن الآية نزلت بحق صحابي جليل هو عمار بن ياسر[6] ـ رضي الله عنه ـ فانه نطق بكلمة كفر إكراها لكن قلبه مطمئن بالإيمان فقد استأذن عمار على علي رضي الله عنهما

---

(1) ـ سورة ، يوسف ، آية : 17.
(2) ـ انظر : علي بن احمد الواحدي ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ن : دار القلم ، دمشق ، ط1 ، 1415هـ ، تح : صفوان عدنان داوودي ، ج 1 ، ص 241 .
(3) ـ انظر : محمد بن الطيب الباقلاني ، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، تح : عماد الدين احمد حيدر ، ن : مؤسسة الكتب ، لبنان ط1 ، 1987م ، ج1 ، ص 389 .
(4) ـ الإمام القاضي علي بن أبي العز الدمشقي ، شرح العقيدة الطحاوية ، ن : مؤسسة الرسالة ، ج2 ، ص 471.
(5) ـ سورة ، النحل ، آية : 106.
(6) ـ عمار بن ياسر بن مالك العنسي أبو اليقظان صحابي جليل من السابقين الأولين – قتل مع علي ـ رضي الله عنه ـ بصفين سنة 37هـ ، ينظر : تقريب التهذيب ، ج1 ، ص 408 ، وينظر : في سبب نزول الايه تفسير القرآن العظيم ، ج4 ، ص 346 .

فقال : أي علي : ((مرحبا بالطيب المطيب سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : عمار مليء بالإيمان حتى مشاشته))[1] .

وقالوا لو كان الإيمان مركبا لذهب بذهاب جزء منه وهو النطق باللسان[2] ، ويدل أيضا على إن الإيمان لا يدخل في مسماه العمل قوله تعالى في أكثر من موضع في القرآن ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴿٨١﴾﴾[3] ، فان العمل قد عطف على الإيمان والعطف يقتضي المغايرة عند أهل اللغة .

وقالوا سئل النبي ـ ﷺ ـ ((يوما عن الإيمان وكان متقنعا بردائه فطرح رداءه عن رأسه ثم ضرب بيده على صدره وقال الإيمان ها هنا الإيمان في القلب))[4] وكذلك استدلوا بقوله ـ ﷺ ـ ((الإيمان في القلب والإسلام ما ظهر ، أو علانية))[5]

وقد ذهب أصحاب هذا الرأي إلى إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص على خلاف ما ذهب إليه الآخرون، وقالوا إن الإيمان هو التصديق ، والتصديق ثابت عندهم لا يزيد ولا ينقص حيث قالوا : متى ما نقص كان شك، وهذا ممنوع وقد استدل على ذلك أبو الليث السمرقندي[6] ، في تفسيره بقوله ـ ﷺ ـ ((الإيمان مكمّل في القلب زيادته ونقصانه كفر))[7]

---

(1) ـ ابن حبان ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، ن : مؤسسة الرسالة ، بيروت- تحقيق شعيب الارنؤوط ،كتاب اخباره ـ ﷺ ـ عن مناقب الصحابه ، ج 15 ، ص 552 ، برقم الحديث (7076) ، وقال شعيب الارنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين

(2) ـ شرح العقيدة الواسطية (2،471).

(3) ـ سورة ، البقرة ، آية : 81.

(4) ـ الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري ، الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب ، تح : محمد إدريس ، عاشور بن يوسف ، ن : دار الحكمة ،مكتبة الاستقامة ، سنة النشر 1415 ، بيروت ،سلطنة عمان ، رقم الحديث 774 ، ج1 ، ص 296 .

(5)- البَزَّارُ ، مسند البزار، قام بفهرسته على المسانيد ، علي بن نايف الشحود ، رقم الحديث 7235 7235 ، ج2 ، ص 343 ، وقد عقد الحاكم باب في ذكر الدليل على أن الإيمان في القلب ، انظر : شعار أصحاب الحديث لأبي أحمد الحاكم ، ج1 ، ص 2 .

(6) ـ هو نصر بن محمد بن ابراهيم الامام الفقيه الحنفي له كتب منها تنبيه الغافلين و تفسير القرآن توفي سنه 375هـ ، ينظر : الوافي في الوفيات ، ج 27 ، ص 54 .

(7) ـ ذكره السمرقندي مستدلا به في تفسيره بحر العلوم ، نصير بن محمد السمرقندي – دار الفكر- بيروت ، ج 2 ، ص 99 ، وهذا الحديث الذي استدل به السمرقندي حديث ضعيف كما ذكر ذلك

هذا ما استطعت جمعهُ من أدلة لأصحاب القول الأول في حد الإيمان، وعلى عكس ذلك هناك من يدخل الأعمال وقول اللسان والزيادة والنقصان في مسمى الإيمان مع إثبات ذلك الرأي بأدلة كما سيذكره الباحث، إن شاء الله.

القول الثاني:- إن الإيمان اسم يقع على الإقرار باللسان والتصديق بالقلب والعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

ومعنى ما ذهبوا إليه يتضح كالآتي :-

1 ـ الإقرار باللسان :- وهو النطق بالشهادتين والإقرار بلوازمهما قال تعالى ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾[1] ، وقوله سبحانه : ﴿وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ٥٣﴾[2] ، وقول اللسان وتصديق القلب شيء واحد عند أصحاب هذا القول

2 ـ تصديق القلب:- وهو إقرار القلب وإيقانه، قال تعالى ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾[3]

ومعلوم إن اليقين من أعلى درجات الإيمان. كما قال ﷻ : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾[4]

3 ـ عمل الجوارح :- وهو ما لا يؤدى إلا بها مثل القيام والركوع والجهاد بالسيف ونقل الخطى إلى المساجد والى الحج . قال ﷻ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩﴾[5]

شارح الطحاوية بقوله (سُئل الشيخ عماد الدين ابن كثير ـ رحمه الله ـ عن هذا الحديث فأجاب : بأن إسناده مجهول ، وضعفه الإمام احمد، انظر : شرح الطحاوية ، ج1 ، ص 342 .

(1) ـ سورة ، العنكبوت ، آية : 46.
(2) ـ سورة ، القصص ، آية : 53 .
(3) ـ سورة ، الزمر ، آية : 32.
(4) ـ سورة ، الأنعام ، آية : 76.
(5) ـ سورة ، فاطر ، آية : 29.

4 ـ زيادة الإيمان ونقصه[1] :- فعندهم إن الإيمان يزيد وينقص لقوله تعالى:

﴿۞ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ إِيمَٰنًا ﴿٣١﴾﴾[2] ، وقوله ﷻ : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾[3] ، فوجه الاستدلال ان الآيات دلت على زيادة الايمان عند الذين آمنوا ، والنقص من لوازم الزيادة .

وأصحاب هذا القول بعد أن ادخلوا العمل في الإيمان ، نظروا إلى الأمر الواقع ، فرأوا الناس على درجات متفاوتة في الأعمال فمنهم السابق بالخيرات ومنهم دون ذلك ، فلا يمكن التساوي بينهم بالإعمال على الوجه المطلوب ، وذلك لتفاوت استعداداتهم في تقبّل ما يؤمرن به من تكاليف ، لذلك قالوا بزيادة الإيمان ونقصانه .

تعريف الأسمر لحد الإيمان : لقد اقتصر الأسمر في تعريف الإيمان بتفسيره بما جاء في حديث جبريل المشهور ، فقال : ((فالإيمان بالله أن تؤمنوا بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالموت ، والقبر وعذابه وضمته والمسألة فيه ، ودخول منكر ونكير فيه ، والصراط ، والميزان ، والعرض على الله ﷻ ، والحوض والشفاعة ، والجنة والنار ، وأن الله يرى يوم القيامة ، وأن أقواما من الموحدين يخرجون من النار بعد أن امتحنوا فيها ويدخلون الجنة برحمة الله تعالى ، وشفاعة محمد ـ ﷺ ـ))[4] ، وعلى هذا القول يكون رأي الأسمر موافق لما ذهب إليه أهل السنة من الأشاعرة وأن العمل لا يدخل في حقيقة الإيمان وإنما هو دليل كمال فقط .

ووجه الدعوة في ذلك عند الأسمر هو بيان حد الإيمان شرعا لمريديه حتى لا يعتقدوا إعتقاد الخوارج الذين يقولون بأن العمل شرط صحة في الإيمان .

المطلب الثاني : الفرق بين الإيمان والإسلام :

شاء الله تعالى أن تتفاوت درجات العباد وخاصة العلماء في فهم مراد الله تعالى فمنهم من آتاه الله سبحانه العقل الراجح ففهم ما أراده الله تعالى من عباده ، ومنهم من أخطأ في ذلك فآتاه الله ﷻ الأجر على قدر نيته ، والاختلاف بين علماء

---

(1) ـ وسيأتي توضيح هذه المسالة بشيء من التفصيل في مطلب خاص بذلك إن شاء الله
(2) ـ سورة ، المدثر ، آية : 31.
(3) ـ سورة ، الأنفال ، آية : 2.
(4) ـ من رسالته إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 189.

الأمة أمر واقع في كثير من مسائل الدين ، ومنها مسألة الفرق بين الإسلام والإيمان ،فقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في مسائل الإيمان والإسلام وما بينهما من عموم وخصوص، وقد أكثروا في ذلك من الأدلة لترجيح ما ذهبوا إليه فمنهم من لم يفرق بين الإيمان والإسلام فيقول أنهما معنيان لشيء واحد، والآخر يرى الفرق بينهما .

وهنا سوف أقوم بذكر كل رأي مع أدلته ومن ثم أتبعه برأي الأسمر وأرجح ما أراه أقرب للصواب ، بإذن الله تعالى.

القول الأول : من يرى أنه لا فرق بين الإيمان والإسلام :

وأصحاب هذا القول لا يرون فرقًا بين الإيمان والإسلام، ويقولون بالترادف بينهما، وهذا القول قال به جماعة من العلماء منهم على سبيل المثال

الإمام البخاري حيث قال الإمام ابن حجر[1] ، في الفتح : ((تقدم أن المصنف يرى إن الإيمان والإسلام عبارة عن معنى واحد))[2] ، وقال الإمام العيني[3] ، في العمدة ((إن الإسلام والإيمان .... عند البخاري عبارة عن معنى واحد))[4] .

---

(1) ـ سبق ترجمته ، ص 56

(2) ـ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، ن : دار مصر، ط1، 2001 ، ج1 ، ص 114 .

(3) ـ محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي: مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين. أصله من حلب ومولده في عينتاب (وإليها نسبته) أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس ، توفي سنة (762 هـ) ، انظر : الأعلام ، ج 7 ، ص 163.

(4) ـ بدر الدين العيني ، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، ن : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج1 ، ص111.

وقد ذكر ابن عبد البر[1] ، أن أكثر أصحاب مالك على أن الإسلام والإيمان شيء واحد ، وقال : ((أن الذي عليه جماعة أهل الفقه والنظر ، أن الإيمان والإسلام سواء ... وعلى القول بأن الإيمان هو الإسلام جمهور أصحابنا وغيرهم من المالكيين والشافعيين وهو قول داود[2] ، وأصحابه ، وأكثر أهل السنة والنظر ، المتبعين للسلف والأثر))[3] ، وقد استدل أصحاب هذا القول بقوله تعالى : ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾[4] كذلك استدلوا بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَا ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ﴿١٣٧﴾﴾[5] ، مع قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ﴿٢٠﴾﴾[6] ، قالوا : ((حكم الله تعالى بأن بأن من أسلم فقد اهتدى ومن آمن فقد اهتدى فسوى بينهما))[7]

ومن السنة استدلوا بقوله ﷺ ـ لوفد عبد القيس بعد أن أمرهم بالإيمان بالله وحده ، قال : ((أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة أن لا إله

---

(1) ـ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر: من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاثة. يقال له حافظ المغرب. ولد بقرطبة. ورحل رحلات طويلة في غربي الأندلس وشرقيها. وولي قضاء لشبونة وشنترين. وتوفي بشاطبة. من كتبه " الدرر في اختصار المغازي والسير ـ ط " و " العقل والعقلاء " و " الاستيعاب ـ ط " مجلدان، في تراجم الصحابة، و " جامع بيان العلم وفضله " ، انظر : الأعلام ، ج 8 ، ص 240.

(2) ـ داود بن علي بن خلف الأصبهاني، أبو سليمان، الملقب بالظاهري: أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام. تنسب إليه الطائفة الظاهرية، وسميت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنة وإعراضها عن التأويل والرأي والقياس ، توفي سنة (270 هـ) ، انظر : الأعلام ، ج 2 ، ص 333.

(3) ـ ابن عبد البر ، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ن : مؤسسة القرطبة ، ج ، ص 247 ، 250 .

(4) ـ سورة ، الذاريات ، آية : 35 ـ 36.

(5) ـ سورة ، البقرة ، آية : 136.

(6) ـ سورة ، آل عمران ، آية : 20.

(7) ـ ابن منده ، الإيمان ، ج1 ، ص 322 .

إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس))[1]

وعلى هذا فقد ذهب إلى هذا القول علماء أفذاذ قد نذروا أعمارهم في خدمة دين الإسلام وإيصال الحق إلينا بالجمع والتقريب، فعندهم أن المسلم والمؤمن شيء واحد ولا فرق بين الاثنين .

القول الثاني : من قال أن الإيمان والإسلام متغايران :

على النقيض من الرأي الأول هناك من أهل العلم من يقول أن هناك فرقا بين الإيمان والإسلام، ومنهم الشيخ الأسمر كما يأتي

وقد استدل أصحاب هذا الرأي بقوله تعالى : ﴿۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴿١٤﴾﴾[2]

فنفى عنهم اسم الإيمان وأثبت لهم اسم الإسلام فدل ذلك على الفرق .

كذلك استدلوا بقوله تعالى : ﴿۞ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴿٣٥﴾﴾[3] ، قالوا : وهو نص صريح بالتفريق بين الأمرين ، قال ابن كثير[4] كثير[4] ، في تفسيره : ((وهو دليل على أن الإيمان غير الإسلام وهو أي الإيمان اخص منه أي من الإسلام))[5].

قال الاصبهاني[6] : ((والإيمان والإسلام اسمان بمعنيين فالإسلام عبارة عن الشهادتين مع التصديق بالقلب، والإيمان عبارة عن جميع الطاعات خلافا لمن قال

---

(1) ـ البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب أداء الخمس من الإيمان ، ج1 ، ص 19 ، ومسلم بنحوه في كتاب الإيمان ، رقم الحديث 24 ، ج1 ، ص 47 .

(2) ـ سورة ، الحجرات ، آية : 14.

(3) ـ سورة ، الأحزاب ، آية : 35.

(4) ـ إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقيّ، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه ، توفي سنة (774 هـ) ، انظر : الأعلام ، ج 1، ص 320.

(5) ـ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ن : دار الفيحاء ، دمشق ، ط1، 1994م، ج 3 ، ص643.

(6) ـ إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنّة: السنّة: من أعلام الحفاظ. كان إماما في التفسير والحديث واللغة ، توفي سنة (535 هـ) ، انظر : الأعلام ، ج 1 ، ص 323.

الإسلام والإيمان سواء وفي هذه الآية عطف الإيمان على الإسلام ، والشيء لا يعطف على نفسه فعلم أن الإيمان معنى زائد على الإسلام))[1]

ومن السنة استدلوا بما ذكره الإمام الترمذي[2] ، في كتاب الإيمان من أحاديث تدل على ذلك منها قوله عليه الصلاة والسلام : ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم))[3]

واستدلوا كذلك بقوله عليه الصلاة والسلام : ((السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ....))[4] ، وهنا فرّق ـ النبي ﷺ ـ بين الإيمان والإسلام في سلامه على أهل المقابر عند دخوله إليها وهي سنة عنه عليه الصلاة والسلام ، واستدلوا كذلك بقوله عليه الصلاة والسلام : ((اللهم لك أسلمت وبك آمنت ...))[5]

قال النووي[6] : ((وفيه إشارة إلى الفرق بين الإسلام والإيمان))[7]

---

(1) ـ الاصبهاني ، الحجة في بيان المحجة ، ن : دار الراية ، السعودية ، ط2 ، 1999 م ، ج 1 ، ص 442.

(2) ـ محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي الترمذي، أبو عيسى: من أئمة علماء الحديث وحفاظه، من أهل ترمذ (على نهر جيحون) تتلمذ للبخاريّ، وشاركه في بعض شيوخه. وقام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز وعمي في آخر عمره ، توفي سنة (279 هـ) ، انظر : الأعلام ، ج 6 ، ص 322.

(3) ـ الترمذي ، سنن الترمذي ، كتاب الإيمان ، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، رقم الحديث 2627 ، ج 5 ، ص17 ، وقال حسن صحيح .

(4) ـ مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها ، ج2 ، ص671 ، رقم الحديث 975 ، وانظر المجتبى من السنن ، احمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، تح : عبد الفتاح أبو غده ، ط2 ، 1986 م ، كتاب الجنائز ، باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين ، رقم الحديث 2037 ، ج 4 ، ص91.

(5) ـ صحيح البخاري ، باب التهجد بالليل ، رقم الحديث 1069 ، ج 1 ، ص377 ، ومسلم ، كتاب صلاة المسافر ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، رقم الحديث 769 ، ج 1 ، ص 532 ، والترمذي ، كتاب الصلاة ، باب ما يقول إذا قام من الليل إلى الصلاة ، ج5 ، ص491 .

(6) ـ يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعيّ، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) واليها نسبته ، توفي سنة (676 هـ) ، انظر : الأعلام ، ج 8 ، ص 149 .

(7) ـ عبد الرؤوف المناوي ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، ن : المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ط1 ، 1346 هـ ، ج2 ، ص 131 .

وقد أورد كل فريق ما عنده من أدلة اختصرها الباحث[1] ، وسيأتي إن شاء الله تعالى بيان ما يراه الأسمر في هذه المسألة ، فما ذكرته هنا هو مجمل أدلتهم في كتبهم .

والظاهر من عبارة الأسمر أن الإيمان والإسلام عنده شيئان مختلفان فهو بعد أن نقل الخلاف المذكور بين أهل العلم قال : واعلموا أن الإيمان والإسلام شيئان والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَانُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴿١٤﴾﴾[2] ، والإسلام هو الاستسلام والانقياد، والامتثال لأوامر الله ﷻ : ﴿وَمَا ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[3] ، ومحله الصدر لقوله تعالى : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴿٢٢﴾﴾[4] ، ودواعيه السؤال لقوله تعالى : ﴿فَسْـَٔلُواْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾[5] ، وشروطه كف الأذى لقول النبي - ﷺ - ((من سلم الناس من لسانه ويده وفرجه مسلم))[6]

وقواعده خمس وهي التي أشار إليها النبي - ﷺ - في قوله : ((بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ))[7]

وهذه القواعد الخمس على ثلاثة أقسام :

---

(1) - لقد نصر كل فرق رأيه وأيد مذهبه بما يطول سرده أكتفي بما ذكرته ومن أراد أن يستزيد فاليراجع شرح الإبانة لابن بطة ص 128 وما بعدها .
(2) - سورة ، الحجرات ، آية : 14.
(3) - سورة ، الحشر ، آية : 7.
(4) - سورة ، الزمر ، آية : 21.
(5) - سورة ، الأنبياء ، آية : 7.
(6) - أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر بلفظ " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه " ، ج1 ، ص 9 .
(7) - البيهقي ، السنن الكبرى ، تح : محمد عبد القادر عطا، ن: دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط2، 1424 هـ - 2003 م.

1 ـ قسم منها متعلق بالأبدان وهو : قول لا إله إلا الله ، والصلاة ، والصيام

2 ـ وقسم يتعلق بالأموال وهو : الزكاة

3 ـ وقسم متعلق بالزمان والمكان وهو : الحج

والإيمان هو التصديق لقوله جل شأنه : ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[1]، أي بمصدق لنا ، فكل من آمن بشيء فهو مصدق به ، وعلى هذا يكون الإيمان عنده ليس بقول ولا عمل ، وإنما هو اعتقاد بالقلب[2]

الترجيح :

قال ابن الصلاح[3] ، بعد أن نقل كلاما له في هذه المسألة : ((فخرج مما ذكرناه وحققنا أن الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان ، وأن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا ، وهذا تحقيق وافر بالتوفيق بين متفرقات نصوص الكتاب والسنة الواردة في الإيمان والإسلام التي طالما غلط فيها الخائضون ، وما حققناه من ذلك موافق لجماهير العلماء من أهل الحديث وغيرهم))[4]

وقال الإمام البغوي[5] : جعل النبي ـ ﷺ ـ في حديث جبريل عليه السلام ـ الإسلام اسما اسما لما ظهر من الأعمال ، وجعل الإيمان اسما لما بطن من الاعتقاد ، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان أو التصديق بالقلب ليس من الإسلام ، بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد وجماعها الدين ، ولذلك قال : " ذاك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم " ، والتصديق والعمل يتناولهما اسم الإيمان والإسلام جميعا ، يدل عليه

---

(1) ـ سورة ، يوسف ، آية : 17.

(2) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 193 ، 195 .

(3) ـ عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) ابن عثمان بن موسى بن أبي النصر النصري الشهرزوريّ الكردي الشرخاني، أبو عمرو، تقيّ الدين، المعروف بابن الصلاح: أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال ، توفي سنة (643 هـ) ، انظر : الأعلام ، ج 4 ، ص 207 .

(4) ـ النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج1 ، ص 148 .

(5) ـ الحسين بن مسعود بن محمد، الفرّاء، أو ابن الفَرَّاء، أبو محمد، ويلقب بمحيي السنّة، البغوي ، توفي توفي سنة (510 هـ) ، انظر : الأعلام ، ج 2 ، ص 259.

قوله ﷻ : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلإِسْلَامُ ﴿١٩﴾﴾[1] ، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإِسْلَامَ دِيناً ﴿٤﴾﴾[2] ، ﴿وَمَنْ يَّبْتَغِ غَيْرَ ٱلإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُّقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[3] ، فأخبر أن الدين الذي رضيه ويقبله من عباده هو الإسلام ، ولن يكون الدين في محل القبول والرضا إلا بانضمام التصديق إلى العمل[4]

قال ابن رجب[5] : "((وبهذا التفصيل يزول الاختلاف ، فيقال : إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينها حينئذ ، وإن قرن بين الاسمين كان بينهما فرق ، والتحقيق في الفرق بينهما أن الإيمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته ، والإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له ، وذلك يكون بالعمل وهو الدين ، كما سمى الله في كتابه الإسلام دينا ، وفي حديث جبريل سمى النبي ـ ﷺ ـ الإسلام والإيمان والإحسان دينا ، وهذا أيضا مما يدل على أن أحد الاسمين إذا أفرد دخل فيه الآخر ، وإنما يفرق بينهما حيث قرن أحد الاسمين بالآخر ، فيكون حينئذ المراد بالإيمان جنس تصديق القلب ، وبالإسلام جنس العمل))[6]

والذي يظهر لي والله أعلم أن بين الإيمان والإسلام عموم وخصوص ، وقد قرر أبو جعفر[7] ، هذا القول ، حيث وصف الإسلام بأن دوّر دائرة واسعة فقال هذا الإسلام ، ثم دور دائرة اصغر وسط الكبيرة فقال هذا الإيمان، ثم قال : ((فإذا زنى أو سرق خرج من الإيمان إلى الإسلام ولا يخرج من الإسلام إلى الكفر إلا بالكفر بالله

---

(1) ـ سورة ، آل عمران ، آية : 19.
(2) ـ سورة ، المائدة ، آية : 4.
(3) ـ سورة ، آل عمران ، آية : 84.
(4) ـ انظر : البغوي ، شرح السنة ، تح: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش ، ن: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط 2، 1403هـ - 1983م، عدد الأجزاء: 15، ج1، ص 11، 12.
(5) ـ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السّلامي البغدادي ثم الدمشقيّ، أبو الفرج، زين الدين حافظ للحديث، من العلماء. ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق. من كتبه (شرح جامع الترمذي) و (جامع العلوم والحكم - ط) ، توفي سنة (795 هـ) ، انظر : الأعلام ، ج 3 ، ص 295.
(6) ـ ابن رجب ، جامع العلوم والحكم ، تح: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس ، ن: مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط 7 ، 1422هـ - 2001م ، عدد الأجزاء: 2 ، ص 28 .
(7) ـ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهما ، ينظر : التمهيد لابن عبد البر ، ج9 ، ص 250.

ﷻ))[1] ، وعلى هذا فالإيمان أخص من الإسلام فكلما عمل المؤمن كبيرة من الكبائر التي هي دون الشرك بالله خرج من دائرة الإيمان إلى دائرة الإسلام فإن تاب من معصيته رجع إلى دائرة الإيمان ، لأن لكل من الإيمان والإسلام حقيقة شرعية واحدة ، كما ان لكل منهما حقيقة لغوية تختلف عن الأخر ، كما تبين ذلك من خلال حديهما في اللغة ، ومن خلال ما ذكر يتبين ان هذا الرأي هو الصحيح ،وهو إنه إذا تفرقا اجتمعا في الحكم ، وإذا اجتمعا تفرقا ، والله اعلم .

وهذا القول على خلاف ما قرره الأسمر حين طرح سؤال فقال : ((فإن قال قائل: هل الإيمان أعم من الإسلام أم الإسلام أعم ؟ فقل : له الإيمان أعم من الإسلام ، فكل مؤمن مسلم ، وليس كل مسلم مؤمن ، لأن من اعتقد الإيمان في الباطن متعلق به في الظاهر بخلاف الإسلام ، لأن المنافق والزنديق يظهران الإسلام ويعتقدان الكفر فهما مسلمان في الظاهر وكافران في الباطن))[2] فهو جعل الإيمان أعم من الإسلام ، ويظهر موافقة عبارته لقول ابن الصلاح المتقدم .

المطلب الثالث : زيادة الإيمان ونقصانه :

والكلام في هذا المطلب مترتب على الكلام في المطلب السابق ، ونتيجة للخلاف في تحديد حقيقة الإيمان ، وهل الأعمال داخلة فيه أم لا ؟

والقول بأن الإيمان يزيد وينقص ، هو قول أهل السنة والجماعة من الأشاعرة وغيرهم ، وممن قال بأن الإيمان يزيد وينقص : ((الإمام مالك والشافعي وأحمد وهو قول الثوري، وابن عيينة[3]، وابن جريج[4]، ووكيع[5] ، والبخاري كما ذكر ذلك في

---

(1) ـ ابن منده ، الإيمان ، ج1 ، ص311.
(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 194.
(3) ـ سفيان ابن عيينة ابن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ثم المكي ثقة حافظ فقيه ، انظر : ابن حجر ، تقريب التهذيب ، ج1 ، ص245 .
(4) ـ عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو الوليد وأبو خالد: فقيه الحرم المكيّ ، انظر : الزركلي الزركلي ، الأعلام ، ج4 ، ص160 .
(5) ـ وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، أبو سفيان: حافظ للحديث، ثبت، كان محدث العراق في عصره ، انظر ، الزركلي ، الأعلام ، ج8 ، ص 117 .

صحيحه))[1] ، وحكى البغوي[2] ، اتفاق الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء السنة، على أن الإيمان يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية[3]

رأي الأسمر في زيادة الإيمان ونقصانه :

القول بأن الإيمان يزيد وينقص ، هو الذي قرره الأسمر في رسائله ، فقال : ((وفي الإيمان من يزيد وينقص ، وفيه من يزيد ولا ينقص ، وفيه من لا يزيد ولا ينقص ، أما الذي يزيد وينقص فهو : إيمان المسلمين الموحدين ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وأما الذي يزيد ولا ينقص فهو إيمان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأما الذي لا يزيد ولا ينقص فهو إيمان الملائكة فإنهم على الدوام وليس عليهم معصية تنقص إيمانهم ، بل هم عباد مكرمون ﴿لاَّ يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾[4] ....))[5] ، ويرى الباحث : أن في قوله تعالى : ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۝٢٥١﴾[6] ﴿۝٢٥١﴾[6] ، فيه دليل على أن إيمان الأنبياء متفاوت وليس كما قال رحمه الله ، والملائكة والملائكة مجبولون على الطاعة والإيمان فلا يستقيم القول في حقهم أن إيمانهم لا يزيد ولا ينقص والله أعلم .

ووجه الدعوة هو تقرير حقيقة الإيمان وأنه يزيد وينقص وفيه تعليم للمريدين ، وتنبيه لهم على عقيدة أهل السنة والجماعة حتى لا يعتقدوا إعتقاد من جانب الحق من الفرق التي لا تقول بزيادة الإيمان ونقصانه ، كما نلاحظ وجها آخر للدعوة وهو أهمية التأسيس العقدي عند الأسمر في مسألة السلوك .

---

(1) ـ صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، ج1 ، ص 7 .
(2) ـ علي بن عبد العزيز بن المرزبان البغوي، أبو الحسن: شيخ الحرم. من حفاظ الحديث ، انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج4 ، ص 300.
(3) ـ انظر : شرح السنة ، للبغوي ، ج1 ، ص 38 ، 39 .
(4) ـ سورة ، التحريم ، آية : 6.
(5) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 194 .
(6) ـ سورة ، البقرة ، آية : 251.

المبحث الثالث : منهج الأسمر في تقرير الصفات

يعد الإيمان بصفات الله تعالى من أهم مباحث العقيدة ، وذلك لأنها تزيد المؤمن إيمانا ومعرفة بربه ، فقد ثبت بالكتاب والسنة والمنقول والمعقول ، أن الله تعالى اتصف بصفات لا يحصرها إلا هو ، إلا أن الله تعالى كلفنا عن طريق رسوله ـ ﷺ ـ في القرآن والسنة القطعية أن نصفه بما وصف به نفسه وننفي عنه تعالى ما نفاه عن نفسه ، ونكل مالم ندركه إلى علم الله تعالى ، من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ، وصفات الله التي يجب على المؤمن معرفتها والإيمان بها هي صفات كثيرة غير منحصرة تحث عدد معين ، وفي ذلك يقول الأسمر : ((ومما يجب لمولانا جل وعز عشرون صفة ، ويستحيل في حقه تعالى أضدادها وقد أشير بمن التبعيضية إلى أن صفات مولانا جل وعز الواجبة له ، لا تنحصر في هذه العشرين إذ كمالاته تعالى لا نهاية لها ، لكن العجز عن معرفة ما لا ينصب عليه دليل عقلي ولا نقلي لا نؤاخذ به فضل من الله تعالى))[1]

وعلى هذا القول درج علماء أهل السنة من اثبات عشرين صفة لله تعالى ، لأنها أمهات الصفات ولا يحصرون صفات الله تعالى فيها كما يتوهم بعض الحشوية والمجسمة .

المطلب الأول : تعريف الصفة لغة واصطلاحا :

أولا : تعريف الصفة لغة :قال المناوي[2] : ((الصفة لغةً: النّعت، وعرفًا: الاسم الدال على بعض أحوال الذات، نحو طويل وقصير وعاقل وأحمق وغيرها))[3] .

وقال الجُرجاني[4] : ((الوصف عبارة عما دل على الذات باعتبار معنى هو المقصود من جوهر حروفه أي يدل على الذات بصفة كأحمر فإنه بجوهر حروفه يدل على معنى مقصود وهو الحمرة فالوصف والصفة مصدران كالوعد والعدة والمتكلمون فرقوا بينهما فقالوا الوصف يقوم بالواصف والصفة تقوم بالموصوف وقيل الوصف هو القائم بالفاعل))[5] .

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ص 199 .
(2) ـ محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين: من كبار العلماء بالدين والفنون ، توفي سنة (1031 هـ) ، انظر : الأعلام ، ج 6 ، ص 204 .
(3) ـ المناوي، التعاريف، ص458.
(4) ـ سبق ترجمته ، ص 89 .
(5) ـ الجرجاني، التعريفات، ص326.

ثانيا : تعريف الصفة اصطلاحا :

والمراد بالصفة ما ليس ذاتا فيصدق بالنفسية والسلبية والمعاني والمعنوية لا ما كان موجودا في الخارج زائدا على الذات وإلا كان قاصرا على المعاني[1] ، وقيل هي: الأمر الثابت للموصوف[2] .

المطلب الثاني : منهج الأسمر في تقرير الصفات الواجبة لله تعالى :

ولقد سار الأسمر على منهج الأشاعرة حيث قسم الصفات الواجبة لله تعالى شرعا وعقلا إلى أربعة أقسام :

نفسية ، وسلبية ، ومعان ، ومعنوية ، وقد بسط لنا الأسمر هذه الصفات مع بيان استحالة أضدادها في حقة تعالى مستدلا على كل صفة بدليلين أحدهما عقلي والآخر نقلي ، وذلك على النحو التالي:

القسم الأول : الصفة النفسية واحدة : وهي الوجود :

وحقيقته كما يقول الأسمر : الصفة غير القابلة للعدم ، والدليل العقلي على وجوب الوجود له ﷻ ، هو وجود المخلوقات[3] ، ((واعلموا : أن كل صنعة تفتقر إلى الصانع الذي صنعها واخترعها وابتدعها ، والصانع هو الله والمصنوع خلقه))[4]

والدليل عليها من النقل قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴿١١٥﴾ ﴾[5]

القسم الثاني : الصفات السلبية :

وهي كل صفة سلبت ونفت عن الله أمرا لا يليق به ، وهي خمس صفات[6]

1 ـ القدم وضده الحدوث :

---

(1) ـ محمد الدسوقي ، حاشية الدسوقي على أم البراهين ، ن : دار الفكر ، بيروت ، ص 73 .
(2) ـ العمراني الخالدي عبد السلام ، اليواقيت الفريدة في تصحيح العقيدة وأحكام العبادات على مذهب إمام الأئمة مالك بن أنس ، ن : المكتبة العصرية ، بيروت ، ص 24.
(3) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 199.
(4) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 191 .
(5) ـ سورة ، البقرة ، آية : 114.
(6) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 203.

وحقيقته : عبارة عن سلب العدم السابق على الوجود ، والدليل على اتصافه ﷻ بالقدم العقل والنقل[1]

أما العقل : فإنه تعالى لو لم يكن متصفا بالقدم لكان حادثا[2]

وأما النقل فقوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾[3] ، أي قبل كل شيء بلا بداية .

2 ـ البقاء وضده الفناء :

وحقيقته :عبارة عن سلب العدم السابق واللاحق للوجود ، والدليل عل اتصافه ﷻ بالبقاء العقل والنقل

أما دليله من النقل : فإنه ﷻ لو أمكن أن يلحقه العدم لانتفى عنه القدم[4]

وأما العقل فقوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾[5] ، أي فهو الآخر بلا نهاية.

3 ـ المخالفة للحوادث وضدها المماثلة :

وحقيقة المخالفة : سلب الجرمية والعرضية ولوازمهما ، والدليل على مخالفته تعالى للحوادث العقل والنقل[6]

أما دليلها من العقل : فإنه تعالى لو ماثل شيئا منها لكان حادثا مثلها .

وأما النقل فقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[7]

4 ـ القيام بالنفس وضدها الافتقار :

وحقيقة القيام بالنفس : سلب الافتقار إلى المحل والمخصص[8] ، والدليل على اتصافه تعالى بالقيام بالنفس العقل والنقل .

---

(1) ـ نفس الرسالة ، ص 199.
(2) ـ نفس المصدر ، ص 199 .
(3) ـ سورة ، الحديد ، آية : 3.
(4) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 199 .
(5) ـ سورة ، الحديد ، آية : 3.
(6) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحاب غريان ، ص 200 .
(7) ـ سورة ، الشورى ، آية : 9.
(8) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 200 .

أما العقل : فإنه تعالى لو احتاج إلى محل لكان صفة ، ولو احتاج إلى مخصص لكان حادثا .

وأما النقل فقوله تعالى : ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[1]

5 ـ الوحدانية وضدها التعدد :

وحقيقة الوحدانية : سلب التعدد في الذات وفي الصفات والأفعال ، والدليل على اتصافه ﷻ بالوحدانية العقل والنقل .

أما العقل : فإنه ﷻ لو لم يكن واحدا للزم أن لا يوجد شيء من العالم[2]

وأما النقل فقوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾[3]

القسم الثالث : صفات المعاني :

وهي كل صفة قائمة بذاته ﷻ تستلزم حكما معينا له كصفة العلم مثلا ، فهي تستلزم أن يكون المتصف بها عالما .

وقد قسم الأسمر هذه الصفات إلى سبعة أقسام وهي :

1 ـ القدرة وضدها العجز :

وحقيقتها : صفة يتأتى بها ايجاد الممكن وإعدامه على وفق الإرادة ، والدليل على إثبات صفة القدرة لله تعالى العقل والنقل[4]

أما العقل : فإيجاده للخلق ﷻ بلا معين

وأما النقل فقوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٣﴾﴾[5]

والمذاهب في الأفعال ثلاثة : مذهب الجبرية ، ومذهب القدرية ، ومذهب أهل السنة .

أ ـ فمذهب الجبرية هو : وجود الأفعال كلها بالقدرة الأزلية فقط من غير مقارنة لقدرة حادثة

---

(1) ـ سورة ، فاطر ، آية : 15.
(2) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 200 .
(3) ـ سورة ، الإخلاص ، آية : 1.
(4) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 200
(5) ـ سورة ، البقرة ، آية : 283

ب ـ ومذهب القدرية هو : وجود الأفعال الاختيارية والقدرة الحادثة لا تأثير لها لا مباشرة ولا توليدا .

ج ـ ومذهب أهل السنة هو : وجود الأفعال كلها بالقدرة الأزلية فقط مع مقارنة الأفعال الاختيارية لقدرة حادثة لا تأثير لها ولا مباشرة ولا تولدا .

إما الكسب فهو : عبارة عن تعلق القدرة الحادثة بالمقدور في محلها من غير تأثير[1]

2 ـ الإرادة وضدها الكراهة :

وحقيقتها : صفة يتأتى بها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه ، والدليل على اثبات صفة الإرادة لله تعالى العقل والنقل .

أما العقل : فإنه سبحانه وتعالى لو لم يكنمريدا لكان مكرها ولو كان مكرها لكان مقهورا ولو كان مقهورا لما وجد شيء من الحوادث ، كيف وهي موجودة مشاهدة ، فيلزم من وجودها أن يكون موجدها ليس بمكره ويلزم من كونه ليس بمكره أن يتصف بالإرادة وهو المطلوب[2]

وأما النقل فقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَنْ يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[3]

3 ـ العلم ـ وضده الجهل :

وحقيقته : صفة ينكشف بها المعلوم على ما هو به انكشافا لا يحتمل النقص بوجه من الوجوه ، والدليل على ثبوت صفة العلم لله تعالى العقل والنقل[4]

أما العقل فإنه ﷻ لو لم يكن عالما لكان جاهلا .

وأما النقل فقوله تعالى : ﴿۞ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾[5]

4 ـ الحياة وضدها الممات

---

(1) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى راشد بن يحي المحجوبي ، ص 142

(2) ـ انظر : أحمد بن عبد الله الغدامسي ، أتحاف المريدين بعقيدة أم البراهين ، تح : عبد العالي احمد مصباح ، ن : دار الكتب الوطنية ، ط 1 ، ص 273 .

(3) ـ سورة ، يس ، آية : 81

(4) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 201.

(5) ـ سورة ، النور ، آية : 35.

وحقيقتها في حق المخلوقات كما يقول الأسمر : هي عبارة ـ [عن سريان الروح في الجسد قبل][1] انقطاع مدة الحياة[2]

أما في حقه ﷻ : فهو حي بلا روح ولا مجاز .

وصفة الحياة كما حدها علماء العقيدة :((هي صفة تصحح لمن قامت به أن يتصف بالإدراك))[3]

أما الدليل عليها من العقل : ((فإنه ﷻ لو انتفت عنه الحياة لما وجد شيئا من الحوادث))[4]

وأما النقل فقوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ﴾[5]

5 ـ السمع ، والبصر ، والكلام :

وحقيقة السمع : ((صفة ينكشف بها المسموع انكشافا يباين ما سواه ضرورة والبصر مثله))[6]

أما الكلام : فهو المعنى القائم بالذات ، المعبر عنه بأنواع العبارات المختلفات المباين لجنس الحروف والأصوات المنزه عن البعض والكل ، والتقديم والتأخير والسكون واللحن والإعراب وسائر أنواع التغيرات ، المتعلق بما يتعلق به العلم من المتعلقات[7] المتعلقات[7] ، والكلام الأزلي ليس بحرف ولا صوت وهو : المعنى القائم بالذات ، المعبر عنه بالعبارات المختلفات ، المباين لجنس الحروف والأصوات ، المنزه عن

---

(1) ـ لا بد من زيادة ما بين الحاصرتين لتفهم عبارة الأسمر.
(2) ـ انظر ، الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 201 ، وما بين الحاصرتين ساقط من الرسالة .
(3) ـ الوجهاني ، سعيد بن عبد الرحمن الوجهاني ، شرح ذات البراهين ، تح : نزار حمادي ، ن : دار ابن عرفة ، تونس ، ص 37 .
(4) ـ من رسالته إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 201 .
(5) ـ سورة ، غافر ، آية : 65.
(6) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 201 .
(7) ـ انظر : المصدر السابق ، ص 201 .

البعض والكل والتقديم والتأخير والتكرار والسكوت واللحن والإعراب وسائر أنواع التغييرات المتعلق بما يتعلق به العلم من المتعلقات[1]

والدليل على هذه الصفات من العقل : فإنه ﷻ لو لم يتصف بها للزم أن يتصف بأضدادها وهي نقائص والنقص عليه ﷻ محال .

والدليل عليها من النقل فقوله تعالى : ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[2]

وقوله ﷻ : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً﴾[3]

القسم الرابع : الصفات المعنوية :

وحقيقتها : أنها لا تتصف بالوجود ولا بالعدم ملازمة للسبع الأولى وهي كونه تعالى : قادرا ، ومريدا ، وعالما ، وحيا ، وسميعا ، وبصيرا ، ومتكلما .

وجميع هذه الصفات تنقسم بحسب التعلق إلى أربعة أقسام :

1 ـ القسم الأول : لا يتعلق بشيء وهي صفة الحياة .

2 ـ القسم الثاني : يتعلق بالممكنات فقط وهي صفة القدرة والإرادة.

3 ـ القسم الثالث :يتعلق بالموجودات وهي صفة السمع والبصر .

4 ـ القسم الرابع : يتعلق بالواجبات والممكنات والمستحيلات وهي صفة العلم والكلام[4]

وحقيقة التعلق : هو طلب الصفة أمرا زائدا بعد القيام بمحلها ، وهو مرتب على ثلاثة مراتب : تعلق القدرة وتعلق الإرادة وتعلق العلم بجميع الممكنات[5] ، فالأول مرتب على الثاني والثاني مرتب على الثالث.

---

(1) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى راشد بن يحي المحجوبي المقرحي ، ص 143.
(2) ـ سورة ، المجادلة ، آية : 1.
(3) ـ سورة ، النساء ، آية : 163.
(4) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 203.
(5) ـ انظر : المصدر السابق ، ص 203

وإنما لم تتعلق القدرة والإرادة بالواجب والمستحيل لأنهما لما كانتا صفتين مؤثرتين لزم أن ما لا يقبل العدم أصلا كالواجب لا يقبل أن يكون أثرا لهما ، وإلا لزم تحصيل الحاصل ، وما لا يقبل الوجود أصلا كالمستحيل لا يكون أثرا لهما .

فلو تعلقت القدرة والإرادة بالمستحيل لزم على هذا التقدير الفاسد تعلقهما بإعدام أنفسهما ، وسلب الألوهية عمن تجب له تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

وتعلق القدرة طلبها الاختراع ، وتعلق السمع والبصر طلبهما الانكشاف بالموجودات وتعلق الكلام طلب الأدلة .

والحياة وهي لا تتعلق بشيء وهي الأصل في الجميع كما تجب الإشارة إلى أن ما بين متعلق القدرة والإرادة ، وبين تعلق السمع والبصر عموم وخصوص من وجه .

فتزيد القدرة والإرادة بتعلقهما بالمعدوم الممكن ، ويزيد السمع والبصر بتعلقهما بالموجود الواجب ، كذات مولانا جل وعز وصفاته[1]

ويشترك القسمان في تعلقهما بالموجود الممكن[2]

ولا شك أن الأسمر حين يقرر الصفات الواجبة لله سبحانه وتعالى ويبين أضدادها فهو بذلك يدعو إلى معرفة الذات الإلهية معرفة ترفع الجهل ويخرج بها المريد من ربقة التقليد ، فعلم التوحيد عند الأسمر لا يحصل ضرورة ولا إلهاما ، ولا يصح أن يقال أن الله سبحانه وتعالى يعرف بالتقليد[3] .

المطلب الثالث : منهج الأسمر في تقرير الصفات المستحيلة والجائزة في حقه ﷻ :

الصفات المستحيلة في حقه ﷻ : هي كل صفة توجب لموصوفها نقصا أو عيبا ، فيستحيل في حقه ﷻ إجمالا كل نقص لا يليق بذاته المقدسة كما يستحيل في حقه تفصيلا أضداد الصفات التي وجب اتصافه بها وهي :

1 ـ العدم ضد الوجود .

2 ـ الحدوث ضد القدم.

---

(1) ـ لمزيد بيان ارجع إلى حاشية الدسوقي على أم البراهين ، ن : دار الفكر ، ص 99 .
(2) ـ انظر : المصدر السابق ، ص 203
(3) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 199

3 ـ الفناء ضد البقاء .

4 ـ المماثلة للحوادث ضد المخالفة لها .

5 ـ الافتقار ضد القيام بالنفس .

6 ـ التركيب والتعدد ضد الوحدانية.

7 ـ العجز ضد القدرة .

8 ـ الإكراه ضد الإرادة .

9 ـ الجهل ضد العلم .

10 ـ الموت ضد الحياة .

11 ـ الصمم ضد السمع.

12 ـ العمى ضد البصر .

13 ـ البكم ضد الكلام .

والأدلة على نفي هذه الصفات هي نفس الأدلة التي ثبت بها اتصافه بالصفات الواجبة، لما تقرر أن الضدين لا يجتمعان في شيء واحد في نفس الوقت ، وحيث ثبت له ﷻ بالأدلة العقلية والنقلية اتصافه بالصفات الواجبة فتنتفي عنه أضدادها عقلا وشرعا[1] .

الصفات الجائزة في حقه ﷻ :

وهي كل فعل قضى العقل بإمكانه واستوائه في الوجود والعدم فكل ما عداه سبحانه من الممكنات بالنسبة إلى تعلق قدرته تعالى به لا يخرج عن جواز فعله وتركه في حالتي وجوده وعدمه .

والدليل على جواز فعل الممكنات في حقه ﷻ من العقل ، ومن الجائز في حقه ﷻ عقلا بحيث يصح في العقل ثبوته ونفيه على السواء ، خلقه للعالم ، وإرساله الرسل إلى عباده ، ورؤيتهم له في دار الآخرة .

---

(1) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص205.

وخلاصة ما نستنتجه من هذا العرض الموجز لعقيدة الأسمر في صفات الباري جلا وعلا كما كتبها بقلمه أنه كان يدعو مريديه إلى الإيمان بها ومعرفتها والحرص على حفظها كي تعلوا هممهم وتقوى عزائمهم ويشتد طلبهم للحق سبحانه وتعالى .

يقول ابن القيم : ((إذا بلغ العبد في مقام المعرفة إلى حد كأنه يطالع ما اتصف به الرب سبحانه من صفات الكمال ونعوت الجلال وأحست روحه بالقرب الخالص الذي ليس هو كقرب من المحسوس حتى يشاهد رفع الحجاب بين روحه وقلبه وبين ربه ، فإن حجابه هو نفسه وقد رفع الله عنه ذلك الحجاب بحوله وقوته ، فأفضى القلب والروح حينئذ إلى الرب فصار يعبده كأنه يراه))[1] ، وهذه هي ثمرة معرفة صفات الله وأسمائه .
ولا شك أن بالتعرف على صفات الله تعالى يزيد من إيمان العبد ويخرج به من ربقة التقليد في الإيمان ويسلم من آفات كثيرة كالحسد والكبر والرياء والعجب وغيرها من أمراض القلوب .

المطلب الرابع : منهج الأسمر في تقرير صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام :

وقد عدها السنوسي بقوله : ((أما الرسل عليهم الصلاة والسلام فيجب في حقهم ، الصدق ، والأمانة ، وتبليغ ما أمروا بتبليغه للخلق ، ويستحيل في حقهم عليهم الصلاة والسلام أضداد هذه الصفات وهي ، الكذب ، والخيانة بفعل شيء مما نهو عنه نهي تحريم أو كراهة ، وكتمان شيء مما أمروا بتبليغه للخلق ويجوز في حقهم عليهم الصلاة والسلام ما هو من الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية كالمرض ونحوه))[2]

ولقد أشار الأسمر إلى بعضها بقوله : والأمانة : حفظ جميع الجوارح الظاهرة والباطنة من التلبس بمنهي عنه نهي تحريم أو كراهة .

والخيانة : عدم حفظها من ذلك فاعلم[3]

---

(1) ـ ابن القيم ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ج3 ، ص210.
(2) ـ الوجهاني ، سعيد بن عبد الرحمن الوجهاني ، شرح ذات البراهين ، تح : نزار حمادي ، ن : دار الإمام ابن عرفة ، تونس ، ص 77.
(3) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى راشد المحجوبي ، ص 144 .

ووجه الدعوة في تقرير صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام هو دعوة للإيمان بهم وحسن الإعتقاد فيهم وأنهم معصومون مما يقع فيه غيرهم من البشر من المخالفات ، وفي كلام الأسمر رد على من قال بأن الرسل غير معصومين من الذنوب .

المبحث الرابع : منهج الأسمر في تقرير أركان الإيمان :

من أصول العقيدة الإسلامية أركان الإيمان الستة وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، وهذه الأركان لا يصح إيمان العبد إلا بالاعتقاد الجازم بجميعها، اعتقادا لا يعتريه الشك، وهذا شيء من التفصيل لهذه الأركان لأن الكلام يطول بذكرها وما تحمله من أحكام لذلك سأذكر كل ركن وما يتعلق به بشكل موجز :

المطلب الأول : الإيمان بالله

الركن الأول : الإيمان بالله : و هو أن يعتقد المرء اعتقادا جازما بأن الله تعالى موجود وجودا حقيقيا بذاته وأنه هو الذي خلق الكون بما فيه بلا شريك ، وأنه وحده من يستحق العبادة .

وأقسامه كما يقول الأسمر تبعا لأئمة الأشاعرة سبعة وهي : إيمان بالله ، وإيمان لله، وإيمان بالعبودية، وإيمان بالخصوصية ، وإيمان بالقبضتين، وإيمان بالقدر، وإيمان بالناسخ والمنسوخ .

1 ـ فالإيمان بالله : ((أن تؤمنوا بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله، واليوم الآخر، وبالموت ، والقبر وعذابه وضمته والمسألة فيه ، ودخول منكر ونكير فيه، والصراط ، والميزان ، والعرض على الله ﷻ ، والحوض والشفاعة ، والجنة والنار، وأن الله يرى يوم القيامة ، وأن أقواما من الموحدين يخرجون من النار بعد أن امتحنوا فيها ويدخلون الجنة برحمة الله تعالى ، وشفاعة محمد ـ ﷺ ـ))[1]

ثم بعد أن قرر أركان الإيمان بالله ، طرح سؤالا مفاده ، فإن قال قائل : ما الإيمان؟ وما هو محله ؟ وما دواعيه ؟ وما شروطه ؟ وما حقيقته ؟ فالجواب : أن الإيمان بالله تعالى : هو التصديق ، لقوله جل شأنه : ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾[2] ، أي بمصدق لنا ، فكل من آمن بشيء فهو مصدق به[3] ، أما محله فهو : القلب لقوله تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ ٢٢﴾[4] ، وأما دواعيه

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الرحمن بن ساعد وعلي بن محمد أبو سلامة بمدينة غريان ، ص 189.

(2) ـ سورة ، يوسف ، آية : 17.

(3) ـ انظر : رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 193 ، 195 .

(4) ـ سورة ، المجادلة ، آية : 22.

فهي النظر في الأشياء لقوله تعالى : ﴿۞ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾[1] ، وأما شروطه فهي التقوى لقوله تعالى : ﴿وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِے أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾[2]

وأما حقيقته فهي : بدل الروح لقول النبي - ﷺ - ((لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه من الخير))[3]

أما عن شروط الإيمان فقد وجه الأسمر سؤال ثم أجاب عنه ، بقوله : فإن قال قائل : لا إله إلا الله هل هي مقيدة أو مطلقة ؟ فالجواب أن تقول له : مقيدة بثمانية شروط وهي :

أ- أن تكون عن علم لا عن جهل

ب-وأن تكون عن يقين لا عن شك

ج- أن تكون عن اختيار لا عن إكراه

د- وأن تكون عن إخلاص لا عن شرك

هـ - استواء الظاهر والباطن

و- وأن تقولها مع الأعمال حتى الموت مع اعتقاد ما تحت الغنى والافتقار[4]

2 - فالإيمان لله : أن تعبدوا الله خالصا على حكم الكتاب والسنة ، ولا تعملوا شيئا من أعمال الكفر .

قلت : أي إخلاص العبادة لله على وفق ما أمر ونهى

3 - والإيمان بالعبودية : أنك عبد لله ولو ملكت ملك سليمان عليه السلام ، أو ملك ذي القرنين ، لا تتكبر ولا تتجبر على معبودك .

4 - والإيمان بالخصوصية فحين خلق الله الخلق غمسهم في النور ، فمنهم من غمسه فيه كله ولم يظهر منهم شيء ، ومنهم من أخذ منه شيئا ، ومنهم من لم يأخذ منه شيئا .

---

(1) - سورة ، الغاشية ، آية : 17 - 20.

(2) - سورة ، الممتحنة ، آية : 11.

(3) - سنن النسائي ، باب علامات الإيمان ، رقم الحديث 5017 ، ج 8 ، ص 115 .

(4) - لقد ذكر ستة شروط فقط ، انظر : رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 192 ، 193 .

فأما الذين انغمسوا في النور ولم يظهر منهم شيء فهم النبيئون والصديقون والشهداء والصالحون

وأما الذين أخذوا من النور شيئا فهم أهل التخليط من المؤمنين الذين يفعلون الخير والشر .

وأما الذين لم يأخذوا من النور شيئا فهم الكفار والمنافقون .

5 ـ والإيمان بالقبضتين فحين خلق الله آدم عليه السلام قبض قبضة على كفه الأيمن فاستخرج منها ذرية كالذر في بياض البيضة ، وقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ولا أبالي ، ثم قبض قبضة على كفه الأيسر فاستخرج منها ذرية سوداء كالقار ، وهو الزفت وقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون ولا أبالي .

6 ـ والإيمان بالقدر : أن تؤمن بالقدر كله ، خيره وشره ، حلوه ومره ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو جاهد أهل السموات والأرض أن يضروك بشيء ولم يكتبه الله عليك لما قدروا على ذلك ، ولو جاهد أهل السموات والأرض أن ينفعوك بشيء ولم يكتبه الله لك لما قدروا على ذلك النفع .

7 ـ والإيمان بالناسخ والمنسوخ : أن تعلم أن آية رحمة نسختها آية عذاب ، وآية عذاب نسختها آية رحمة ، وأن تؤمن بالكل[1] .

المطلب الثاني : الإيمان بالملائكة :

الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان وأصوله التي لا يصح اعتقاد مسلم ولا يتم إيمانه إلا به ، وهم خلق من خلق الله تعالى خلقهم من نور ، فيجب الإيمان بوجودهم قال تعالى : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[2] ، فيجب الإيمان بالملائكة جملة وتفصيلا ، جملة فيما أجمل ، وتفصيلا فيما فصل من أسمائهم ، وأوصافهم ، وأعمالهم التي كلفهم الله بها ، كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة.

وقد أجمل الإمام الأسمر القول في هذا الأصل ، ولم يفصل القول في ذكرهم باعتبار أن الذين يخاطبهم الأسمر برسائله مؤمنون بوجودهم ، وإنما ذكر بعضا من أخبار

---

(1) ـ انظر : رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 189 ، 190 .

(2) ـ سورة ، البقرة ، آية : 284.

الملائكة كما دلت عليها النصوص من الكتاب والسنة ، والتي تتضمن أسمائهم وصفاتهم وما وكلوا به من أعمال أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

ومن ذلك قوله في ذكر أركان الإيمان : ((واعلموا أن الإيمان بني على خمس : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر وما فيه ، فإن قال قائل : ما الدليل على أن الإيمان على خمس ؟ فالجواب أن تقول له : بني بدليل قوله تعالى : ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالْكِتَٰبِ وَالنَّبِيِّۦنَ﴾[1] ، وضد الإيمان الكفر وقواعده خمسة بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَالْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلاً بَعِيداً﴾[2] ، والإيمان أصل والإسلام فرع))[3]

ومن ذلك ذكره لفضل الصلاة على النبي ـ ﷺ ـ وذكر معنى قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴿٥٦﴾﴾[4] ، فقال : ((عليكم ... بالصلاة على رسول الله ـ ﷺ ـ فهي معراج السلوك إلى الله ، والصلاة من الله على نبيه زيادة تكرمة وإنعام ، ومن الملائكة دعاء واستغفار ، ومن الآدميين عبادة أي قربة إلى الله ، وهي واجبة في العمر مرة وباقيها مستحب ، أما سلام الله على نبيه فزيادة تأمين له وطيب تحية وإعظام))[5]

ومن ذلك ذكره لفضل قرآءة القرآن في المنزل وتفسير قوله ـ ﷺ ـ (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة) فقال بعد أن نقل الحديث : ((والمراد بالمهارة في الحديث : جودة اللفظ ، وإخراج كل حرف من مخرجه ... والكرام جمع كريم ، والبررة : جمع بار بمعنى حسن ، والسفرة جمع سافر ، وهو : الكاتب والمصلح بين القوم ،

---

(1) ـ سورة ، البقرة ، آية ، 176.
(2) ـ سورة ، النساء ، آية : 135.
(3) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 191 .
(4) ـ سورة ، الأحزاب ، آية : 56.
(5) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 197 ، 198 .

والمراد بهم الملائكة النازلة بما فيه صلاح العباد من حفظهم من الآفات والمعاصي ، وإلهامهم الخير في قلوبهم ، أو الملائكة الذين هم حملة اللوح المحفوظ كما قال تعالى : ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾[1] ، وقيل المراد بهم أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ ، أو الملائكة الكاتبون أعمال العباد ، كذا في كتب القوم))[2]

ثم نقل قول ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ((البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن كالبيت الخرب الذي لا عامر له))[3] ، وقول أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ((البيت الذي يقرأ فيه القرآن تحضره الملائكة وتخرج من الشياطين ويتسع بأهله ويكثر خيره ، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن تحضره الشياطين وتخرج منه الملائكة ويضيق بأهله ويقل خيره ، فقرؤوه فإنه يطفي غضب الله "[4]))[5] ، ومن ذلك نقله عن بعض الشيوخ أن قرآءة القرآن تساعد على جواب منكر ونكير في القبر ، فقال : ((إخواني : اقرأوا القرآن واستظهروه ، فإن الله لا يعذب قلبا وعى القرآن ، قال بعض الشيوخ : طلبنا خمسا فوجدناها في خمس : طلبنا القوت فوجدناه في صلاة الضحى ، وطلبنا ضياء القبور فوجدناه في صلاة الليل ، وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن ، وطلبنا عبور الصراط فوجدناه في الصوم والصدقة ، وطلبنا ظل العرش فوجدناه في الخلوة))[6] ، قلت : وعلى كل هذه الأقوال دليل من الكتاب والسنة هذا ليس محل بسطها ، ولكن الغرض تقرير منهج الأسمر في الدعوة إلى هذا الركن من أركان الإيمان .

---

(1) ـ سورة ، عبس ، آية : 15 ـ 16
(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة تمبكتو بمالي ، ص 238 ، ولم أقف على الكتب التي نقل منها هذا التفسير .
(3) ـ الغافقي ، فضائل القرآن ، ص 20 .
(4) ـ أبو بكر بن أبي شيبة ، المصنف في الأحاديث والآثار ، تح: كمال يوسف الحوت ، ن: مكتبة الرشد – الرياض ، ط 1 ، 1409 ، عدد الأجزاء: 7 ، رقم الحديث 30023 ، ج 6 ، ص 127
(5) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس الأقصى ، ص 329.
(6) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمالي ، ص 239 .

المطلب الثالث : الإيمان بالرسل

لقد بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين فقال جل ذكره : ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴿١٦٥﴾﴾[1] ، وأمر بالإيمان بهم جميعا ، فقال تعالى : ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا ٱنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا ٱنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلأَسْبَاطِ وَمَا ٱوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا ٱوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾[2] ، فيجب الإيمان بهم جملة وتفصيلا ، بمن ذكرهم الله في كتابه وأخبر بهم على لسان نبيه - ﷺ - وبمن لم يقصصهم علينا جميعا ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴿٧٧﴾﴾[3]

ويجب الإيمان بأن الأنبياء جميعا بشر قد خصهم الله بالوحي ، وأنه ليس لهم من خصائص الألوهية شيء ، فهم من عباد الله المصطفين يجري عليهم ما يجري على البشر ، يأكلون ويشربون ويتزوجون ويمرضون ويموتون ويقتلون ، ولا يعلمون الغيب إلا ما خصهم الله بمعرفته ، فقال سبحانه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالًا يُوحَىٰٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُواْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾[4] ، وأن كلهم جاءوا بدين واحد وبعثوا بالدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده ، ونبذ الشرك وإن اختلفت شرائعهم ، فقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ ٱمَّةٍ رَّسُولًا أَنُ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ ٱلطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِي ٱلأَرْضِ فَانظُرُواْ

---

(1) - سورة ، النساء ، آية : 164.
(2) - سورة ، البقرة ، آية ، 135.
(3) - سورة ، غافر ، آية : 77.
(4) - سورة ، الأنبياء ، آية : 7.

كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴿٥٠﴾﴾[2]

وأن من كفر بنبي واحد منهم فقد كفر بهم جميعا ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴿١٤٩﴾﴾[3]

فالإيمان بالرسل أحد أركان الإيمان التي لا يصح الإيمان إلا بها ، هذا فيما يتعلق بالإيمان بالأنبياء والرسل جملة ، أما الإيمان بنبينا محمد ـ ﷺ ـ فيجب الإيمان به على وجه الخصوص وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأنه بعث إلى الناس كافة ، مع وجوب طاعته فيما أمر ونهى ، وتعزيره وتوقيره ونصرته واتباع النور الذي أنزل معه قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَٰةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥ أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿۞ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴿٤٠﴾﴾[5] ، يقول الأسمر : ((ويجب عليكم أن تعتقدوا في حق رسول الله ﷺ ـ أنه لا يفضل عليه نبي ولا رسول ولا ملك ولا ولي ولا عالم ولا جن ولا إنس ولا غير ذلك بل هو أفضل

---

(1) ـ سورة ، النحل ، آية : 36.
(2) ـ سورة ، المائدة ، آية : 50.
(3) ـ سورة ، النساء ، آية : 149.
(4) ـ سورة ، الأعراف ، آية : 157.
(5) ـ سورة ، الأحزاب ، آية : 40.

من كل ما خلق الله ﷻ وكيف يفضل عليه ولولاه ﷺ ما أوجد شيئا من جميع الموجودات والمخلوقات))[1]

هذا أهم ما تضمنه الإيمان بالرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ على وجه العموم ، وقد عد الأسمر الإيمان بالرسل من أركان الإيمان التي لا يتحقق إيمان العبد إلا بها وعدد الصفات التي تجب لهم والتي يستدل بها على صدقهم ـ عليهم الصلاة والسلام .

المطلب الرابع : الإيمان باليوم الآخر :

الإيمان باليوم الآخر أصل من أصول الإيمان التي لا يصح إيمان العبد إلا بها ، كما دلت على ذلك النصوص من الكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِّ وَلَكِنَ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱءَلاْخِرِ وَالْمَلَئِكَةِ وَالْكِتَـبِ وَالنَّبِيِّـۧـِينَ ﴿١٧٦﴾﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابُونَ وَالنَّصَـٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِوَالْيَوْمِ ٱءَلاْخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱءَلاْخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً ﴿٣٩﴾﴾[4] ، وقال ـ ﷺ ـ في حديث جبريل المشهور : قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: ((أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)) قَالَ: صَدَقْتَ[5]

ويجب الإيمان باليوم الآخر جملة وتفصيلا ، بكل ما ورد في الكتاب والسنة من التفصيلات المتعلقة باليوم الآخر ، من حياة البرزخ ، وسؤال الملكين والنفخ في الصور ، والبعث ، والحشر ، والميزان ، والحوض ، والصراط ، والجنة والنار ، والشفاعة ، ورؤية المؤمنين لربهم في الجنة .

---

(1) ـ الأسمر ، الوصية الكبرى ، ص 9 .
(2) ـ سورة ، البقرة ، آية : 176.
(3) ـ سورة ، المائدة ، آية : 71.
(4) ـ سورة ، النساء ، آية : 39.
(5) ـ النسائي ، المجتبى من السنن ، السنن الصغرى للنسائي ، تح: عبد الفتاح أبو غدة ، ن : مكتب مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، الطبعة: الثانية، 1406 – 1986 ، رقم الحديث 4990 ، ج 8 ، ص 97.

وقد أجمل الأسمر القول في هذه المسائل ، وذكرها في معرض ذكره للأقسام الإيمان ، فقال : ((وأقسام الإيمان سبعة وهي : إيمان بالله ، وإيمان لله ، وإيمان بالعبودية ، وإيمان بالخصوصية ، وإيمان بالقبضتين ، وإيمان بالقدر ، وإيمان بالناسخ والمنسوخ ، فالإيمان بالله أن تؤمنوا بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالموت ، والقبر وعذابه وضمته والمسألة فيه ، ودخول منكر ونكير فيه ، والصراط ، والميزان ، والعرض على الله ﷻ ، والحوض والشفاعة ، والجنة والنار ، وأن الله يرى يوم القيامة ، وأن أقواما من الموحدين يخرجون من النار بعد أن امتحنوا فيها ويدخلون الجنة برحمة الله تعالى ، وشفاعة محمد ـ ﷺ ـ))[1] وهذه الأصول محل إجماع بين الفرق الإسلامية.

المطلب الخامس: الإيمان بالقضاء والقدر :

الإيمان بالقضاء والقدر من أصول الإيمان الستة التي لا يتم الإيمان إلا بها ، وهو يتضمن اعتراف العبد بأنه ملك لله تعالى ، الأدلة على هذا الأصل كثيرة منها قوله تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً ﴿٣٨﴾﴾[3] ، والدليل من السنة حديث جبريل آنف الذكر ، والإيمان بالقضاء ، والقدر هو نظام التوحيد ، فمتى اختل هذا الأصل العظيم ، اختل التوحيد ، قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ : ((الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ نِظَامُ التَّوْحِيدِ فَمَنْ آمَنَ وَكَذَّبَ بِالْقَدَرِ فَهُوَ نَقْضٌ لِلتَّوْحِيدِ))[4]

وحين يوضح الأسمر أركان الإيمان إجمالا ، فهو بذلك يدعو إلى التحقق بها اعتقادا وقولا وعملا ، ثم بعد ذلك يدعو إلى التمسك بعقيدة أهل والسنة والجماعة والمحافظة عليها من التيارات الدخيلة .

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمدينة غريان ، ص 189 .
(2) ـ سورة ، القمر ، آية : 49.
(3) ـ سورة ، الأحزاب ، آية : 38.
(4) ـ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، السنة ، تح : د. محمد سعيد سالم القحطاني ، ن: دار ابن القيم – الدمام ، ط 1 ، 1406 ، رقم الحديث 925 ، ج2 ، ص 422 .

المبحث الخامس : منهج الأسمر في تقرير أصول الشرك :

المطلب الأول : تعريف الشرك لغة واصطلاحا :

أولا : تعريف الشرك لغة : قال بن منظور في لسان العرب عن تعريف الشرك : الشِركة والشَركة سواء : مخالطة الشَريكين ، يقال : اشتركنا بمعنى تشاركنا ، وقد اشترك الرجلان وتشاركا وشارك أحدهما الآخر ... وفي حديث معاذ : أنه أجاز بين أهل اليمن الشِرك " أي الاشتراك في الأرض ، وهو أن يدفعها صاحبها إلى آخر بالنصف أو الثلث أو نحو ذلك ... وطريق مشترك : يستوي فيه الناس ، واسم مشترك : تشترك فيه معان كثيرة كالعين ونحوها فإنه يجمع معاني كثيرة[1]

وقال الراغب الاصفهاني في تعريف الشرك لغة : ((الشِركة والمشاركة خلط الملكين ، وقيل هو أن يوجد شيء لاثنين فصاعدا ، عينا كان ذلك الشيء أو معنى ، كمشاركة الإنسان والفرس في الحيوانية ... وروي أن الله تعالى قال لنبيه ـ صلى الله عيه وسلم ـ " إني شرَفتك وفضَلتك على جميع خلقي وأشركتك في أمري" ، أي جعلتك بحيث تذكر معي ، وأمرت بطاعتك مع طاعتي))[2] ، في نحو قوله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾[3]

وقال الجوهري : الشَركة : ((حبالة الصَائد ، وتأتي بمعنى معظم الطريق ووسطه وتجمع على ، شرك))[4]

يقول الميلي[5] : ((ومرجع مادة الشِرك إلى الضم والخلط بين شيء وآخر ، أو بين أشياء ، فإذا كان بمعنى الحصة من الشيء ، يكون لواحد وباقيه لآخر أو آخرين ، فالشَريك مخالط لشريكه ، وحصَته منضمَة لنصيب الآخر ، وإذا كان بمعنى الحبالة

---

(1) ـ انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج 10 ، ص 448 ـ 449 مصدر سابق .
(2) ـ الراغب ، المفردات ، ص 291.
(3) ـ سورة ، محمد ، آية : 34.
(4) ـ الجوهري ، الصحاح ، ج4 ، ص 374 مصدر سابق.
(5) ـ علي بن محمد الميلي الجمالي المغربي المالكي: فاضل. نسبته إلى " ميلة " بقرب قسنطينة ، سكن مصر، وتوفي بها سنة (1248 هـ) ، انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج 5 ، ص 17 .

فإن ما يقع فيها من الحيوان ، يختلط بها وينضم إلى ملك الصَائد ، وإذا كان بمعنى معظم الطريق فإن أقدام الماشين تختلط آثارها هنالك))[1]

ثانيا : تعريف الشرك اصطلاحا :

لقد اختلفت عبارات العلماء في بيان معنى الشرك ، فبعد استقرائي لعدد من مصادر العقيدة ، وبحثي عن مفهوم الشرك شرعا ، لا حظ الباحث أنها تركز غالبا على ذكر أقسام الشرك ، وتعريفه بالتمثيل أكثر من ذكر تعريف له قيوده وحدوده[2] ، وفي ما يلي بعض أقوالهم :

قال ابن عاشور : في بيان معنى الشرك اصطلاحا : ((هو إشراك غير الله مع الله في اعتقاد الألهية وفي العبادة))[3]

وقال الميلي المالكي : كما لا تقتضي الشركة لغة تساوي الشركاء في الحصص ، لا يقتضي الشرك شرعا مساواة الشريك لله في جميع صفاته أو في صفة منها بل يسمى المرء مشركا عند الشارع بإثباته شريكا لله ولو جعله دونه في القدرة والعلم مثلا ، فأما حكايته تعالى عن المشركين في قوله : ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾[4] ، فالتسوية في قولهم تسوية في الطاعة والانقياد لا في القدرة على الخلق والايجاد ، فهي كآية سورة البقرة ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[5]

إن الله تعالى لا يقبل أن يشرك به الأبرار ولا الفجار ولا الأشجار ، ولا الأحجار ، ولا يرضى شركة عظيم في القدرة والمنزلة ، كمن أنعم عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين ، ولا شركة عظيم في الخلق والحجم ، كالشمس والقمر وسائر الكواكب ، فقد رد القرآن كل شرك كيفما كان اعتباره من القوة والضعف ، فقال تعالى : ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ

---

(1) - مبارك محمد الميلي ، تهذيب رسالة الشرك ومظاهره ، تهذيب : سعد بن عبد الرحمن الحصين ، ن: دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، بدون طبعة ، ص 33 وما بعدها .
(2) - انظر : الذهبي ، الكبائر ، ص 8 ، وانظر : ابن القيم ، مدارج السالكين ، ج1 ص 339 .
(3) - التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، ج8 ، ص 332 .
(4) - سورة ، الشعراء ، آية : 97 - 98.
(5) - سورة ، البقرة ، آية : 164.

عَبْداً ﴿٩٣﴾﴾[1] ، وقال أيضا : ﴿وَلاَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَالنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٨﴾﴾[3] ، فهذا بياننا للشرك الشرعي ، وإن كان فيه طول فإنا نقصد فيما نبسط إفهام العامة وإفحام المعاندين[4]

وقال الشيخ عبد الغني الدهلوي[5] ـ رحمه الله ـ في بيان معنى الشرك : ((اعلم أن الشرك لا يتوقف على أن يعدل الإنسان أحدا بالله ويساوي بينهما بلا فرق ، بل إن حقيقة الشرك : أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال خصها الله تعالى بذاته العلية وجعلها شعارا للعبودية ، لأحد من الناس ؛ كالسجود لأحد ، والذبح باسمه والنذر له ، والاستعانة به في الشدة والاعتقاد أنه ناظر في كل مكان واثبات التصرف له ، كل ذلك يثبت به الشرك ويصبح به الإنسان مشركا))[6]

قوله : " كالسجود لأحد " هو مقيد بأن يصاحب ذلك السجود اعتقاد التعظيم والعبادة

وقيل الشرك : هو صرف شيء مما يختص به الله لمخلوق ، وهو قسمان :

---

(1) ـ سورة ، مريم ، آية : 93.
(2) ـ سورة ، آل عمران ، آية : 79.
(3) ـ سورة ، المائدة ، آية : 118.
(4) ـ انظر : محمد بن عبد الرحمن الخميس ، بيان الشرك ووسائل عند علماء المالكية ، ن : دار الوطن للنشر ، بدون طبعة ، ص 7 ، وانظر: رسالة الشرك وشرحها للميلي ، ص 64 ـ 65 مصدر سابق .
(5) ـ محمد بن إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي: عالم بالكلام والحديث، هندي ، توفي سنة (1247هـ (1247هـ) ، انظر : الأعلام ، ج 6 ، ص 38 .
(6) ـ الدهلوي ، رسالة التوحيد ، المسمى تقوية الإيمان ، نقلها للعربية وقدم لها الداعية الحكيم المربي الجليل العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي ، اعتنى بها سيد عبد الماجد الغوري ، ن : دار وحي القلم ، ط 1 ، 2003 م ، ص 54 .

1 ـ الشرك الأكبر : وهو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله وهذا النوع لا يغفره الله ويحبط جميع الأعمال ويخلد صاحبه في النار ويخرج من الملة[1] ، وهو الذي يسميه العلماء بالشرك الجلي

2 ـ الشرك الأصغر : وهو ما ورد من الذنوب والمعاصي تسميته شركا ، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر وصاحبه تحت المشيئة ، وهو يحبط العمل الذي يصاحبه ، ولا يخلد صاحبه في النار ولا يخرج من الملة[2] ، وهو الذي يسميه العلماء بالشرك الخفي مثل الرياء

فهذه بعض أقوال العلماء في تصوير حقيقة الشرك ، بعض منها جامع وليس بمانع ، وبعضها ناقص ، وبعضها يكون بوصفه تمثيلا على بعض ما وقع فيه الناس من أفراد الشرك في العبادة أو الاعتقاد

المطلب الثاني : مفهوم الشرك في رسائل الأسمر :

من خلال اطلاعي على رسائل الأسمر لم أقف على تعريف دقيق ومستقل لحقيقة الشرك عموما ولكن يمكن أن نعرف الشرك كما فهمناه من عبارة الأسمر في رسائله : ((بأنه اثبات الشريك مع الله ﷻ))[3] ، قلت : يفهم من قوله هذا أن من اعتقد أن هناك موجود مع الله تعالى يستحق العبادة أو أن يوصف بأوصافه جل وعلا ، أو أن وجوده يشبه وجود الله تعالى فهو مشرك .

وهكذا نجد كل عبارات الأسمر في رسائله تدعو إلى التوحيد والإخلاص والبعد عن الرياء ، فإذا كان هذا شأنه في الشرك الأصغر فما بالك بالشرك الأكبر ، وبخاصة أن الصوفية هم أكثر دعاة للتوحيد فكل عباراتهم قطب الرحى فيها هو التوحيد .

المطلب الثالث : أنواع الشرك في رسائل الأسمر :

يقول الأسمر وأنواع الشرك ستة :

1 ـ شرك الاستقلال : وهو اثبات إلهين مستقلين ، كشرك المجوس

2 ـ شرك التبعيض : وهو تركيب الإله من آلهه كشرك النصارى

3 ـ شرك التقريب : وهو عبادة غير الله تعالى ليقربوا إلى الله زلفى كشرك متقدمي الجاهلية

4 ـ شرك التقليد : وهو عبادة غير الله تعالى تبعا للغير كشرك متأخري الجاهلية

---

(1) ـ انظر : تنبيه الغافلين إلى أهم أمور الدين ، مصدر الكتاب الشاملة ، ج 1 ، ص 30 .
(2) ـ تنبيه الغافلين إلى أهم أمور الدين ، مصدر الكتاب الشاملة ، ج 1 ، ص 30 .
(3) ـ الأسمر ، رسالة إلى راشد بن يحي المحجوبي المقرحي ص 142 .

5 ـ شرك الأسباب : وهو اسناد التأثير للأسباب العادية كشرك الفلاسفة والطبائعيين ومن تبعهم[1]

6 ـ شرك الأعراض : وهو العمل لغير الله تعالى ، وحكم الأربعة الأولى الكفر بالإجماع ، وحكم السادس المعصية من غير كفر بإجماع ، وحكم الخامس التفصيل فمن قال في الأسباب العادية أنها تؤثر بطبعها فقد حكي الإجماع على كفره ، ومن قال إنها تؤثر بقوة أودعها الله فيها فهو فاسق مبتدع وفي كفره قولان[2]

المطلب الرابع : أصول الكفر عند الأسمر سبعة :

الأصل في الكفر هو تكذيب الرسول ـ ﷺ ـ فيما جاء به من عند ربه ، والإيمان عكسه[3] ، ولا يخرج المسلم من دائرة الإيمان حتى يعتقد أصلا من الأصول التي ذكرها الأسمر وهي :

1 ـ الإيجاب الذاتي : وهو إسناد الكائنات إلى الله تعالى على سبيل التعليل أو الطبع من غير اختيار[4] ، قلت : لأن القول بالإيجاب الذاتي يلزم عليه قدم العلة والطبع، وفي ذلك اثبات لتعدد القدماء وهو محال ، ثم إن هذا القول هو أصل من أصول الفلاسفة والطباعين[5]

2 ـ التحسين العقلي : وهو كون أفعال الله وأحكامه موقوفة عقلا على الأغراض وهو جلب المصالح ودرء المفاسد ، قلت : وهو أصل من أصول المعتزلة القائلين بأنه يجب على الله تعالى أن يختار لعباده الأصلح لهم ، ويرون أن أفعاله تعالى موقوفة عقلا على الأغراض

---

(1) ـ لمزيد من البيان ، انظر : كتاب الشرك في القديم والحديث ، لأبي بكر محمد زكرياء ، ن : مكتبة الرشد ، الرياض ، ج 1 ، ص 133 ـ 134 وما بعدها .

(2) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى راشد بن يحيى المحجوبي المقرحي ، ص 142.

(3) ـ انظر : الغزالي ، فيصل التفرقة بين الإيمان والزندقة ، مجموع رسائل الغزالي ، ص 271 .

(4) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى راشد بن يحيى المحجوبي المقرحي ، ص 142.

(5) ـ انظر : محمد الدسوقي ، حاشية الدسوقي ، على شرح أم البراهين ، لمؤلفها ، محمد السنوسي ، ن : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ص 139 ، وقد عد الإمام السنوسي أصول الكفر ستة فقط.

3 ـ التقليد الردي : وهو متابعة الغير لمجرد الحمية والتعصب من غير طلب للحق ، قلت : والدليل على هذا الأصل قوله تعالى : ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[1]

لذلك رد عليهم الله تعالى بقوله : ﴿۞ قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[2]

4 ـ الربط العادي : وهو ثبوت التلازم بين أمر و أمر وجودا وعدما بواسطة التكرر ، ومعنى هذا الكلام أنه ليس هناك تلازم بين الاسباب العادية ومسبباتها ، فمن اعتقد أن هناك ارتباطا وتلازما بين النار والاحراق ، لا يمكن أن يتخلف هذا الإرتباط فقد اعتقد أصلا من أصول الكفر .

5 ـ الجهل المركب : وهو أن يجهل الحق ويجهل جهله به ، ومعنى هذا الأصل بين في التصور .

6 ـ التمسك في أصول عقائد الإيمان بمجرد ظاهر الكتاب والسنة من غير تفصيل بين ما يستحيل ظاهره منها وما لا يستحيل[3] .

يقول الأمام الدسوقي[4]، والتمسك في أصول العقائد بمجرد ظاهر الكتاب والسنة من غير بصيرة في العقل وهو أصل ضلالة الحشوية، فقالوا بالتشبيه والتجسيم والجهة عملا بظاهر قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[5]، وقوله تعالى : ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ

---

(1) ـ سورة ، الزخرف ، آية : 21.
(2) ـ سورة ، الزخرف ، آية : 23.
(3) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى راشد بن يحيى المحجوبي المقرحي ، ص 142.
(4) ـ محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي: من علماء العربية والفقه ، من أهل دسوق (بمصر) تعلم وأقام وتوفي بالقاهرة. وكان من المدرسين في الأزهر. له كتب، منها (الحدود الفقهية - ط) في فقه الإمام مالك، و (حاشية على مغني اللبيب - ط) مجلدان، و (حاشية على السعد التفتازاني - ط) مجلدان، و (حاشية على الشرح الكبير على مختصر خليل - ط) فقه، و (حاشية على شرح السنوسي لمقدمته أم البراهين ، توفي سنة (1230 هـ) ، انظر : الأعلام ، ج 6 ، ص 18.
(5) ـ سورة ، طه ، آية : 4.

﴿١٧﴾[1] ، وقوله أيضا : ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾[2]

ونحو ذلك[3] ، قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾﴾[4]

قال أحمد الرفاعي : ((وصونوا عقائدكم من التمسك بظاهر ما تشابه من الكتاب والسنة ، لأن ذلك من أصول الكفر))[5]

ولكي نفهم ما قاله الأسمر هنا أذكر بعض التطبيقات له لفهم المراد منه : قال تعالى : ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾[6] ، وقال تعالى أيضا : ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾[7] ، فظاهر المعنى من الآيتين أن من صفات الله تعالى النسيان ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

---

(1) ـ سورة ، الملك ، آية : 17.
(2) ـ سورة ، ص ، آية : 74.
(3) ـ حاشية الدسوقي على أم البراهين للسنوسي ، ص 219.
(4) ـ سورة ، آل عمران ، آية : 7
(5) ـ أحمد بن علي بن ثابت الحسيني الرفاعي ، البرهان المؤيد ، تح : عبد الغني نكهي ، ن : دار الكتاب النفيس ، بيروت ، ص 15 .
(6) ـ سورة ، الأعراف ، آية : 50.
(7) ـ سورة ، السجدة ، آية : 14.

فهل على المؤمن أن يثبت صفة النسيان لله تعالى ، أو يجب عليه تأويل هذه النصوص عن ظاهر معناها ، هذا ونحوه هو الذي يعنيه أهل السنة من قولهم أن في الشريعة نصوصا من اعتقدها على ظاهرها فقد كفر[1]

ومثال ذلك من السنة ما رواه الإمام مسلم في صحيحه ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِى. قَالَ يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِى فُلاَنًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِى عِنْدَهُ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِى. قَالَ يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِى فُلاَنٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِى يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِى. قَالَ يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ اسْتَسْقَاكَ عَبْدِى فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِى »[2] ، فهل من صفات الله تعالى المرض ؟ !! وهل يمرض مرضا يليق بجلاله ؟ !! كما يقول مجسمة العصر ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فهذا النص عند جمهور أهل السنة من الأشاعرة وغيرهم مصروف عن ظاهره المتبادر من اللفظ ، ويجب فهم الحديث بسياقه وتتمته.

ومن الغريب تعليق ابن تيمية[3] ـ رحمه الله ـ على هذا الحديث إذ يقول : ((وهذا صريح في أن الله ﷻ لم يمرض ولم يجع ، ولكن مرض عبده وجاع عبده ، فجعل جوعه جوعه ومرضه مرضه ، مفسرا ذلك بأنك لو أطعمته لوجدت أجر ذلك عندي ، ولو عدته لو جدتني عنده ، فلم يبق في الحديث تأويل))[4] ، فقد نفى ابن تيمية ـ رحمه الله ـ المرض عن الله تبارك وتعالى ، وفسر الحديث على الوجه الصحيح ، لكنه سمى ذلك تفسيرا ، وأبى تسميته تأويلا ، وكأن نقطة الخلاف بينه وبين غيره من العلماء هي التسمية فقط !!

ويقول لك الأشاعرة سمه ما شئت ، ولكن تفسيرك لكلمة " مرضت " بقولك : " لم يمرض ولكن مرض عبده " هو صرف المعنى المفهوم عن ظاهر لفظه " مرضت

---

(1) ـ السنوسي ، شرح المقدمات ، تح : نزار حمادي ، ن : مكتبة المعارف ، ص 45 وما بعدها .
(2) ـ مسلم ، صحيح مسلم ، باب : فضل زيارة المريض ، رقم الحديث 6721 ، ج 16، ص 437
(3) ـ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقيّ الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية توفي سنة (728 هـ) ، انظر : الأعلام ، ج 1، ص 144.
(4) ـ ابن تيمية ، الرسالة التدمرية ، تح: د. محمد بن عودة السعوي ، ن : مكتبة العبيكان – الرياض الرياض ، ط 1 ، 1421هـ ، 2000م ، ص 48 .

" وحيث أن صرف اللفظ عن المعنى المفهوم من ظاهره إلى معنى آخر لم يكن بالهوى وإنما لدليل دل عليه ، فهذا هو الذي نطلق عليه اسم التأويل[1]

فما أضيف لله تعالى في هذا الحديث وغيره من النصوص المتشابه هو محال على الله تعالى ، والأخذ بظواهر هذه النصوص كفر وإلحاد ، أو بدعة وضلالة ، ومثل هذا من النصوص المتشابه كثير في الكتاب والسنة .

7 ـ الجهل بالقواطع العقلية التي هي العلم بوجوب الواجبات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات ، قلت : مراده في حقة ﷻ ، والجهل كذلك باللسان العربي الذي هو علم اللغة والإعراب والبيان[2] ، قلت : لأن الجهل باللسان العربي يفضي إلى تنزيل بعض معاني الالفاظ الظاهرة على الخالق ، و أهل اللغة إنما وضعو معان هذه الالفاظ على الحوادث فقط .

---

(1) ـ انظر : الشيخ صلاح الدين الإدلبي ، عقائد الأشاعرة ، مصدر الكتاب : الشاملة ، ج 1 ، ص 85 ، وما بعده ، وانظر أيضا : منهج الأشاعرة في العقيدة بين الحقيقة والاوهام ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 60 .

(2) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى راشد بن يحيى المحجوبي المقرحي ، ص 143.

ثانيا : التصوف ((مقام الإحسان))

تمهيد :

لقد أدرك الأسمر قيمة التصوف ، فأخذ على عاتقه مهمة بيانه للناس ، وتوظيفه في خدمة الدعوة ، بل لقد سعى سعيا حثيثا نحو غرس علامات مضيئة في طريق التصوف ولم يكن مسعاه هذا ليخلو من الصعوبات والعقبات ، كما لم يكن بمنأى عن أن تصوب ضده وحوله سهام خصومه وأعدائه ، الذين رغبوا عن طريق التصوف الذي حمل لواءه ، لكنها لم تغير من صموده وعزيمته القوية في إنارة طريق السالكين ، وإرساء معالم هذا الطريق واضحة جلية للمريدين ، ولكل سالك لطريق التصوف ، وقد ساعده على هذا كله تسلحه بمنهج واضح مستقيم ، تجلت ملامحه في مصنفاته ، وخاصة في كتابيه : الأنوار القدسية ، ورسائله إلى مريديه[1] ، لأن دعوته رحمه الله كانت فيما أدرك فيه خلل .

المبحث الأول : أهمية التصوف ودوره في الدعوة

المطلب الأول : أهمية التصوف :

إن التكاليف الشرعية التي أمر الله بها الإنسان ترجع إلى قسمين : أحكام تتعلق بالأعمال الظاهرة ، وأحكام تتعلق بالأعمال الباطنة .

والأعمال الجسمية نوعان : أوامر ونواهي ، فالأوامر الإلهية : هي الصلاة والصوم والحج ... والنواهي : كالقتل والزنى والسرقة وغيرها .

أما الأعمال القلبية فهي أيضا أوامر ونواه ، أما الأوامر : كالإيمان بالله وملائكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والإخلاص والصدق والخشوع والتوكل ...

أما النواهي : فكالكفر والكبر والنفاق والعجب والحسد والرياء وحب الظهور والغرور[2] ... ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يوجه اهتمام الصحابة لإصلاح قلوبهم، وكان يبين لهم أن صلاح الإنسان متوقف على إصلاح قلبه وشفائه من الأمراض الخفية الموجودة في باطنه وهو الذي يقول : ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ))[3] ،

---

(1) ـ انظر : المنهج الصوفي عند عبد السلام الأسمر، مجلة الجامعة الأسمرية، العدد 11، ص 196.

(2) ـ انظر : عبد القادر عيسى ، حقائق عن التصوف ،ن : دار المقطم ، ط5 ، ص32 .

(3) ـ صحيح البخاري ، باب فضل من استبرأ لدينه ، رقم الحديث 52 ، ج1 ، ص 20 .

ويعلمهم أن محل نظر الله تعالى إلى عباده إنما هو القلب[1] ، فيقول : ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، التَّقْوَى هَا هُنَا))[2] وَأَشَارَ إِلَى صَدْرِهِ.

فما دام صلاح الإنسان مربوطا بصلاح قلبه الذي هو مصدر أعماله الظاهرة تعين عليه العمل على إصلاحه بتخليصه من الأدران وتحليته بالكمال الأخلاقي وعندئذ يكون القلب سليما صحيحا ويكون صاحبه من الفائزين ، الذين قال الله عنهم : ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ ۝٨٨ إِلاَّ مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾[3] ، فتنقية القلب وتهذيب النفس من أهم الفرائض العينية بدليل قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۝٣٣﴾[4] ، وقوله أيضا : ﴿۞ وَلاَ تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾[5] ، والفواحش الباطنة كما قال بعض المفسرين هي : أمراض القلوب[6] ، مثل : الحقد والحسد والرياء[7] ...

ومن السنة كل الأحاديث التي وردت في النهي عن الحقد والكبر والرياء والحسد، وكذلك الأحاديث الآمرة بالتحلي بالأخلاق الحسنة والمعاملة الطيبة ففي الحديث : ((الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ))[8] ، فكمال الإيمان بكمال هذه الأخلاق ونقصه بنقصها ،

---

(1) ـ انظر : حسين علي عكاش ، بحوث ودراسات في التصوف الإسلامي ، ن : دار الأهرام ، ط 1، ص47 .
(2) ـ صحيح مسلم ، رقم الحديث 6707 ، ج 20 ، ص420 .
(3) ـ سورة ، الشعراء ، آية : 89.
(4) ـ سورة الأعراف آية 31.
(5) ـ سورة ، الأنعام ، آية : 152.
(6) ـ انظر : ابن عجيبة ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان ، ن : الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة ، ط : 1419 هـ ، ص 177.
(7) ـ انظر : عبد القادر عيسى ، حقائق عن التصوف ،ن : دار المقطم ، ط5 ، ص33 ، مصدر سابق.
(8) ـ أحمد بن حنبل ، السنة ، تح : محمد سعيد سالم القحطاني ، ن : دار ابن القيم – الدمام ، ط1 ، 1406، كتاب الإيمان ، باب الرد على المرجئة ، رقم الحديث 684 ، ج 1 ، ص 331 .

وعلى هذا فسلامة الإنسان في آخرته هي في سلامة قلبه، ونجاته في تنقيته من أمراضه المذكورة .

وقد تخفى على الإنسان بعض عيوب نفسه، فيعتقد في نفسه الكمال وهو أبعد ما يكون عنه ، فما السبيل إلى اكتشاف أمراضه، والتعرف على دقائق علل قلبه ؟ وما الطريق العملي إلى معالجة هذه الأمراض، والتخلص منها ؟

للإجابة على هذه التساؤلات وغيرها يرى الأسمر أن التصوف هو العلم الذي اختص بمعالجة الأمراض القلبيه ، وتزكية النفس والتخلص من صفاتها الذميمة .

من هنا تظهر أهمية التصوف وفائدته ، ويتجلى لنا أنه روح الإسلام ، و أنه مقام الإحسان ، لهذا يرى الأسمر كغيره من العلماء المرشدين أن الوصول إلى درجة الكمال الإيماني والسمو الروحي لا تكون إلا بسلوك طريق القوم وعلى يد شيخ قد حاز علوم الشريعة والحقيقة معا ، كي يصل به إلى تذوق معاني الإيمان القلبي[1] .

المطلب الثاني : مكانة التصوف في الشريعة الإسلامية :

التصوف روح الدين الإسلامي وجوهره ، وهو الجانب الروحي والتطبيقي للإسلام ، وليس شيئا من المبتدعات المستحدثة أو الأفكار الوافدة على الدين ، فما التصوف إلا رحلة وطريقٌ وسلوكٌ إلى رب العالمين ، يقطع فيها المسلم الطريق إلى ربه مسترشدا بأهل الخير والصلاح والعلم من العلماء والمربين ، متخذا من الأعمال القلبية والبدنية سلما ومعراجا لربه ، متمسكا بالشريعة وحدودها وأصولها وفروعها في ذلك ، متابعا فيه لرسول الله ـ ﷺ ـ محاولا الوصول لمقامات التوحيد والإيمان والإحسان ، وإفراد الله سبحانه بالقصد وتحقيق مقام العبودية له ، ومن خرج عن حدود الشريعة ولم يلتزم بالسنة المطهرة فهو من الأدعياء الكذابين الذين يجب الابتعاد عنهم والتحذير منهم ومن دجلهم وافترائهم على المنهج الرباني النقي[2] ، ومن ذلك يقول الجنيد عن التصوف بأنه : (تصفية القلب عن موافقة البرية ، ومفارقة الأخلاق الدنية ، وإخماد الصفات البشرية ، ومجانبة الدعاوى النفسانية ، ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بالعلوم الحقيقية ، واستعمال ما هو أولى على الأبدية ، والنصح

---

(1) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس الاقصى ، ص 295 وما بعدها.

(2) ـ انظر : الأزهري ، أشرف سعد الأزهري ومجموعة من الباحثين ، موسوعة تصحيح المفاهيم المفاهيم والأفكار في قضايا حارت فيها الأمة وفقا لمنهج أهل السنة والجماعة ، ن : دار الفلك ، القاهرة ، ج 1 ، ص44.

لجميع الأمة ، والوفاء لله على الحقيقة ، واتباع الرسول ـ ﷺ في الشريعة)[1] ، وقد نبه لهذا الأمر حجة الإسلام أبو حامد الغزالي فقال متحدثا عن السالك الصادق : (أن تكون جميع أفعاله موزونة بميزان الشرع ، موقوفة على توقيفاته إيرادا وإصدارا وإقدامًا وإحجامًا ، إذ لا يمكن سلوك هذا السبيل إلا بعد التلبس بمكارم الشريعة كلها ، ولا يتوصل إلى ذلك إلا إذا ترك جملة من المباحات ، فكيف يتأتى لمن لم يهجر المحظورات ؟! ولا يتوصل إليه ما لم يواظب على جملة من النوافل ، فكيف يصل إليه من أهمل الفرائض ؟)[2] ، فالصوفي الصادق هو المستجيب لله ولرسوله في الحدود والأوامر والنواهي وحلال الشرع وحرامه ، ثم بعد ذلك يجعل من الشريعة الإسلامية مركبا له في بحر الحقيقة الإلهية حتى لا يغرق ، فكل من ادعى أنه مستغن عن حدود الشرع وضوابطه لاهتمامه بالحقيقة الإلهية فهو كاذب مدع ، فإن سيد أهل الحقائق هو رسول الله ـ ﷺ ـ وهو صاحب الشريعة وقد كان ـ ﷺ ـ أشد الناس في أمر الحلال والحرام وأوامر الله ونواهيه ، فالتصوف يحتم على كل من ينتمي إليه أن يتعلم من الشريعة ما هو فرض عين عليه من العبادات والمعاملات ، ثم يسعى لا كتساب الصدق والإخلاص وتنقية القلب والمجاهدة في العبادة وكثرة الذكر ، حتى لا يقع في محظور أو بدع تخالف ما جاء به القرآن الكريم والسنة المطهرة ، يقول الإمام الشاطبي[3] : (ما جاء في ذم البدع وأهلها عن الصوفية المشهورين عند الناس : وإنما خصصنا هذا الموضع بالذكر وإن كان فيما تقدم عن النقل كفاية ، لأن كثيرا من الجهال يعتقدون فيهم أنهم متساهلون في الاتباع ، وأن اختراع العبادات والتزام ما لم يأت في الشرع التزامه مما يقولون به ويعملون عليه ، وحاشاهم من ذلك أن يعتقدوه أو يقولوا به ، فأول شيء بنوا عليه طريقتهم اتباع السنة واجتناب ما خالفها)[4] ، وأكد ذلك الإمام السيوطي حيث قال : (إن التصوف في نفسه علم شريف مداره على اتباع السنة وترك البدع ، والتبري من النفس وعوائدها وحظوظها وأغراضها

---

(1) ـ الكلاباذي ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، ن : دار الكتب العلمية - بيروت ، سنة 1400هـ ، ص 18 .

(2) ـ الغزالي ، حجة الإسلام ، ميزان العمل ، تح : سليمان دنيا ، ن : دار المعارف ، مصر ، ط 1 ، ص 399 .

(3) ـ هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: أصولي حافظ. من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية ، انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج1 ، ص75 .

(4) ـ الشاطبي ، الاعتصام ، تح : محمد بن عبد الرحمن الشقير ، ن : دار ابن الجوزي ، السعودية ، ط 1 ، 2008م ، ج 1 ، ص 89 .

ومراداتها واختياراتها ، والتسليم لله والرضا به وبقضائه وطلب محبته واحتقار ما سواه)[1]

المطلب الثالث : دور التصوف في الدعوة إلى الله

لقد قدم الصوفية طوال التاريخ الإسلامي أمثلة حية نابضة بتعاليم الإسلام ، وكان أعلام الصوفية العظام خير قدوة للمجتمعات في كل العصور فاستضاء المسلمون بنورهم وتأسوا بهم ، وساروا على نهجهم ، ذلك لأنهم جسدوا تعاليم الإسلام في الواقع، كما أنهم كانوا على الدوام ورثة الأحوال لسيد المرسلين ـ ﷺ ـ ، واستطاع أعلام الصوفية في كل البلدان الإسلامية قيادة الجماهير المسلمة تحت راية المنهاج الصوفي الحكيم[2] ، والباحث يعتقد أن هناك ارتباطا وثيقا بين الدعوة والتصوف ، فبنظرة عابرة إلى تاريخ التصوف الإسلامي وفي سير أعلام التصوف الإسلامي نجد أن جلهم كان له باع في مجال الدعوة ، بل نجدهم هم الدعاة في عصورهم ، فمنهم من استخدم التصوف في الدعوة إلى الإسلام ،إلا القليل منهم فقد آثر الخمول والعزلة والانطواء عن الخلق محاسبة للنفس وتزكية لها فكان داعية بنتاج ذلك الخمول وهو ما جرى على لسانه من عبارات وإشارات أثرت تأثيرا بالغا في السالكين إلى الله ، ومن هنا قسم بعض العلماء كما تقدم الطرق الصوفية إلى طرق دعوية وأخرى غير دعوية ويقصدون بالدعوية تلك التي استخدمت التصوف في نشر الإسلام والدعوة إلى تعاليمه، وهذا مما ينبغي أن يسجل للسادة الصوفية من فضل في هذا الشأن بأنهم هم من حملوا لواء الدعوة إلى الإسلام بصدق وإخلاص ودافعوا عنه بكل وسيلة ، فأينما حلوا كانوا يشيدون الزوايا لنشر الدين والعلم والأخلاق ، ومن الحق والإنصاف أن يذكر فضلهم في الدفاع عن الإسلام ونشر علومه وآدابه وأخلاقه وإظهاره للناس في صفائه كما كان عليه الرسول ـ ﷺ ـ وصحابته الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ من الزهد والتواضع والعدل ونشر الخير بين الناس، فالصوفية قاموا بجهود عظيمة في نشر الإسلام والدعوة إليه من القرون الأولى إلى عصرنا الحديث ، فهم قادة الجهاد في الماضي ورواد الدعوة في الحاضر، ولهم شأن عظيم في الحفاظ على الهوية الإسلامية للأمة ومواجهة الاستعمار، وفضلا عن مواجهة الاستعمار فقد قام خلفاء

---

(1) ـ السيوطي ، تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية ، تح : عبد الله بن الصديق الغماري ، ن : دار الفاتح للتراث الإسلامي ، الفاهرة ، ط3 ، 1994 م ، ص 57 .

(2) ـ انظر : أحمد البدوي ، المنهج الصوفي في خدمة دين الله ، ملتقى التصوف الإسلامي ، ص 510.

الطريقة الشاذلية[1]، والتيجانية[2]، والسنوسية بنشر الإسلام في غرب افريقيا ووسطها وجنوبها، وكانت الطريقة القادرية أقوى الطرق حماسا في الدعوة إلى الإسلام في غرب افريقية إلى بنين التي تقع قرب مصب النيجر وهم ينشرون الإسلام بأساليب سليمة كالتجارة والتعليم ويرسلون النجباء من تلامذتهم على نفقة الزوايا إلى مدارس طرابلس والقيروان والأزهر وجامع القرويين بفاس ، فيتخرجون من هناك طلبة مجازين ويعودون إلى تلك البلاد من أجل مقاومة التبشير المسيحي في أفريقيا[3].

وجاء في كتابه المساجد من " سلسلة عالم الفكر " بعد أن دخل الإسلام المغرب انتشر انتشارا واسعا فأقبلت عليه جماهير الناس لا يعرف له مثيل فيما فتح المسلمون من أراضي وقد ظهر الايمان العميق في صدور أهله والسعي الحثيث لدراسة الإسلام والعلم به كما ظهر في هيئة جماعات من العباد والزهاد من المتصوفة الذين قاموا بنشر الطرق الصوفية في المغرب كله حتى إننا لا نبالغ إذ قلنا : لم يكن أحد في العصور الوسطى غير منتسب إلى طريقة ما كالشاذلية والتيجانية والسنوسية وكانوا لهم الأثر الواضح على مقومات المجتمع المغربي وبفضلها أصبح الإسلام محور الحياة المغربية كلها وأصبحت أخلاقه أساس المعاملات ثم اتسع نطاق هذه الطرق فامتد إلى خارج المغرب خلال الصحراء ووصلت إلى افريقية المدارية والاستوائية فكان لها الأثر في انتشار الإسلام فيها[4]

وانتشار الإسلام في افريقية جنوبي الصحراء إنما يرجع الشطر الأكبر من الفضل فيه إلى الطرق الصوفية خصوصا التيجانية والسنوسية والشاذلية ، فكانت الزوايا التي أسسها شيوخ هذه الطرق الصوفية بؤرات لنشر الدعوة الإسلامية بين الشعوب في غرب القارة الافريقية وقلبها ومرد هذا خصوصا إلى اختلاط الصوفية بالطبقات الشعبية في هذه البلاد بين العامة والفقراء مما أبدى لهؤلاء نماذج حية

---

(1) ـ الطريقة الشاذلية من أكثر الطرق الصوفية انتشارا وتفرعا اليوم وهي منسوبة إلى الإمام أبي الحسن الشاذلي ، انظر : عبد الحليم محمود ، أبو الحسن الشاذلي الصوفي المجاهد والعارف بالله ، ص 16.

(2) ـ طريقة تنسب لمؤسسها أبي العباس أحمد بن محمد بن المختار بن سالم التيجاني (1150م ، 1230هـ) واسم التيجاني بكسر التاء ، والتيجانية من فروع الطريقة الخلوتيه ، انظر : الموسوعة الصوفية ، ص 77.

(3) ـ انظر : عياد ، أحمد توفيق ، التصوف الإسلامي تاريخه ومدارسه وطبيعته وأثره ، ن : مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة 1970 م ، ص 271.

(4) ـ انظر : حسين مؤنس، المساجد، ن : سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للتقافة والفنون والأدب، الكويت ، يناير، 1978م، ص 195 ، 196 .

تتصف بالتقوى والصلاح إلى جانب ما تقوم به هذه الطرق من خدمات اجتماعية وألوان من البر والإحسان والمساواة والمؤخاة[1] .

فهؤلاء الدعاة فوق ما اتصفوا به من تهذيب النفس والورع والزهد والعبادة ، قد قاموا في عصورهم بالواجب عليهم ، من ارشاد الخلق إلى الحق ، والدعوة إليه وصدهم الناس عن التكالب على الدنيا وجمع حطامها من أي وجه كان ، والاسترسال في الشهوات والملذات مما يؤدي إلى الانهماك في المحرمات والغفلة عن الواجبات وما خلق الانسان له، وتكون نتيجة ذلك انتشار الفوضى وظهور الفساد، وكثرة البغي والهرج .

فكان هؤلاء بوعظهم وإرشادهم ، والحكم والحقائق التي تفجرت من ينابيع قلوبهم هم حراس الدعوة ، والآخذين بيد الأمة إلى مناهج الحق وسبل الرشاد، والدعاة إلى السعادة الحقيقية ، وهي قيام الانسان بجميع ما أمر به مع عدم نسيانه نصيبه من الدنيا، فكانوا في جملة السامعين في هذه الأمة والمجيبين لقوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[2]

فسلف الصوفية هم أعلام الملة وسادة الأمة وسراجها الوهاج ونورها الوضاء ، وبهم وبأمثالهم من المحدثين والفقهاء اهتدت الأمة إلى الصراط المستقيم ، وسلكت المنهاج القويم ، وانتظمت أحوال معاشهم ، وصلحت أمور معادهم ، وفازوا فوزا عظيما[3] ، وما أظن أن إنسانا مسلما صادقا يماري في صلاح هؤلاء الأئمة ، فهم أهل الصلاح ودعاة الإصلاح على الحقيقة والتحقيق ، وليسوا أدعياء الإصلاح الذين هم أنفسهم بحاجة إلى الإصلاح ، أولئك هم المصلحون الذين يقتدى بهم ، فما من مسلم في طول العالم وعرضه وفي قاراته الست ، إلا ويعرف قدرهم وفضلهم .

---

(1) ـ انظر : محمد فاضل علي باري ، وسعيد إبراهيم كريدية ، المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة ، ن : دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ط 1، 2007م، ص 29، وما بعدها بتصرف.

(2) ـ سورة ، آل عمران ، آية : 104.

(3) ـ انظر : أبو الأسعاد ، سعيد أو الأسعاد ، البيان الجازم .. أن التصوف لتزكية الانسان .. نهج لازم ، ن : الفتح للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 2 ، ص 82 ، 83 .

المطلب الرابع : التصوف وعلاقته بالدعوة عند الأسمر :

لقد أدرك الأسمر الخلل وحدد المرض الذي أصاب نفوس المدعوين في عصره ، فستعمل معهم الدواء الذي يقيم في نفوسهم التوازن بين الظاهر والباطن ، وأوصيك : بحضور القلب وخشوع الجوارح في جميع عباداتك ، فبذلك يحصل لك ثمارها وتفيض عليك أنوارها .... وأوصيك : بإصلاح القلب وافتقاره ، فإنه رئيس الجوارح وأميرها ، وعلى صلاحه وفساده يدور صلاحها وفسادها وهو محل المعرفة بالله التي هي رأس العلوم وأشرفها[1]

فاستخدم التصوف والتعاليم الصوفية في الدعوة للشريعة ، بل لقد ربط التصوف بالدعوة وجعله من أولى أولويات الداعية ، لأن التصوف يدعو إلى إصلاح القلب الذي هو محل نظر الله تعالى ، فبصلاحه صلاح الظاهر وبفساده فساده كما أخبر ـ ﷺ ـ : بذلك فقال : (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب)[2]

وهذا لا يعني أن الأسمر قد أهمل العقيدة والشريعة ، بل لقد تضمنت رسائله الدعوة إلى تصحيح العقيدة أولا ، ثم إلى الألتزام بتعاليم الشريعة لتكون دعوته شاملة إلى جميع جوانب الدين الثلاثة .

المطلب الخامس : حاجة المسلم إلى التصوف :

لو نظرنا حولنا لوجدنا أن بعضا من الناس في هذا الزمان بحكم البعد عن الشريعة والسلوك والأخلاق المحمدية المطهرة قد وصلوا إلى أدنى درجات الانحطاط الخلقي والفراغ الروحي والبعد عن الشريعة والعمل بها وفقدان الوازع الديني ، مع قساوة وخشونة وجفاء في القلوب والأخلاق ، ولا سبيل إلى معالجة هذه الأمراض ثم الترقي في الأخلاق بتطهير الباطن وتزكية النفس إلا بالتصوف فهو الذي يعالج أمراض القلب ، والقلب هو محل نظر الخالق فبصلاحه أو فساده يصلح الجسد أو يفسد قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب)[3]

---

(1) ـانظر : الأسمر ، رسالة إلى عبد الحميد العوسجي ، ص 153 .
(2) ـ سبق تخريجه .
(3) ـ سبق تخريجه.

فالتصوف هو علم التزكية والتربية والتصفية والتنقية والتحلية ، وهو يلبي حاجة المسلم وشوقه إلى ما يشبع روحه ويزكي نفسه ويهذب أخلاقه ، ويفتح الآفاق أمام عقله وفكره في ملكوت السموات والأرض وعظمة الخالق سبحانه ، فالأخذ بالمنهج الصوفي بوصفه منهجا تربويا وسلوكيا يعصم الأفراد والمجتمعات من الوقوع في أي مظهر من مظاهر الانحراف الفكري والعقدي والسلوكي والعملي في شتى نواحي الحياة ، فبفضل الله لا نجد صوفيا يستحل دماء أو أموال أو أعراض الخلق ، لأنه قد تربى تربية أصلها تزكية القلب والنفس وتطبيق روح الإسلام ، في حين وجدنا من أصحاب المناهج الأخرى ممن تنسب نفسها للسنة أو السلف الانحرافات تلو الانحرافات في الفكر والمعتقد والسلوك والأفعال حتى اختلط فيهم الخبيث بالطيب ، ولم نر في الغالب الأعم إلا صورا وأشكالا فارغة من مضمون التدين الحق ، فصلاح القلب والروح هو صلاح المجتمع والأفراد وهو وسيلة لتحقيق رضا الله سبحانه ، فينعم الإنسان بالسكينة وتنعم المجتمعات بالأمان ، ونحن حينما ندعو الناس إلى التصوف فإن حقيقة دعوتنا هي لتطبيق كتاب الله وسنة رسول الله ـ ﷺ ـ قولا وفعلا وتحقيق ذلك على أتم وجه ، وتحقيق الجوانب الروحية القلبية بشكل خاص فيها وليس في دعوتنا أي نزوع إلى بدعة أو عمل محرم تحت أي مسمى ، ودعوتنا هذه هي دعوة التصوف الحق ، تصوف السلف الصالح تصوف السير في طريق المعرفة لله ومحبته وتوحيده ، وما يتفرع عن هذا من تطبيق شريعة الله والتزام أوامره ونواهيه ، فالصوفي الحق هو الذي يتحقق بأوامر الشريعة ظاهرا وباطنا ، فيكون نقي القلب عفيف اللسان سليم الجوارح يبتعد عن المحرمات ، والصوفي الحق من تربى على يد الشيخ المربي العالم الرباني الذي أخذ بيده وأرشده خطوة خطوة إلى طريق الله، وكان المرشد والنور الكاشف للظلمات والشبهات ، وفي التصوف نجد أن للأخوة أعظم نصيب من الاهتمام والرعاية ، فتجد التجانس والتناغم والمودة بين الصوفية، سيماهم التواضع والخدمة لبعضهم البعض ، لا يرى أحد منهم لنفسه فضلا على إخوانه، وإنما يرى أنه أقلهم وأنه في خدمتهم مؤديا بذلك حق الصحبة وأخوة الطريق، فالتصوف : علم قصد لإصلاح القلوب ، كالفقه : علم لإصلاح العمل وحفظ النظام وظهور الحكمة بالأحكام ، وكالطب : لحفظ الأبدان ، وكالنحو: لحفظ اللسان[1] .

---

(1) ـ انظر : الأزهري ، أشرف سعد الأزهري ومجموعة من الباحثين ، موسوعة تصحيح المفاهيم والأفكار في قضايا حارت فيها الأمة وفقا لمنهج أهل السنة والجماعة ، ن : دار الفلك ، القاهرة ، ج 1 ، ص 57 ، 58 .

المبحث الثاني : مصادر التصوف عند الأسمر :

إن الأسمر ترك من آثاره العلمية ما يدل على مبلغ علمه بالتصوف ، وما يكشف النقاب عن موقفه من مبنى التصوف رسائله إلى مريديه ، ولبيان ذلك سأحاول بإذن الله تعالى ، توضيح المنابع التي استقى منها الأسمر علم التصوف ومبناه عنده .

المطلب الأول : المنابع التي استقى منها الأسمر علم التصوف :

تنحصر تلك المنابع لدى الأسمر في : القرآن الكريم والسنة النبوية ، وما أثر عن السادة الصوفية من أقوال مبثوثة في طيات رسائله يستدل بها على ما يقول، وأرى من الحتم أن أعرض ما نقله عن الصوفية ليتبين مقدار اعتماده عليهم : فهو حين تكلم عن الزهد في الدنيا والترغيب في الدار الآخرة ، نقل تعريف الإمام الجنيد فقال : ((الزهد: هو خلو اليد من الدنيا وخلو القلب من طلبها، ثم نقل قول الإمام أحمد بن حنبل وسفيان الثوري ، في الزهد فقال : الزهد قصر الأمل في الدنيا وليس هو أكل خبز الشعير ولبس العباء))[1]

ومن ذلك استدلاله في تعريف الصوفي بقول سهل بن عبد الله التستري : ((الصوفي من صفا من الكدر، وامتلأ من العبر، واستوى عنده الذهب والمدر، واستغنى بالله عن البشر))[2]

واستدل بقول ابن خفيف[3]، في معنى الإرادة : ((الإرادة استدامة الكد وترك الراحة ، وليس شيء أضر على المريدين من مسامحة النفس في قبول الرخص والتأويلات))[4]

يتضح من هذه النقول للأسمر بوضوح جلي مدى اعتماده على أقوال من سبقه من أكابر السادة الصوفية والاعتداد بآرائهم ، ومن ثم لا أكون بعيدا عن الصواب ، إن جعلت ما نقل عنهم مصدرا من مصادر علمه الصوفي وعليه تكون منابع علمه الصوفي ثلاثة وهي : القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وأقوال أكابر الصوفية ، وما سمعه أو شاهده من شيخه عبد الواحد الدكالي ومشائخه الآخرين .

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس الأقصى ، ص 353 ، وما بعدها .
(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الحميد العوسجي ، ص 163 .
(3) ـ محمد بن خفيف، أبو عبد الله الشيرازي: صوفي، شافعيّ. كان شيخ إقليم فارس. وهو من أولاد الأمراء تزهد وسافر في سياحات كثيرة، وصنف كتبا. من كلامه: (ليس شئ أضر بالمريد، من مسامحة النفس في ركوب الرخص) ، توفي سنة (371 هـ) ، انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج 6 ، ص 114.
(4) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس الأقصى ، ص 299 .

وهذه المنابع الأصيلة روت روح الأسمر ونفسه الصافية التي تطلعت دائما إلى السمو الروحي ، وأبعدته في الوقت ذاته عن الدنيا وزخرفها ومن هنا كان صوفيا علما وعملا .

المطلب الثاني : معنى التصوف عند الأسمر :

يرى الإمام الأسمر أن أساس التصوف ينحصر في : التمسك بعقائد أهل السنة الذين هم الفرقة الناجية من الأشاعرة والماتردية ، وترك الانهماك في فضول المباحات ، والأخذ بالعزائم ودوام المراقبة ، والاقبال على المولى ، والإعراض عن زخارف الدنيا الدنية ، بل عن كل ما سوى الله ، والخلوة وحفظ الأنفاس بحيث لا يخرج ولا يدخل نفس بدون ذكر الله ، والتخلق بأخلاق صاحب الخلق العظيم عليه الصلاة والتسليم[1] .

ويفهم من هذا أن الأصول الشرعية التي وضعها الأسمر لمبنى التصوف عنده لا تحيد عن الشرع الشريف قيد شعرة وإنما هي جوهر الدين ولبه ، ومن عمل بها فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومن خالفها فقد ضل وغوى ومما يؤكد هذا قوله : ((وأوصيك ونفسي وكافة المسلمين بتقوى الله رب العالمين ، فإنها الوسيلة إلى خيرات الدارين والأساس الذي يثبت عليه أمر الدين ، وإذا لم يكن الأساس في غاية الإحكام كان البناء عليه إلى الانهدام أقرب منه إلى التمام ... وأوصيك بالإخلاص في جميع الأفعال ، وبترك كل ما يشغل عن الله من أهل ومال ، وبحسن الإقبال على ما ينفع في المآل ، والرجوع إلى الله والتوكل على الله في جميع الأحوال وبمتابعة الرسول عليه الصلاة والسلام في الأخلاق والأقوال والأفعال))[2]

ومن هذا النص يريد الأسمر أن يبين أن التحلي بالآداب الصوفية والعمل بها ، هو عين آداب الشرع ، لأن الوقوف مع آداب الشريعة ظاهرا وباطنا هي روح التصوف الحق الذي يعني العمل بالكتاب والسنة .

وأصل التصوف عند الأسمر حسن المحافظة على الفرائض الظاهرة والباطنة، وترك المعاصي الظاهرة والباطنة، وملازمة الافتقار إلى الواحد القهار، والاعتماد على الله في كل أمر والاستغناء به عن البشر، والجد والصدق والصبر في متابعة الشرع ،

---

(1) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى عبد الحميد بن علي العوسجي ، ص 152 .
(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الحميد بن علي العوسجي ، ص 151 ، وما بعدها .

وملازمة الذكر وصحبة من يدخلك في حضرة رب البشر، وذكر أن هذه هي الأصول التي من ضيعها حرم الوصول[1].

وعلى هذا فإن الصوفي الحقيقي في رأي الأسمر هو الذي يتقيد بالكتاب والسنة ظاهرا وباطنا ، ومما يزيد هذا المعنى وضوحا هو قوله : (اعلموا رحمكم الله أن التصوف هو تصفية القلب من الأدناس الذميمة ، واجتناب الغيبة والنميمة ، وإخماد صفات البشرية ، ومجانبة الدعاوى النفسانية ، ومنازلة صفات الروحانية ، والتعلق بعلوم الحقيقة والنصح لجميع الأمة ، واتباع النبي في الشريعة)[2] ، وهذا النص وغيره يدل دلالة واضحة على منهج الأسمر وفهمه الصحيح للتصوف .

المطلب الثالث : أصول التصوف في رسائل الأسمر

إن الشواهد التي يستدل بها الأسمر تشتمل على عدد من آيات القران الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، وأقوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى جيل الصالحين من شيوخه ومعاصريه، وأغلب الاشخاص الذين استدل الأسمر بأقوالهم هم من أيمة التصوف الذين كان لهم الفضل في تأصيل التصوف الإسلامي، من أمثال : أبي القاسم الجنيد، والغزالي، والقشيري، وعبد القادر الجيلاني، وابن عطاء الله السكندري[3] ، وابراهيم ابن أدهم وغيرهم كثير، الأمر الذي يدل على سعة علمه بأعلام التصوف الإسلامي وأقوالهم ، مما جعله يستفيد منها في إضافة بعض الأصول للطرية العروسية. [4]

يقول الأسمر : وأوصيك بحفظ هذه الأصول الأربعة وإحكامها وملازمتها وتصحيحها، فإن عليها مدار الأمر كله وهي البداية التي إذا صحت أتمرت صحة النهاية .

---

(1) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى راشد بن يحيى المحجوبي المقرحي، ص 144.

(2) ـ الأسمر ، الوصية الكبرى ، ص 37 ، وعلى هامش حياة الأسمر، ص 463 .

(3) ـ هو أبو الفضل أحمد بن محمد بن عطاء الله السكندري الصوفي الواعظ ، صاحب الشيخ أبا العباس المرسي، من مؤلفاته (الحكم) و (تاج العروس) ، وتوفي بالقاهرة سنة (709 هـ ، 1309م)، انظر : الأعلام، للزركلي، ج 1، ص 222.

(4) ـ يرى الباحث مراد الزبيدي أن الأسمر قد أسس طريقة مستقلة عن الطريقة العروسية وقد رام تسميتها بالطريقة (السلامية) ، والباحث لا يتفق معه في هذا الرأي لأسباب كثيرة من بينها أن الأصول التي قررها الأسمر هي بعينها أصول الطريقة العروسية ، كذلك أن الأسمر نفسه لم يغير اسم الطريقة العروسية ، انظر : مراد الزبيدي ، الزوايا السلامية بتونس ، مجلة الجامعة الأسمرية ، ج11 ، ص 353.

الأول منها : حسن المحافظة على الفرائض الباطنة كالإخلاص وهو : إفراد الوجه والقصد لله الأحد الفرد، والظاهرة وهي : الوقوف والمثول والقيام بين يدي الملك العلام .

الثاني منها : ترك المعاصي الباطنة كمتابعة الهوى، والظاهرة كمزاحمة أبناء الدنيا على جيفة الدنيا.

الثالث منها : ملازمة الافتقار والاضطرار إلى الله والتحقيق بالذلة والانكسار بين يدي الله.

الرابع منها : التوكل والاعتماد على الله في كل أمر، والاكتفاء والاستعانة بالله وحده في السر والجهر

وعليك : بتقوية هذه الأربعة الأصول وتأكيدها بأربعة أخرى وهي : الجد وهو : بذل الاستطاعة والإمكان في الوصول إلى المحبوب.

والثاني : الصدق وهو : اجتماع جميع قوى الظاهر والباطن على تحصيل المطلوب .

الثالث : الصبر وهو : الثبات على ملازمة الجد والصدق .

الرابع : علو الهمة وهي : أن لا تقنع بدون الاستهلاك في الله والذهاب فيه بالكلية، والقناعة عن الخلق .

وتمم تلك الأربعة أصول وكملها بأربعة أخرى وهي : قرآءة القرآن بتدبر وافر، وملازمة الذكر بقلب حاضر، والقيام بين يدي الله تحت أستار الدياجر، وصحبة من يدلك على الله أو يعينك على طاعته ويؤازر[1]

ولقد عدَ الشيخ زروق أصول الطريقة العروسية خمسة أصول وهي التي اعتمدها ونقالها الأسمر عنه، غير أن بعض مشايخ الطرق اختلفوا في ذلك، فبعضهم زاد في العدد ومنهم الأسمر كما تقدم، وبعضهم نقص منه، فكل بحسب رأيه واجتهاده، كما اختلفوا في تعينها أيضا، فرب ذاكر لأصول لم يذكرها غيره، كل بحسب حاله، لكن وإن اختلفت أقوالهم في ذلك، فإذا جمعناها كلها وجدناها راجعة إلى الخمسة التي ذكرها زروق ـ رحمه الله تعالى ـ ثم أن هذه الأصول تنشأ عنها فروع ثبوتها بثبوت أصولها وزوالها بانتفائها .

---

(1) ـ الأسمر، رسالة إلى راشد بن يحي المحجوبي المقرحي ، ص 144 ، 145.

المبحث الثالث : أبرز سمات منهج التزكية عند الأسمر :

المطلب الأول : التدرج :

يعد التدرج من أهم وأوضح السمات المنهجية للتربية عند الأسمر ، حيث أعطى أسسا واضحة للسير في الطريق إلى الله تعالى وبالنظر لهذه الأسس ، تبدو هذه السمة واضحة جلية منها ، فبداية السلوك عند الأسمر تستلزم تحولا من السالكين من حال إلى حال أخرى ، من المعصية إلى الطاعة ومن الباطل إلى الحق ومن الخطأ إلى الصواب ، ومن الشر إلى الخير ... وهكذا .

أي من كل ما سوى الله إلى الله تعالى ، ويحتاج ذلك إلى توجه قلبي من السالك للحق تبارك وتعالى ، وهذا التحول وذلك التوجه يحتاجان ممن أراد سلوك طريق ربه إلى يقظة في داخله تنتج عنها حركة في خارجه ، ونترك الأسمر يحدثنا عن ذلك قائلا : ((إخواني : عليكم بالنظر حين التكليف ومعرفة الدليل والبرهانوما يجب في حق الله وما يجوز وما يستحيل ... وعليكم بمعرفة الصفات وأضدادها وما يندرج تحتها وما يجب في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وعليكم بإتقان الفاتحة وما تصح به الصلاة ، وعليكم بمعرفة فرائض الطهارة من الجنابة والوضوء وعليكم بمعرفة فرائض التيمم ، وعليكم بمعرفة سجود السهو ، وعليكم بمعرفة صلاة الخوف وصلاة السفر ، وعليكم بمعرفة فرائض الحج وسننه وفضائله ، وعليكم بمعرفة فرائض الصوم وما يصح به وما يبطله ، وعليكم بمعرفة فرائض الزكاة من نصاب أو أكثر أو أقل كذهب أو فضة أو غير ذلك)) [1] ، ((أوصيك ونفسي بتقوى الله في كل موطن ، وعلى كل حال ، حيث ما كنت ، وبمراقبة الله واستشعار علمه واطلاعه عليك ومعيته لك وإحاطته بك على الدوام وبالإخلاص لله ، وبالصدق مع الله ، وبالتواضع لله ، وبالشكر لله على نعمائه والصبر لله على بلائه ، والرضا عن الله في حكمه وعند مر قضائه وحلوه ، ولا تختار على الله ، ولا تؤثر عليه شيئا سواه ، ولا تختر معه ولا تذم شيئا إلا ما أمرك به ونهاك عنه على وفق ما أمرك ونهاك ، ولا تعلق قلبك بشيء سوى ربك ، وارفع همتك عن الأكوان ، ولا تعجب بنفسك ، ولا ترتفع على إخوانك ولا تتبع هوى النفس الأمارة بالسوء في شيء من الأشياء ، واجعل الكتاب والسنة حاكمين عليك وقائدين لك ...)) [2] ، ففي هذا النص زاوج الأسمر بين الباطن والظاهر، وحدد لكل منهما وظيفته

---

(1) ـ الأسمر، الوصية الكبرى ، ص 4 .
(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الرحمن بن مؤمن الغرياني ، ص 126 .

ويبدو التدرج واضحا إذا مضينا في مطالعة بقية الرسائل، واستخدام الأسمر للأساليب الشرطية وترتيبه لهذه الأمور يجعل التدرج واضحا بوصفه سمة من سمات المنهج التربوي عنده .

ونكتفي بهذا النص للدلالة على التدرج ، كإحدى السمات الهامة للمنهج التربوي عند الأسمر، وقد سبقت الإشارة إلى هذه السمة في الحديث عن سمات المنهج الدعوي في الفصل الأول من هذا البحث .

المطلب الثاني : الشمول :

وأقصد بهذه السمة إحاطة الأسمر بمفردات موضوعه ، فإذا نظرنا إلى البحث الذي تناول أصول الطريقة لوجدنا الجزئيات التي تناولها تشمل كل جوانب قضية السلوك حيث تناول بالحديث الشيخ المربي ، وهو الذي يتولى تربية المريدين في العملية السلوكية ، ورأى ضرورة وجوده فيها ، وذكر دوره في حياة مريديه

ثم ذكر نتائج نظر الشيخ إلى المريد بوصفه عاملا مهما من عوامل التربية والتأثير الإيجابي ، وأصل ذلك كله من الشرع الحنيف ، ثم تناول المريد وهو الركن الثاني من أركان الطريق فتحدث عن بداية إرادته وتصحيحها ، ((وأوصيك : بالحرص على طلب العلم النافع قراءة ، ومطالعة ، ومذاكرة ، وتحصيلا ، ولا يحملنك على تركه الكسل والملامة ، ولا مخافة ولاية فإن ذلك ضرب من الجهالة ، وعليك بإصلاح النية في طلبه ومنّ النفس في ذلك ، ولا تقنع منها بالدعاوى حتى تمتحنها وتختبرها ، وكلفها العمل بما علمت وتعليمه .. فإذا صحت النية ، وصحتها أن تكون مقصورة على إرادة وجه الله والدار الآخرة دون شيء آخر من جاه أو مال))[1] ، ثم تحدث عن أصول الطريق ونجدها عند الأسمر تتمثل في القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، والعقيدة الإسلامية الصحيحة ، والعلم الشرعي ، والقيام بتكاليف الشرع والذكر .

ثم تناول وسائل التصفية (التزكية) وجعلها تعتمد على تهذيب النفس عن طريق حرمانها من حاجاتها الضرورية ، أو الإقلال منها ، مثل : الطعام ، والنوم ، والكلام ، والابتعاد عن الدنيا ، والخلوة .

ثم نجده يحدثنا عن آداب الطريق ويقسمها إلى ثلاثة أقسام : آداب المريد مع الله ، وآداب المريد مع شيخه ، وآداب المريد مع إخوانه .

ومن هنا نجد أن الأسمر قد أحاط بكل هذه المفردات وملأ بها صفحات رسائله ومؤلفاته ، ليجئ الشمول سمة هامة من سمات منهجه التربوي .

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الحميد بن علي العوسجي ، ص 152.

المطلب الثالث : التشدد مع النفس:

بمراجعة نصوص الأسمر من خلال رسائله ومؤلفاته يبدو واضحا أنه يميل إلى محاربة النفس ومجاهدتها ورياضتها بشتى الطرق والوسائل حتى تستقيم إلى أمر الله، (ولا تعجب بنفسك ... ولا تتبع هوى النفس الأمارة بالسوء)[1] ، (وجاهد نفسك حتى تخرج منها كل ميل إلى شهوات الدنيا)[2]

وهذا ما يؤكد على أن التشدد سمة بارزة من سمات منهجه في التربية ، فهو ينظر إلى النفس بنظرة عدائية حيث يراها محل الآفات والبلاء ، وهي الأمارة بالسوء ومن هنا يقوم بمطالبة المريدين بعدم الرضا عنها ، (وعليك : باتهام نفسك في كل حال سواء طاوعت أو نازعت ، وإياك والرضى عنها فإن من رضي عن نفسه فقد عرضها للهلاك ، وطالبها على الدوام لربها ، واستشعر غاية التقصير منها عن القيام بواجب حق ربها عليها ، ولو كانت في غاية من التشمير فإن حقه عليك عظيم)[3] ، بل يجعل سوء الظن بها أحد آداب الصوفية ، بالإضافة إلى وجوب اتهامها في كل وقت من الأوقات ، ومخالفتها ومنعها من مراداتها ، والعمل على إسقاط العجب بها ، (ولا تعجب بنفسك ...)[4] .

ثم ينطلق من هذه التعليمات التي لا هدف منها إلا الحط من قدر النفس وإهدار قيمتها إلى وصف الخطوات التالية في عملية تهذيبها مثل المجاهدة التي تستخدم عند السادة الصوفية للتعبير عن العملية النفسية الشاقة التي يقوم بها المريدون لمحاولة قيادة النفس[5]

ومن التشدد كذلك ما اختطه الأسمر من وسائل لتهذيب النفس عن طريق الحرمان الكلي أو الاقلال من الحاجات الأساسية ، مثل : الطعام ، والنوم ، والكلام ، ((وأوصيك : بإيثار الدون والإقلال من جميع أمتعة الدنيا مطعما وملبسا ومسكنا وغير ذلك تواضعا لربك ، وإيثارا لآخرتك ، واقتداء بنبيك ، واعلم أن التقليل من الدنيا رأس كل خير ...))[6]

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الرحمن بن عبد المؤمن الفزاني ، ص 126 .
(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الرحمن بن عبد المؤمن الفزاني ، ص 128 .
(3) ـ الأسمر ، رسالة إلى راشد بن يحيى المحجوبي المقرحي ، ص 146.
(4) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الرحمن بن عبد المؤمن الفزاني ، ص 126 .
(5) ـ انظر : القشيري ، المنتهى في نكت أولي النهى ويليه منثور الخطاب في مشهور الأبواب ، تح : نزار حمادي ، ن : دار الإمام ابن عرفة ، تونس ، ص 111 .
(6) ـ من رسالته إلى عبد الحميد بن علي العوسجي ، ص 157 .

ولعله باستمراره في وضع العقبات أمام النفس يريد الحيلولة بينها وبين مطالبها الأساسية حتى تنصقل ملكاتها وتتهذب ويصير صاحبها أهلا لاجتياز عقبات الطريق إلى الله تعالى .

ويبدو التشدد واضحا عند الأسمر كذلك من خلال نظرته إلى الدنيا وهي نظرة احتقار وازدراء إذا كانت تلهي عن طاعة الله ، مثل نظرته إلى النفس الانسانية ، حيث يجعل من بدايات الإرادة وجوب تخلي المريد عن الدنيا بكليتها حتى لا يرجع إلى معلوم ولا يفرح بموجود ، ولا يحزن على مفقود ، فتكون الدنيا عنده كأن لم تكن، ((واعلموا : أن الدنيا دنية ، وإذا أقبلت أدبرت ، وإذا أمنت خانت ، دنية الملاهي والتباهي والدواهي تخلي قلوب الخلق على طاعة الله ... دنية الهم والغم ، دنية الغرور والنكور ، دنية المحن والفتن ، دنية النحوس والتعوس ، دنية الدخول والفضول ، دنية الغمام والظلام ، دنية الخلاء والبلاء ، دنية الكسر والقدر ، دنية الريغ والزيغ ، كثيرة العيوب ، ثم إن النفس أكثر منها عيبا))[1] ، ومن هنا فإن المريد مطالب عنده بمقت الدنيا وبغضها ، والإعراض عنها ، وعن الإقبال عليها .

والذي نخرج به من هذا العرض ، ونخلص إليه ، ونؤكد عليه هو أن التشدد مع النفس من سمات المنهج التربوي عند الأسمر .

المطلب الرابع : إسلامية الأصول :

من سمات المنهج التربوي عند الأسمر تأتي هذه السمة المهمة ، وهي : إسلامية الأصول ، وتأتي أهميتها من نجاة التربية الصوفية عند الأسمر مما اتهم به التصوف الإسلامي بصفة عامة من بعض المستشرقين أمثال لويس ماسينيون ، وجونس ، وميركس ، ومن سار على دربهم بالخضوع للمؤثرات الأجنبية[2] .

ولقد سبق لنا التعرف على أصول الطريق إلى الله تعالى والتي تتمثل في : القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، والعقيدة الصحيحة ، والعلم الشرعي ، والقيام بتكاليف الشرع الحنيف ، والذكر

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بتونس ، ص 280 .

(2) ـ انظر : أبو اليزيد أبو زيد العجمي ، نحو قراءة منهجية للتراث الصوفي، ن : دار الإيمان ، ج1 ، ص 10 ، وانطر : المعجم الصوفي ، ج6 ، ص 5 ، مصدر الكتاب الشاملة ، وانظر : يوسف خطَّار محمد ، الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية ، ج2 ، ص 12 .

حيث تم عرض بعض منها بصورة تفصيلية مع الاستعانة بنصوص الأسمر حولها في مطلب مصادر الأسمر في رسائله ، مما لا نرى داعيا لإعادته هنا ، حيث المقصد الإشارة إلى السمات المنهجية للتربية الصوفية عند الأسمر فقط .

المطلب الخامس : موافقة الشرع الحنيف :

ولا تقل هذه السمة في الأهمية عن سابقتها ، حيث اتهم التصوف والصوفية أحيانا بالخروج عن مقررات الشرع الحنيف ، وتأتي هذه السمة لتعلن للجميع براءة الأسمر ومنهجه من هذه التهمة ، بل ووقوفه في مواجهتها .

فالأسمر يؤسس طريقته على أسس إسلامية ، وهي الأصول السابقة ، بالإضافة إلى ذلك فإن الطريق عنده بمراحله المتعددة خلا خلوا تاما من كل ما يخالف الشرع الحنيف .

وما قلناه في الفقرة السابقة نؤكد عليه هنا ، وهو أسبقية التعرض لهذه السمة المهمة من سمات المنهج التربوي عند الأسمر من خلال حديثنا عن سمات المنهج الدعوي ، مما يجعلنا لا نرى مبررا لتكرار الحديث فيه .

المبحث الرابع : أسس المنهج التربوي عند الأسمر :

المطلب الأول : الشيخ المربي وأهميته في السلوك

يقوم المنهج التربوي عند الأسمر على جملة من الأسس والركائز التي تحقق التربية السليمة والتوجه الصادق إلى الله.

ومن أهم تلك الأسس والركائز اتخاذ الشيخ المرشد والمربي ليكون قدوة للسالك في الطريق إلى الله ، لأن حقيقة السلوك الصوفي كما قيل هي سفر القلوب إلى حضرة علام الغيوب زمن مراحل ذلك السفر ، السفر من عالم الملك إلى شهود عالم الملكوت، ثم إلى شهود عالم الجبروت ، أو السفر من عالم الشهادة إلى عالم الغيب ، أو من عالم الحس إلى عالم المعنى ، أو من عالم الأشباح إلى شهود عالم الأرواح ، أو من شهود الكون إلى شهود المكون وكل ذلك لابد فيه من الشيخ المرشد العارف بالطريق وعقباته ، والخبير بالنفس وأدوائها وبالقلب وأمراضه ، وبعلاج كل منهما[1]

وحقيقة الشيخ المرشد هو الإنسان البالغ في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة إلى الحد الذي من بلغه كان عالما ربانيا مربيا هاديا مهديا ومرشدا إلى طريق الرشاد معينا لمن

---

(1) - انظر : جودة محمد أبو اليزيد المهدي ، التصوف روح الإسلام الموسوعة الكاملة ، ن : أطلس للاستيراد والتصدير ، ص 189.

أراد الاستعانة به على البلوغ إلى رتب أهل السداد ، لعلمه بآفات النفوس وأمراضها وأدوائها ، وقدرته على شفائها[1]، وقيل : إن الشيخ هو الذي سلك طريق السلوك ثم خاض بحار الجذب ، ثم رجع إلى السلوك ، فلا يصلح للتربية سالم محض ولا مجذوب محض ، وإنما يصلح من تقدمه سلوك ثم تداركه الجذب ، أو تقدمه الجذب ثم رجع إلى السلوك ، والأول أكمل ، وقيل الثاني أكمل وكلاهما يصلحان للتربية[2]

من هنا يرى الشيخ عبد السلام الأسمر شأنه شأن مشايخ الصوفية أنه لكي تتكامل عملية التربية لابد لها من شيخ يقوم بالتربية ، ومريد يتلقاها ، وعهد فيما بينهما وتفصيل ذلك فيما يلي :

أولا : الشيخ المربي :

تسعى التربية الصوفية إلى إعداد المريد أو السالك إعدادا روحيا صحيحا لا يتم إلا على يد شيخ مربي ، إذ المربي هو الذي يصنع الفرد والمجتمع وذلك تأسيا واقتداء برسول الله ـ ﷺ ـ والتزاما بمنهج حياته[3] ، كما قال تعالى : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿٢١﴾﴾[4]

إن المريد في طريق سيره إلى الله تعالى لابد له من شيخ يثبته في طريق السير ، ويهديه سواء السبيل ، وينقل الشيخ الأسمر عن الشيخ زروق قائلا : ولا بد في طريق المعرفة من شيخ ناصح أو أخ صالح ، فإن المجاهدات ثلاثة :

1 ـ مجاهدة التقوى والشيخ فيها شرط كمال .

2 ـ مجاهدة الاستقامة والشيخ فيها شرط صحة .

3 ـ ومجاهدة كشف والشيخ فيها شرط وجوب[5] .

ثم يؤكد الأسمر أن المريد محتاج إلى شيخ حتى يستطيع أن يتعلم إذ المتعلم لابد له من معلم ، فيقول : (يحتاج المريد إلى صحبة المشايخ ، والتأدب بأدابهم ، واتباع

---

(1) ـ انظر : القاشاني ، عبد الرزاق القاشاني ، لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام ، تح : سعيد عبد الفتاح ، ن : دار الكتب العلمية ، ج 2 ، ص 45 .

(2) ـ انظر : ابن عجيبة ، الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية ، تح : سعيد عبد الفتاح ، ن : دار الكتب العلمية ، ص 220 .

(3) ـ انظر : إبراهيم خليفة عبد اللطيف ، المنهج الصوفي عند الشيخ عبد السلام الأسمر ، مجلة الجامعة الأسمرية ، العدد 11 ، ص 211.

(4) ـ سورة ، الأحزاب ، آية : 21.

(5) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس ، ص 314 .

أوامرهم ونواهيهم)[1] وأكد ذلك أبو علي الدقاق[2] ، بقوله : (إنما كان الإنسان لا يقدر على سلوك طريق القوم بغير شيخ لأنها طريق سلوك الغيب أو غيب الغيب ، والشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس لا ينتفع أحد بثمرها ولو أورقت بل ربما لا تثمر أبدا ، وانظر يا أخي إلى سيد المرسلين على الإطلاق كيف كان جبريل عليه السلام واسطة بينه وبين الله تعالى في الوحي تعرف أن اتخاذ الشيخ واجب لا يستغني المريد عنه)[3] ، وقد قسم ابن عباد النفزي[4] ـ رحمه الله ـ الشيخ المربي إلى قسمين فقال : الشيخ المرجوع إليه في السلوك ينقسم إلى قسمين :

1 ـ شيخ تعليم وتربية

2 ـ شيخ تعليم بلا تربية

ثم قال فشيخ التربية ليس بضروري لكل سالك ، وإنما يحتاج إليه من فيه بلادة ذهن واستعصاء نفس ، وأما من كان وافر العقل منقاد النفس ، فليس بلازم في حقه ، وتقيده به من باب الأولى ، وأما شيخ التعليم فهو لازم لكل سالك ، أما كون شيخ التربية لازما لمن ذكرناه من السالكين فظاهر ، لأن حجب أنفسهم كثيفة جدا ، ولا يستقل برفعها وإماطتها إلا الشيخ المربي وهم بمنزلة من به علل مزمنة ، وأدواء معضلة من مرض الأبدان فإنهم لا محالة يحتاجون إلى طبيب ماهر يعالج عللهم بالأدوية القاهرة

وأما عدم لزوم الشيخ المربي لمن كان وافر العقل منقاد النفس ، فلأن وفور عقله وانقياد نفسه يغنيانه عنه ، فيستقيم له من العمل بما يلقيه إليه شيخ التعليم ما يستقيم لغيره ، وهو واصل بإذن الله تعالى ، ولا يخاف عليه ضرر يقع له في طريق السلوك إذا قصده من وجهه وأتاه من بابه ، واعتماد شيخ التربية هو طريق الأيمة المتأخرين من الصوفية ، واعتماد شيخ التعليم هو طريق الأوائل منهم[5] ، ويبن الأسمر أن

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس ، ص .295.

(2) ـ أبو علي الدّقّاق، الحسن بن علي النيسابوري ، الزاهد العارف شيخ الصوفية توفي في ذي الحجّة سنة (404 هـ) ، انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج5 ، ص40 .

(3) ـ عبد الوهاب الشعراني ، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، ن : دار جوامع الكلم ، القاهرة ، ط2 ، ص 43 .

(4) ـ محمد بن يحيى بن إبراهيم بن أحمد بن مالك بن إبراهيم بن يحيى ابن عباد النفزي من أهل رندة، يكنى أبا عمرو، ويعرف بابن عباد، الحاج الصوفي ، انظر : لسان الدين الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج1 ، ص431.

(5) ـ انظر : محمد الكحلاوي ، الفكر الصوفي في إفريقية والمغرب الإسلامي (القرن التاسع الهجري الهجري ، الخامس عشر الميلادي) ، ن : دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 2009م ، ص 113 ، وانظر : الحارث المحاسبي ، رسالة المسترشدين ، تح : عبد الفتاح أبو غدة ، ن : دار البشائر الإسلامية ، ص 72 - 73 .

درجة التلقي والأخذ عن الشيخ تختلف من شخص إلى آخر ، بحسب ما أودعه الله تعالى فيه من الذكاء والفهم ، فيقول : (ويختلف ما ذكرناه من المجاهدة والرياضة باختلاف الأشخاص ، فرب شخص زكي الفطرة كريم السجية سهل المنقادة ، لا يحتاج في ذلك إلى كثير معاناة ، ولا تعب ورب شخص يكون حاله على عكس هذا ، فلا جرم يحتاج إلى زيادة تعب وقوة ممارسة ، وشدة مجاهدة لرداءة فطرته ونقصان غريزته ، وبين هذين درجات لا تحصى)[1] ، من هذه العبارة يتضح إن من أهم عوامل التربية عند الأسمر التي يجب أن يراعيها الشيخ المربي هي تفاوت قدرات المريدين واستعداداتهم النفسية والروحية ، فالشيخ المربي كالطبيب الذي لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد لقتل أكثرهم .

شروط الشيخ المربي :

يرى الأسمر اقتداء بالمدرسة العروسية والشاذلية ، أنه لا بد أن تتوافر في الشيخ القائم بالتربية الذي يلقي إليه المريد نفسه خمسة شروط هي :

1 ـ علم صحيح ، لأنه دليل ولابد للدليل من علم تصح به دلالته

2 ـ وذوق صريح ، إذ بالذوق تتحقق عباراته وتفهم إشاراته فبعلمه يقتدى ، وبذوقه يهتدى ، فبعلمه تستقيم الظواهر في الأقوال والأفعال ، وبذوقه تتحقق البواطن في الأحوال ، فبعلمه يختبر ظواهر المريدين ، وبذوقه تختبر بواطن السالكين .

3 ـ وهمة عالية ، عن الأكوان لتنتقل ههم المريدين إلى الله تعالى ، إن همة المريد من همة شيخه.

4 ـ وحالة مرضية ، مع الله تعالى ، ومع الخلق ، مع الله تعالى باستقامة أحواله ، ومع الخلق بمكارم الأخلاق.

5 ـ وبصيرة نافذة ، لينظر بها بنور الله تعالى في أحوال تابعيه الباطنة ، فمن لا بصيرة له ينظر بها بنور الله تعالى ، فتابعوه معه على غرر، لعدم اطلاعه على بواطنهم[2] .

وبعد أن ذكر الشيخ هذه الشروط أعقبها بقوله : (و لا تصح المشيخة الكاملة إلا لمن كان على قدم النبي ـ ﷺ ـ وهو من كملت أحواله ، واستقامت أقواله وأفعاله ، وكان متخلقا بالقرآن العظيم ، متحليا بمعاني أسماء الله الحسنى ، وكان ذا علم راسخ ،

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس ، ص 294 .

(2) ، انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس ، ص 314 .

وعقل سليم ونفس طاهرة ، فأمحى هواه وانشرح صدره ، وتنور قلبه بأنوار المعرفة ، فسلمت فطنته وفطرته ، وتنورت بصيرته وترجح رأيه)[1] .

وبعد أن ذكر الشيخ الأسمر شروط الشيخ ذكر أوصاف من لا تصح مشيخته للحذر منه ، وقد استمدها من ابن عطاء الله السكندري وهي على الوجه التالي :

الأول : الجهل بالدين ، لأن الجاهل بالدين لا يصح الاقتداء به أصلا ، فهو لا يهدي نفسه فكيف يهدي غيره ؟ !!

والثاني : إسقاط حرمة المسلمين، لأن سقوط حرمتهم عنده يقتضي عدم الاهتمام بهم ، والنصح لهم جريا على طريقته - ﷺ - .

الثالث : الدخول فيما لا يعني، وذلك من الفضول الداعي إلى شر عظيم ونقص كبير ، ومن دخل فيما لا يعنيه ترك ما يعنيه

الرابع : اتباع الهوى في كل شيء، لأنه مضل عن سبيل الله تعالى ، والشيخ وظيفته أن يهدي إلى سبيل الله تعالى، ومن ضل عنها لا يهدي غيره ، والشيخ يأمر بمخالفة الهوى في كل شيء، وكيف يأمر بمخالفته وهو متبع له .

الخامس : سوء الخلق من غير مبالاة، فمن ساء خلقه لا تصح مشيخته ، لأن الشيخ يحتاج إلى خلق عظيم ، وقلب سليم وحال كريم[2]

ويرى الأسمر أن الانتفاع بالتربية على يد شيخ يوجد في كل زمان ، إذا ما تحققت شروط الشيخ ، ولا يصح الاحتجاج بأنه لا يوجد شيخ ، ومن ثم فلا توجد تربية ، وفي ذلك يقول : ((فمن حقق نسبته إلى شيخ معين من أهل عصره ، وصدق في محبته ، وفي محبة من انتسب إليه ، انتفع منه ، إذ لا يحل لمسلم أن يقول : إن التربية انقطعت مستدلا بقول الشيخ الزروق ، ففي كل عصر سادة وقادة))[3]

وهكذا يتضح لنا أن الشيخ المربي أمر ضروري عند الأسمر لا مناص منه لعملية التربية ، فهو طوق النجاة بالنسبة للغريق ، والقاضي المحايد العدل بالنسبة للمتخاصم ، والمستيقظ الذي يمكنه إيقاظ غيره ، وفي غيابه فإن النفس هي التي تتولى تدبير شخصية العبد حيث تحرص على تحصيل حظوظها العاجلة مما يجعلها تتخبط في الطريق [4]

---

(1) - الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس ، ص 314 ، 315 .
(2) - انظر : المصدر السابق ، ص 317 .
(3) - المصدر نفسه ، ص 322 .
(4) - انظر : إبراهيم خليفة عبد اللطيف ، المنهج الصوفي عند الشيخ عبد السلام الأسمر ، مجلة الجامعة الأسمرية ، العدد 11 ، ص 214 .

ثانيا : أهمية الشيخ في سلوك طريق التصوف :

لو نظر الإنسان إلى علومه ومعارفه وثقافته التي يمتلكها لوجد أن الغالب منها يأتي بطريق التعلم والاستفادة من علوم الآخرين بجانب ما يفتحه الله عليه ، وقد تأكد بالمشاهدة المحسوسة في الحياة أن كل علم وسلوك لا بد له من وجود ملقن ودليل لهذا العلم وهذا السلوك ، وبدونه لا يحصل النفع المرجو ، وقد يحدث خلل في أصل العلم ومعلوماته وعدم انضباط في السلوك العملي ، ونضرب لذلك مثالا فنقول :

أن الأصل في أي علم من العلوم سواء أكانت إنسانية أو علمية تطبيقية أنها تحتاج إلى أستاذ يلقن هذا العلم ، ويشهد للطالب أنه بلغ منزلة في العلم يعتمد عليه في هذا العلم ، وكلما كان التصاق الطالب أكثر بالعالم ازداد انتفاعه به ، وكلما قل الالتصاق والمجالسة كلما قلت الفائدة ، ولو حدث انقطاع فإنه سيحدث انغلاقا فتكون النتيجة الجهل والتخبط، ومن هنا كان الشيخ للمريد بمثابة الأستاذ للطالب ، فلا يستطيع المريد أن يسلك طريق الله بمفرده، لأنه طريق صعب متشعب المسالك، يتربص بسالكه أعداء كثر، ومن هؤلاء الأعداء الشيطان والنفس والهوى وأهل السوء، لذلك لا بد لمن يسلك هذا الطريق الصعب من مرشد أو هاد يأخذ بيده وهو الشيخ، و لابد للمريد من شيخ مرشد إلى الحق يرشده ويلقنه الذكر ويلقي في روعه النور، فإن تلقين الشيخ يلقح باطن المريد ويسري فيه النور ، كأنما يلقح من سراج، وعلى المريد اختيار الشيخ الصالح المشهود له بالعلم والمعارف واتقاء المحارم ، فالشجرة إذا نبتت من غير غارس تورق ولكنها لا تثمر ، كذلك المريد إذا لم يكن له شيخ يأخذ عنه طريقته قلَ أن يفلح ، فالشيخ في طريق التصوف ركن هام في السير والسلوك ، فكما أن العلوم الإسلامية بدون العلماء والعارفين بها لن يكون لها كبير فائدة وتصبح سطورا جامدةً في الكتب فكذلك معارف وعلوم التصوف لا بد لها من الشيخ الذي يعرف بها ويعلمها ويرشد إليها ويتعاهد طريقة تطبيقها ، والشيخ الصوفي هو العالم الرباني السائر في طريق الله ، العارف بالشريعة الإسلامية المنضبط بحدودها الملزم لنفسه بالنوافل ، المتمسك بسنة النبي ـ ﷺ ـ ، العالم العابد ، الرحيم بخلق الله ، الذي يكون هاديا ودليلا إلى طرق تزكية النفوس والقلوب وسلوك طريق الله والاقتداء برسول الله ـ ﷺ ـ فهو يحبب الله إلى عباده ، فهو ليس بصاحب بدعة في دين الله ، وإنما هو من الذين يقتفون سنة وأفعال رسول الله ـ ﷺ ـ في تزكيته وتربيته لصحابته الكرام رضوان الله عليهم ، وإرشاده لهم وتفقد أحوالهم وعباداتهم ، فالشيخ الصوفي الكامل قائم في الأمة مقام رسول الله ـ ﷺ ـ من حيث التربية والإرشاد والدلالة على طريق الله ، والشيخ المتصدر لتربية المريدين وإرشادهم هو المتصف بالعلم والمعرفة بالعلوم الشرعية ، فلا يجوز أن يتصدر الجاهل لإرشاد الخلق ، وأن يكون عالما بعلوم التصوف

والطريق وأهل السلوك وأقوالهم وعباراتهم ومصطلحاتهم، بحيث يكون جامعا بين الحقيقة والشريعة ، عالما بأحوال وأمور الخلق والمجتمع الذي يعيش فيه ، ليس منعزلاً عن الناس[1] ، ومن هنا تأتي عبارة الأسمر : (و لا تصح المشيخة الكاملة إلا لمن كان على قدم النبي ـ ﷺ ـ وهو من كملت أحواله ، واستقامت أقواله وأفعاله ، وكان متخلقا بالقرآن العظيم ، متحليا بمعاني أسماء الله الحسنى ، وكان ذا علم راسخ ، وعقل سليم ونفس طاهرة ، فأمحى هواه وانشرح صدره ، وتنور قلبه بأنوار المعرفة ، فسلمت فطنته وفطرته ، وتنورت بصيرته وترجح رأيه ، وأخذ عن وارث كما قال سيدي أبو مدين ـ رضي الله عنه ـ الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم وسرك بالتعظيم ، الشيخ من هذبك بأخلاقه ، وأذبك بإطراقه ، وأنار باطنك بإشراقه الشيخ من جمعك في حضوره وحفظك في مغيبه ، وقال : لا يجلس على رتبة البيعة إلا من تمسك باثني عشر وصفا ...)[2] ، ثم قال : ((وإياك وصحبة من يشغلك عن الله وعن طاعته ويدعوك إلى مخالفة أمره ، والغفلة عن ذكره بلسان حاله أو مقاله))[3] ، ثم حدد شروط الشيخ المربي فقال : ((فالعروسي ... لا يقتدي بجاهل لا يعرف العلم ولا أهله ، ولا يتعلم إلا من عالم ناصح تقي الجيب ، قليل العيب عدل في الدين ، كريم العرق ، شريف النسب ، كبير السن ، لا يخالط السلطان ، ولا يلابس الدنيا ملابسة تشغله عن أمر دينه))[4]

---

(1) ـ انظر : الأزهري ، موسوعة تصحيح المفاهيم والأفكار في قضايا حارت فيها الأمة وفقا لمنهج أهل السنة والجماعة ، ج 1 ، ص232 .
(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس ، ص 314 ، 315 .
(3) ـ الأسمر ، رسالة إلى راشد بن يحيى المحجوبي المقرحي ، ص 145.
(4) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بتمبكتو بمالي ، ص 248 .

المطلب الثاني : المريد وآدابه :

أولا : المريد :

يقول الشيخ أبو عثمان الحيري[1] : ((المريد : هو الذي مات قلبه عن كل شيء دون الله تعالى ، فيريد الله وحده ، ويريد قربه ، ويشتاق إليه حتى تذهب شهوات الدنيا عن قلبه لشدة شوقه إلى ربه))[2]

فالمريد عند الصوفية من لا إرادة له ، فمن لم يتجرد عن إرادته ، لا يكون مريدا، كما أن من لا إرادة له على موجب الاشتياق لا يكون مريدا[3]

فالمريد يسمع أمر ربه ﷻ فيعمل بما في الكتاب والسنة ، ويصم عما سوى ذلك ، ويبصر بنور الله ﷻ فلا يرى إلا فعله فيه ، وفي غيره من سائر الخلائق ، ويعمى عن غيره فلا يرى فاعلا على الحقيقة غيره ﷻ ، كما يقول عبد القادر الكيلاني[4] : (المريد : هو من كان أبدًا مقبلاً على الله ـ ﷻ ـ وطاعته ، مولي عن غيره . يسمع من ربه ـ ﷻ ـ ، ويعمل بما في الكتاب والسنة ، ويصم عما سوى ذلك ، ويبصر بنور الله تعالى فلا يرى إلا فعله فيه ، وفي غيره ، في سائر الخلائق ، ويعمى عن غيره ، فلا يرى فاعلاً على الحقيقة إلا غيره ـ ﷻ)[5] ، والمريد هو : سالك الطريق الذي يسير فيه حسب توجيهات وإرشادات شيخه فيسلك طريقه كما رسمه له شيخه ، حتى يصل إلى غايته[6]، ويرى الأسمر أنه حتى يتسنى للمريد اجتياز مراحل الطريق بسهولة ويسر، كي يصل إلى مراتب الكشف ، فلابد أن يتعلم الأدب ويتحلى به ، لأن الأدب

---

(1) ـ سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور، الحيري ابن عثمان. اصله من الري، ثم أقام بنيسأبور ، انظر : ابن الملقن ، طبقات الأولياء ، تح : نور الدين شريبه من علماء الأزهر ، ن : مكتبة الخانجي، بالقاهرة ، ط 2 ، 1415 هـ - 1994 م ، ص 239 .

(2) ـ عبد الكريم الكسنزان ، موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان ،ن : مكتبة دار المحبة ، سوريا ، التاريخ 1426هـ - 2005 م ، ج9 ، ص 246 .

(3) ـ انظر : أبو القاسم القشيري ، الرسالة القشيرية ، تح : عبد الحليم محمود ، ط : دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ج 2 ، ص 343 .

(4) ـ عبد القادر الكيلاني بن أبي صالح بن جنكي دوست الإمام الحبر الكبير والولي الشهير أبو محمد الحنبلي البغدادي. صاحب المقامات والكرامات نفعنا الله ببركاته. توفي رضي الله عنه سنة 561هـ ، انظر : ابن الغزي ، ديوان الإسلام ، ج1 ، ص63.

(5) ـ عبد الكريم الكسنزان ، موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان ، ج9 ، ص 246.

(6) ـانظر : المنهج الصوفي عند عبد السلام الأسمر ، مجلة الجامعة الأسمرية ، العدد 11 ، ص 214

هو العلم كله[1] ، وتتمثل الآداب في : أدب المريد مع شيخه ، وأدب المريد مع إخوته وسائر الناس .

ثانيا : آداب المريد :

أولا : آداب المريد مع شيخه

يرى الأسمر تبعا لمنهج المدرسة الشاذلية أن أدب المريد مع شيخه يتمثل في خمسة قواعد هي :

1 ـ اتباع أوامر شيخه وإن ظهر له خلافه ... وإنما لزم المريد اتباع أمر شيخه لما فيه من المصالح العامة ، ولو لم يكن فيه إلا خروجه من مراده لما في ذلك من الخروج عن الهوى .

2 ـ حفظ حرمة شيخه حاضرا أو غائبا ، حيا أو ميتا ، فمن حفظ حرمة شيخه حفظ الله حرمته ، ومن أهانها أهانه الله تعالى .

3 ـ اجتناب الهوى ، وإن ظهر للتلميذ خلاف ما قصده الشيخ ، فوجب ترك نظره لنظر شيخه فيما أمره به ونهاه عنه ، لأنه أعلم بالمصالح والمضار ، فيمتثل أمره ، ويجتنب نهيه ، وإن كان في ذلك حتف أنفه

4 ـ القيام بحقوقه بقدر الإمكان بلا تقصير .

5 ـ عزل عقله وعلمه ورئاسته ، إلا ما يوافق ذلك من شيخه[2]

ولكن هذه الآداب قد ينتقدها بعض الناس ، بحجة أنها تعني الطاعة العمياء للشيخ والمحو الكامل لشخصية المريد ، والقضاء التام على إرادته وحريته واختياره ، ويجاب على ذلك : بأنه لا ضير في ذلك مادام الشيخ المربي تتوافر فيه الصفات الحسنة ، من العلم الصحيح والذوق الصريح ، والهمة العالية ، والحالة المرضية ، والبصيرة النافذة ، فإن طاعة من هذا وصفه تكون طاعة لله ورسوله كما قال تعالى :

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ أَمْراً أَن تَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَّعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلاً مُّبِيناً ﴿٣٦﴾﴾[3]

ثانيا : آداب المريد مع إخوانه :

---

(1) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس الأقصى ، ص 313 .
(2) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس ، ص 319 ، 320 .
(3) ـ سورة ، الأحزاب ، آية : 36.

ذكر الأسمر أن أدب المريد مع إخوانه هي نفس آدابه مع شيخه ، ويستطرد قائلا: ولا يقال إن بعض الآداب اللازمة للمريد مع شيخه قد تكون مع الإخوان لتفاوت الحقوق ، ولكن الشيخ الأسمر أورد حكمها لتفاوت الحقوق ، ورب أخ بمنزلة الشيخ فيعطى حقوق الأدب ، ثم زاد على هذه الشروط فيما يختص بالإخوان شرطين هما :

1 ـ الانصاف ، لأنه به تقع المساعدة والموافقة.

2 ـ النصيحة ، لأن بها يحصل الانقياد والقبول.[1]

بالإضافة إلى هاتين الشرطين، توجد أوصاف أخرى على المريد أن يتحلى بها مثل : أن يلزم المريد الصمت عن الكلام الذي لا يفيد، والصبر عن المعصية، والرضا بما قدر الله تعالى، والخدمة بالنية والجد والابتهال، وقراءة أحزاب الشاذلي، وقراءة الفاتحة كل يوم للشيخ وإخوانه وجملة المشايخ[2]

وبعد أن ذكر الأسمر آداب المريد مع شيخه ومع إخوانه أكد أنه ينبغي للمريد أن يتجنب أمور عدة منها :

1 ـ أن يوطن خاطره على شيء من الاعتراض على الله تعالى ، وتعاطي التدبير معه، والتبرم بأحكامه المؤلمة في نفسه أو غيره .

2 ـ أن يسرح لسانه بالشكوى إلى الخلق ، والعيب لما يوافق هواه ، أو نقص في نظره مما يراه من الحق.

3 ـ أن يعلق قلبه بشيء من الاعتراض على المشايخ والأولياء ، وأن يترك تعظيمهم ، وأن لا يقبل إشاراتهم فيما يشيرون به عليه .

4 ـ أن يتصدر للتعليم والهداية والأمر والولاية .

5 ـ محبته للاستتباع والرياسة وتربية للجاه .

6 ـ نزوله عن مقتضيات الحقيقة إلى رخص الشريعة .

7 ـ أن يميل إلى أهل الدنيا ، وأن يتقرب إليهم أو يصاحبهم .

8 ـ تناول الشهوات واللذات ، والميل إلى المألوفات والمعتدات ، والركون إلى الدعة والراحات ، وارتكاب الشبه والتأويلات ، فإن حال المريد يقتضي مباينته لهذا كله وإن كان بعض ذلك مباحا في رخص الشرع لعامة الناس .

وبالجملة يرى الأسمر أن الآداب اللازمة للمريد عامة ظاهرة وباطنة ، وآداب الظاهر تبع لآداب الباطن ، وآداب الباطن هي التحلي بمحاسن الأخلاق كلها ... ولا

---

(1) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس ، ص 321.

(2) ـ انظر : المنهج الصوفي عند عبد السلام الأسمر ، مجلة الجامعة الأسمرية ، العدد 11 ، ص 216 .

يحصل للمريد ذلك بعد توفيق الله تعالى وتأييده إلا بالرياضة والمجاهدة[1] ، ثم نقل الأسمر قول ابن عطاء ـ ﷺ ـ : ((النفس مجبولة على سوء الأدب ، والعبد مأمور بملازمة الأدب ، فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة ، والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة ، فمن أطلق عنانها فهو شريكها في فسادها))[2]

ثم قال ولهذا كله يحتاج المريد إلى صحبة المشايخ والتأدب بآدابهم واتباع أوامرهم ونواهيهم لأنه إن لم تجر أفعاله على مراد غيره لا يصح له الانتقال عن الهوى ولو بلغ في الرياضة والمجاهدة كل مبلغ وذلك لكثافة حجاب نفسه ، وقد سئل الدقاق ـ ﷺ ـ بماذا يقوم الرجل اعوجاجه ؟ فقال : بالتأدب بإمام فإن لم يتأدب بإمام بقي بطالا فإذا دام العبد على ذلك تزكت نفسه ، وطهر قلبه ، وتهذبت أخلاقه ، وظهر على ظاهره أنوار ذلك ، فتكون حركات ظاهره وباطنه مزمومة بزمام الأدب حتى تنتهي به المحافظة إلى اجتناب أمور غير مستنكرة في ظاهر العلم ويكون ترك المحافظة عليها ذنبا من مثله ، وقد يعاب عليه وقد يعاقب من أجله[3]

وممعن النظر في هذه الأمور يجد مدى تأثر الشيخ الأسمر بابن عطاء الله السكندري ، والمدرسة الشاذلية

المطلب الثالث : العهد وأهميته في المنهج التربوي :

أولا : العهد :

العهد في المفهوم الصوفي هو صورة من صور الالتزام بين المريد والشيخ على التوبة والاستقامة والإنابة والتوجه إلى الله تعالى ، وما يتبع ذلك من الالتزام بالعبادات والفروض والنوافل والمجاهدات والذكر وعدم الغفلة عن ذلك ، والبعد عن الشهوات ومحاسبة النفس والإقبال على الله ، فيتحقق بهذا الالتزام التأكيد على الانتقال من حال إلى أخرى ، ومن مرحلة إلى مرحلة جديدة في حياة المريد السالك[4] ، فعندما يريد أن يلتزم شخص ما بالطريقة الصوفية فعليه أن يجلس أمام شيخه ويبايعه على التوبة من الذنوب والالتزام بطاعة الله ﷻ وأن يكون سيره على مذهب شيخ من شيوخ الإرشاد

---

(1) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس الأقصى ، ص 293.
(2) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس الأقصى ، ص 293 ، ورد هذا النص في الرسالة القشيرية ، ص 151 وما بعدها.
(3) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس الأقصى ، ص 294 ، 295 .
(4) ـ انظر : الأزهري ، موسوعة تصحيح المفاهيم والأفكار في قضايا حارت فيها الأمة وفقا لمنهج أهل السنة والجماعة ، ج 1 ، ص 224.

كالشيخ عبد القادر الجيلاني أو الشيخ أحمد الرفاعي[1] ، أو غيرهم ، ومن هنا يرى الأسمر أن العهد من الأمور اللازمة لعملية التربية ، لأنه إذا كان الطريق إلى التربية الصوفية يتشكل من شيخ ومريد ، فإن الذي يربط بينهما هو العهد ، فهو أوثق رباط بين رجلين تحابا في الله ، وتعاهدا على طاعته[2] ، وذلك مصداقا لقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه)[3] ، ومن هنا كان النبي ـ ﷺ ـ يأخذ العهود ، ويبايع الناس على الطاعة ، حتى كان يأخذ على النساء كما ورد بذلك القرآن ، وأقر النبي ـ ﷺ ـ على الأخذ به والعمل به[4] ، لذلك قال العارف بالله السيد حسين برهان الدين الرفاعي قدس الله سره[5] ، حين سئل عن سر البيعة فقال : حد من حدود الحق يقف عنده أهل الصدق الذين صدقوا ما بايعوا الله عليه وما عاهدوا الله عليه فخافوا سؤله وعظموا جلاله فتغلب على قلوبهم سلطان الهيبة وأخذهم من علة نفوسهم إلى حضرته العلية فانطمست قوابس أوهامهم بأشعة أنوار عظمته فإذا سول لهم الشيطان خروجا أو دخولا وقفوا على قدم الاستقامة ذاكرين الله قائلين؟[6] ،

﴿وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾﴾[7]

---

(1) ـ أحمد الرفاعي مؤسس الرفاعية: هو الإمام، القدوة العابد، الزاهد، شيخ العارفين، أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد الرفاعي المغربيُّ ، انظر : عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج11 ، ص228 .

(2) ـ انظر : المنهج الصوفي عند عبد السلام الأسمر ، مجلة الجامعة الأسمرية ، العدد 11 ، ص 216 ، وانظر : رسالته إلى أصحابه بسوس ، ص 297 ، 299 .

(3) ـ البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب الآذان ، باب من جلس في المسجد ، رقم الحديث 620 ، ج1 ، ص 133

(4) ـ انظر : محمد بن ظافر الطرابلسي ، النور الساطع والبرهان القاطع في أحوال الصوفية اللوامع ، ص 7 ، 8 .

(5) ـ حسين برهان الدين الرفاعي الخالدي الصيادي قطب مدار الفضائل، ومجمع أسنى الشمائل، مصباح ذوي العرفان، ومفتاح غيب كعبة الوجدان، الحسيب الذي علا حسبه ذروة العلا، والنسيب الذي اشتهر نسبه بين الملا، من سراة لهم السر الأعلى، انظر : عبد الرزاق البيطار ، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، ج1 ،ص 72 .

(6) ـ انظر : يوسف خطَّار ، الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية ، ن : منشورات منتديات دار الإيمان ، ج 23 ، ص 1 .

(7) ـ سورة ، الإسراء ، آية : 34.

يقول الأسمر : ((أخذ العهد له أصل في الشرع العزيز ، لأن الله تعالى أخذه من الأرواح ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾[1]

قال : هلموا أعاهدكم ، وإليه الإشارة بقول العلماء : يوم ألست بركم ... فمن نسي عهد الله تعالى انتقم الله منه بناره ، ومن أوفى بالعهد كان من أهل الجنة ... والحاصل أن أخذ العهد له أصل في الكتاب والسنة والإجماع))[2] ، ((ولابد من تصحيح النية عند أخذ العهد ، وهو السر في جميع ما تقدم وما سيأتي لأن الصوفية قالت : النية هي المطية ، ومن لم تكن له نية فليست له مطية ، وهذا عند أخذ التلقين والتوبة على يد شيخ أو نقيب مأذون))[3]

وهكذا يرى الأسمر أن أخذ العهد على المريد من أهم أصول التربية الصوفية .

ثانيا : أهمية العهد وفوائده في المنهج الصوفي :

قد يتساءل بعض الناس : ما الهدف من العهد ؟ ألا يكفي النصح والإرشاد وقبول ذلك وانشراح الصدر له والسمع والطاعة والتوبة من المعاصي والتزام الطاعات ؟

فنقول : إن ذلك كله مطلوب وواجب ، ولكن وجود العهد مع الشيخ المربي يكون بمنزلة الإلزام على ذلك المنهج ، وهو عبارة عن رابطة قلبية وروحية بين المريد والشيخ يقتبس منها المريد النور الذي يضيء له الطريق في السير والسلوك إلى الله فمع وجود العهد يشعر الإنسان بضرورة الالتزام بالمنهج والطريق وأهمية المحافظة على التوبة والطاعة والقربات ، وإلا فسوف يتحول الأمر في كثير من الأحيان إلى جلسات أسبوعية من الوعظ والذكر قد يلتزم بها الشخص وقد لا يلتزم ، وربما ألحق ذلك غفلة وانقطاعا وتقصيرا وإهمالا ، أما مع وجود العهد والبيعة مع الشيخ العارف المربي على الطاعة لله ورسوله والالتزام بآداب الطريق من التحلي بالأخلاق والآداب والتخلي عن الرذائل والمحافظة على حدود الشريعة ظاهرا وباطنا ، والمداومة على الذكر تجعل كل ذلك أمرا واجبا ، وتصير الأذكار والأوراد من ذكر الله والصلاة على رسول الله ـ ﷺ ـ من الواجبات التي يجب أن يلتزم بها كل من سلك طريق التصوف

---

(1) ـ سورة ، الأعراف ، آية : 172.

(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس ، ص 324 ، وللاطلاع على مزيد من أدلة القوم راجع النور الساطع ، ص 5 وما بعدها.

(3) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس ، ص 323 .

...[1] ، وقد أصبحت الحاجة ملحة في أيامنا هذه إلى سلوك طريق التصوف بوصفه منهجا تربويا وتعبديا واشتدت الحاجة إلى شيوخ مربين يتولون التربية والإرشاد مما يجنب العبد المسلم الانزلاق في طرق أو مناهج معوجة أو منحرفة أو باطلة ، فالعهد وما ينتج عنه يفتح أبواب الخير ويغلق أبواب الشر في الدين والدنيا معا [2]

وخلاصة ما ذكر :

أن أصول الطريقة التي ازدهرت بسبب سيدي عبد السلام له بداية ونهاية فبدايته سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ ونهايته سيدي أحمد بن عروس التونسي وبينهما ظهرت شيوخ وضعت على طريق التصوف معالم هداية ومنارات إرشاد ، أولهم الإمام الجنيد الذي أجمع المؤرخون أن كل الطرق التي صبت في الطريقة العروسية نهلت من معينه الصافي وعذب روحانيته الرقراق ، وثانيهم سيدي عبد القادر الجيلاني الذي شيد على ما أسسه الإمام الغزالي من مفاهيم سليمة عن التصوف الإسلامي الصحيح ... وثالثهم سيدي أبو الحسن الشاذلي الذي خطا بالتصوف العملي خطوات فسيحة ضاربا عرض الحائط بكل التعقيدات النظرية التي علقت بالتصوف أثناء طريقه الطويل[3]

المطلب الرابع : منهج الطريقة عند الأسمر :

بعد الحديث عن أصول الطريقة بقي أن أتكلم عن المنهج المتكامل لها .

وبنظرة عريضة لأصل الطريقة والمنابع الروحية التي صبت فيها حتى وصلت إلى سيدي عبد السلام الأسمر تتضح أصول المنهج لهذه الطريقة المستقيمة .

لقد دأب شيوخها المخلصون من أول الذين تربوا على يد رسول الله ـ ﷺ ـ إلى سيدي عبد السلام الأسمر على اتباع المنهج الذي ارتضاه الله لعباده شرعة ودينا ، وهذا المنهج موجود في آيات كتاب الله تعالى وسنة رسوله ـ ﷺ ـ كما عملوا أيضا على استنباط منهج سلوكي من مصادر الشريعة دأبوا عليه وألزموا به أنفسهم والأتباع الذين ينتمون إليهم .

---

(1) ـ ولا يقال هنا بأن الصوفية قد أوجبوا على أنفسهم ما لم يجبه عليهم من العبادات ، وإنما هذا الالتزام من باب قوله تعالى : ((يوفون بالنذر)) ، وقوله : ((وأوفوا بالعهد إذا عاهدتم)).

(2) ـ انظر : الأزهري ، أشرف سعد الأزهري ومجموعة من الباحثين ، موسوعة تصحيح المفاهيم والأفكار في قضايا حارت فيها الأمة وفقا لمنهج أهل السنة والجماعة ، ن : دار الفلك ، القاهرة ، ج 1 ، ص230 بتصرف.

(3) ـ انظر : أبو السعادات ، أحمد أحمد شبل أبو الساعادات ، العارف بالله ، عبد السلام الأسمر وآراؤه في التصوف ، رسالة دكتوراه ، نوقشت في سنة ، 1976 م ، بكلية أصول الدين ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، تحت اشراف : محي الدين أحمد الصافي ، ص 563 .

لذلك فقد كانوا دائما محافظين على كتاب الله تلاوة وحفظا وفهما ، وعلى سنة رسول الله ـ ﷺ ـ دراسة وتمحيصا وعلى بقية مصادر الشريعة المعتمدة يأخذون من كل ذلك قواعد المنهاج السلوكي لطريقتهم ، فسيدي الجنيد ـ رضي الله عنه ـ كان دائم المجاهدة لنفسه دائم العمل على مداومة الصلة بخالقه على ضوء المنهاج التشريعي المأخوذ من أوامر الشريعة ونواهيها ، ومباحها ومحظورها وحلالها وحرامها ، وما هو مفروض فيها وما هو واجب أو مسنون أو مندوب ، لذلك كان يقول : (علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث فلا يقتدى به في هذا الأمر)[1]

وعلى هذا المنهج سار سيدي عبد السلام الأسمر ، فتكامل هذا المنهج السلوكي على يديه وأظهره في ثوبه اللائق به ، وإن كان به مواد ظلت تحمل أسماء أصحابها كالأحزاب[2] ، الشاذلية والوظيفة الزروقية[3]

ولما كانت الطريقة العروسية التي تم منهجها على يد سيدي عبد السلام الأسمر كالمصب الذي صبت فيه المنابع الصوفية مثل الإمام الجنيد الذي أسس بنيان طريقته على قواعد الدين وأسس الشريعة الغراء ، والإمام الشاذلي الذي أفاض على التصوف بالكثير من الأحزاب التي تعد مرجعا للتصوف المعاصر ، وكذلك تأسيس طريقته على الأصول الخمسة المعروفة ، التي ذكرها الإمام النووي في كتابه المقاصد وهي : (تقوى الله في السر والعلانية، واتباع السنة في الأقوال والأفعال، والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار، والرضا عن الله تعالى في القليل والكثير، والرجوع إلى الله في السراء والضراء.

فتحقيق التقوى: بالورع والاستقامة، وتحقيق اتباع السنة: بالتحفظ وحسن الخلق، وتحقيق الإعراض عن الخلق: بالصبر والتوكل، وتحقيق الرضا عن الله: بالقناعة والتفويض، وتحقيق الرجوع إلى الله تعالى: بالشكر له في السراء والالتجاء إليه في الضراء.

وأصول ذلك كله خمسة: علو الهمة، وحفظ الحرمة، وحسن الخدمة، ونفوذ العزيمة، وتعظيم النعمة)[4] .

---

(1) ـ القشيري ، الرسالة القشيرية ، ج 1 ، ص 79 .

(2) ـ الأحزاب جمع حزب وهو : ما يعتاده المرء من صلاة وقراءة ودعاء وتسبيح ، انظر : المعجم الوسيط ، ج 1 ، ص 176 .

(3) ـ انظر : الأسمر ، الأنوار السنية والمنن البهية في طريق أهل الله الصوفية ، تح : صالح الجعفري ، ن : دار الطباعة المحمدية ، ص 32 .

(4) ـ النووي ، شرح المقاصد النووية ، ن : دار البشائر الإسلامية ، دمشق ، ط 3 ، ص 165

هذه الفيوضات وغيرها صبت في الطريقة العروسية الشيء الذي كان له أحسن الأثر في تقنين منهجها العام على ضوء من كتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ لبناء الفرد المسلم الصادق ، وللأمة المسلمة القوية[1] .

وإذا نظرنا إلى منهج الطريقة عند الأسمر فإنا نجد المنهج يتكون من :

أولا : الوظيفة العروسية .

ثانيا : الوظيفة الزروقية .

ثالثا : الحزب الكبير لسيدي عبد السلام الأسمر .

رابعا : حزب الطمس .

خامسا : حزب الخوف .

سادسا : حزب الفلاح .

سابعا : ورد المتجردين .

ثامنا : ورد الطلبة والفقهاء .

تاسعا : ورد أصحاب الفلاحة والأشغال .

عاشرا : أحزاب الإمام الشاذلي

---

(1) ـ انظر : العارف بالله ، عبد السلام الأسمر وأراؤه في التصوف ، ص 577 ، وما بعدها .

المبحث الخامس : مراتب التزكية وأساليبها في رسائل الأسمر :

المطلب الأول : مراتب السلوك في رسائل الأسمر :

لقد اعتنى الشيخ عبد السلام الأسمر بتهذيب نفوس مريديه فجعل لهم مراتب في السلوك يتدربون عليها ، وهي كما يلي :

أولا : تصحيح العقيدة :

اهتم الشيخ الأسمر بالقواعد الأساسية لبناء العقيدة الإسلامية الصحيحة لدى مريديه فهو يقول في معظم مقدمات رسائله ((أوصيكم ونفسي بتقوى الله واتباع سنة رسوله ـ ﷺ ـ التي هي المحجة البيضاء ، وبتصحيح إيمانكم وبالنظر والاستدلال وذلك أول الواجبات)) [1] ، ويقول أيضا : ((فأول ما أوصيكم به معرفة الله تعالى وما يجوز في حقه وما يستحيل))[2] ، في هذه النصوص السابقة دليل واضح على أن قوة الإيمان ونقاء العقيدة والالتزام بالطاعة هو خير وسيلة وأعظم حافظ للمريد من الانحراف فكلما قوي إيمان المريد كلما ازدادت عنده الخشية والخوف من الله ، فتتولد في المريد ملكة المراقبة والمحاسبة فإذا ما تعثر ووقع في المعصية بادر بالتوبة والرجوع إلى الله .

ثانيا : الالتزام بالتكاليف الشرعية :

لقد اقتفى الأسمر آثار مشايخ الصوفية في الالتزام والمحافظة على التكاليف والحدود الشرعية والاستقامة عليها في كل الأحوال ، لأن أنفسهم ذاقت حلاوة العيش في ظل هذه التكاليف ، حينما تعرفت على الله تعالى ،وفي ذلك يقول : ((وأوصيك أيها المريد ... بالمحافظة على فرائض الله ، وبالمجانبة لمحارم الله ، وبالمسارعة إلى الخيرات ابتغاء وجه الله ، وبالمحافظة على الصلوات في جماعة أول الوقت ، وبالخشوع وحضور القلب في جميع الصلوات ، فإن المصلي مع الغفلة وشغل القلب بحديث الدنيا لا يعد عند الله من المصلين ، وبإخراج الزكاة إن كان عندك مال يجب فيه إخراجها وأنت طيب القلب مسرور بذلك ، وضعها حيث وضعها الله في الفقراء والمساكين ، ولا تطلب على ذلك ثناء منهم ولا من غيرهم ، ولا تعمل إلا لوجه الله ... فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما هو خالص لوجهه ، ويقول : وعليكم بالمحافظة على الصلوات الخمس ، فإنها عماد الدين ، وهي من الدين بمنزلة الرأس من الجسد ، ومن المحافظة عليها أن تصلى أول الوقت ، وفي جماعة ما أمكن ، ورأس المحافظة

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بطرابلس ، ص 214 .

(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس الأقصى ، ص285 .

حضور القلب فيها ، وقبيح بالمصلي أن يكون جسده بين يدي ربه وقلبه متردد في أودية الدنيا))[1]

ويقول : ((واعلموا رحمكم الله أن الصلاة لا تصح إلا بمعرفة واجباتها ومبطلاتها وسننها ، ولا تكمل إلا بمعرفة مندوباتها ومكروهاتها))[2]

ويقول : ((واعلموا أن للصوم فوائد جليلة منها إجابة الدعاء، ونزول البركة ، وللصائم فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، وعندي أن فرحته عند الفطر إنما هي بلوغه إلى الحالة التي يتيقن بها إجابة الدعاء ،ويرجو حسن الجزاء))[3]

ويقول : ((وعليكم بتجريد النية والقصد لحج بيت الله الحرام وقضاء مناسككم ، وتعظيم حرماته وشعائره ... وعليكم بالإكثار من الطواف بالبيت العتيق ، فإن الطائف به خائض في الرحمة ... وعليكم بإحلال الحلال والأدب فيه))[4] ، ويقول : (إخواني: من أراد النجاة فشروط الطريق الفقه والتوحيد ، والصدق والمحبة ، والفكر والمداومة على النوافل ، والمواظبة على الذكر ، إخواني : خصلتان يبعدان العبد عن ربه أداء نافلة مع تضييع فريضة)[5]

من هذه النصوص يتبين لنا أن الأسمر قد ربط التصوف بالالتزام بالتكاليف الشرعية من حيث إن العلاقة بين الشريعة والحقيقة علاقة وطيدة ،فكل شريعة لا تؤدي بصاحبها إلى حقيقة العبودية الخالصة لله تعالى فغير مقبولة ، ومن ثم ركز في رسائله ووصاياه على توجيه المريد نحو أداء التكاليف الشرعية حق الأداء ، فإن القيام بها على أكمل وجه ينير قلب العبد ، ويزيده معرفة بالله تعالى ، وكلما ازداد معرفة بالله ازداد عبادة له ، ذلك لأن العبادة هي الهدف الأسمى من خلق الإنسان[6] ، كما قال تعالى : ﴿۞ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[7] ، فمن وفَى بحق العبودية ، وفاه الله تعالى عهد الربوبية في أن يحفظه عن الآفات والمحرمات وغير ذلك .

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بتونس ، ص 256 .
(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بالزاوية الغربية ، ص 177.
(3) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس ، ص 285 .
(4) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بتونس ، ص 269 ، 270 .
(5) ـ على هامش سيرة عبد السلام الأسمر ، ص 490 ، 500 .
(6) ـ انظر : المنهج الصوفي عند الشيخ عبد السلام الأسمر ، مجلة الجامعة الأسمرية ، ص 209 ، 210
(7) ـ سورة ، الذاريات ، آية : 56

ثالثا : أن يتعلم المريد ما يحتاج إليه من المسائل الفقهية بقدر ما يؤدي به أركان الإسلام .

يقول الأسمر : ((تعلم العلم يكون فرض عين وهو : بقدر ما يحتاج إليه المسلم لدينه، وهو على ثلاثة أوجه :

1 ـ علم التوحيد : بمقدار ما يعرف به ذات الله تعالى وصفاته على ما يليق به ﷻ ، وما يعرف به تصديق نبيه في جميع ما جاء به من عند ربه .

2 ـ علم التصوف : وهو الذي سماه بعضهم بعلم السر ، أعني ما يتعلق بالقلب ، بمقدار ما يحصل به تعظيم الله تعالى وإخلاص أعماله له تعالى وإصلاحها .

3 ـ علم الشريعة الظاهرة : بمقدار ما يتعلق به فعله كالطهارة ، والصوم ، والصلاة ، والزكاة ، والحج ، ونحوها من أبواب الفقه ، وفرض كفاية وهو : ما زاد عليه لنفع غيره ، ومندوب وهو : التبحر في الفقه وعلم القلب ، وحرام وهو : علم الفلسفة والشعبذة والتنجيم والرمل والقرعة والتقازة إلى غير ذلك))[1] .

رابعا : أن يتوجه المريد إلى تزكية النفس ، وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب وتنقية السر ، ولا يكون ذلك إلا على يد شيخ يسير على قدم النبوة قد استحكم علوم الشريعة .

وهكذا لو نظرنا إلى رسائل الأسمر نجد أنه يدعو أولا إلى الإنطلاق من أوامر الشريعة ، والإلتزام بحدودها وأركانها ، بتطبيق دين الإسلام أصولا وفروعا ، واجتناب ما نهت عنه الشريعة باطنا وظاهرا ، وهذه الدعوة يجب أن تكون هي حال كل مسلم فضلا عن المتصوف السالك لطريق القوم ، فالصوفي في نظر الأسمر هو من تحقق بأحكام الشريعة ظاهرا وباطنا بالمحافظة على ما افترضه الله عليه .

المطلب الثاني : أساليب التزكية في رسائل الأسمر

ليس في غير الكتاب والسنة والإيمان الصحيح طريق للتزكية ، ولقد امتن الله تعالى على عباده إذ أرسل لهم رسوله بكتاب قويم يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فقال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾[2]

---

(1) ـ الأسمر، رسالة إلى أصحابه بمالي ، ص 237 .

(2) ـ سورة الجمعة، آية : 2.

إن من أهم عناصر البناء الروحي عند الأسمر ووسائل تطهير النفس وتزكيتها من أدرانها هي :

التوبة والذكر ومخالفة النفس ومجاهدتها بالطاعة وسلامة الصدر والعزلة والعلم الذي يأخذه المريد من الشيخ ، فهو يوصي مريديه في جميع رسائله بقوله : ((وعليك بالإكثار من الذكر فإنه ينور القلب ، ويشرح الصدر ، ويمحق الذنب ، وخصوصا قول لا إله إلا الله أكثر منها جدا ... وأوصيك بالتواضع وترك الكبر في الظاهر وإخراجه من القلب ... وكن سليم الصدر على جميع المسلمين ، واجتهد أن لا يكون في قلبك على أحد منهم بغض ولا حقد ولا احتقار ولا استهانة ولا حسد ، فبذلك صار الأبدال أبدالا ، وهي من أمهات صفاتهم وكذلك السخاء والتواضع والرحمة بالمسلمين))[1] ، وإليك تفصيل ذلك :

أولا : التوبة :

تعريف التوبة لغة : التوبة مصدر قولك : تاب يتوب وهو مأخوذ من مادة (ت و ب) التي تدل على الرجوع ، يقال : تاب من ذنبه ، أي رجع عنه توبة ومتابا ، والوصف منه تائب ، يقال : تاب الله عليه أي قبل منه التوبة والتائب يقال لباذل التوبة ولقابل التوبة فالعبد تائب إلى الله ، والله تائب على عبده ، والتواب العبد الكثير التوبة ، وذلك بتركه كل وقت بعض الذنوب على الترتيب حتى يصير تاركا لجميعها ، وقد يقال لله عز وجل ذلك أي تواب وذلك لكثرة قبوله توبة العباد حالا بعد حال[2] .

والتوبة اصطلاحا : هي ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه والعزيمة على ترك المعاودة ، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة .

وقيل : هي الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب ، ثم القيام بكل حقوق الرب ، وقيل : التوبة الاعتراف والندم والإقلاع[3]

ولما كانت التوبة منزل من منازل السالكين وأول مقام من مقامات المنقطعين إلى الله ، من هنا يرى الأسمر أن من أهم أساليب التزكية التي يبدأ بها المريد هي التوبة إلى الله ،فإصلاح النفوس يكون بسرعة التوبة ، وهذا مبدأ تربوي قد سارت عليه جميع مدارس التربية في الإسلام ، فالاعتراف بالذنب اعتراف بالعجز والنقص

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى محمد بن عبد الكريم الشاذلي ، ص 134 ، 135 .
(2) ـ انظر : الراغب ، المفردات ، ص 75 ، وانظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج 1، ص 454.
(3) ـ انظر : الجرجاني ، التعريفات ، ص 74 ، وكشاف اصطلاحات الفنون ، ج 1 ، ص 231 .

والتوبة منه ، هي أول الطريق إلى الله وهي التي يأخذ عليها العهد من الشيخ ، يقول الأسمر : ((وعليك بتجديد التوبة وبالإكثار من الاستغفار في كل حين ، والزم قلبك شهود التقصير منك من القيام بواجب حق مولانا عليك ، وإن عبدته عبادة الأولين والآخرين))[1] ، ((إخواني : بادروا بالتوبة كل يوم وليلة ... فالتوبة واجبة عليكم وأنتم مأمورون بها ، فالعجل العجل ، والتوبة قبل أن يدركم الموت ... فالموت قريب منكم فتوبوا وأكثروا من الاستغفار في العشي والإبكار ، إخواني : تيقظوا من نومكم وانتبهوا من غفلتكم وأخلصوا أعمالكم وعليكم بالسهر والعزلة والجوع وكسر النفس فمن لم تكن فيه هذه الخصال وأوصاف أهل السنة فهو تائه عن طريق الحق ، فالتوبة هي حقيقة الإسلام ، والدين كله داخل في مسماها ، وبها استحق التائب أن يكون حبيب الله فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين))[2] ، ((إخواني : ومن شروط التوبة : الندم على ما فات ، وأن ينوي التائب أن لا يعود إلى ذنبه فيما بقي من عمره ويترك المعصية من ساعته التي تاب فيها ولو كان متلبسا بها ، ويرد المظالم إلى أهلها ولو كانت في عضو أو قتل نفس ، وغض الأبصار عن المحارم ، واجتناب جميع المعاصي والجرائم))[3]

ولا يخفى أن وجه الدعوة هنا عند الأسمر هو دعوة للتمسك بهدي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قال : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ))[4]

ثانيا : تصحيح مقام التقوى :

تعريف التقوى لغة : التقوى هي الاسم من قولهم اتقى والمصدر الاتقاء وكلاهما مأخوذ من مادة (و ق ى) التي تدل على دفع شيء عن شيء بغيره ، يقال : وقيت الشيء أقيه وقيا ، والوقاية ما يقي الشيء ، والاتقاء اتخاذ الوقاية وهو بمعنى التوقي ، يقال : توقيت الشيء واتقيته بمعنى ، ومعنى قولهم : اتق الله : توقه أي اجعل بينك وبينه كالوقاية ، قال الراغب : الوقاية : حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره وهي بهذا المعنى مصدر مثل الوقاء ، والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف ، هذا تحقيقه ،

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى سعيد بن عبد الحميد الغدامسي ، ص 132.
(2) ـ على هامش حياة عبد السلام الأسمر ، ص 461.
(3) ـ الأسمر ، الوصية الكبرى ، ص 5 .
(4) ـ مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب الآداب ، باب استحباب الإستغفار ، رقم الحديث 6958 ، ج 8 ، ص 72.

ثم يسمى الخوف تارة تقوى ، والتقوى خوفا ، حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه[1]

التقوى اصطلاحا : قال الجرجاني : التقوى في الطاعة يراد بها الإخلاص وفي المعصية يراد بها الترك والحذر ، وقيل هي : الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته وصيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك ، وقيل : هي المحافظة على آداب الشريعة ومجانبة كل ما يبعد المرء عن الله تعالى ، وقيل : هي ترك حظوظ النفس ومباينة الهوى[2] .

يقول الأسمر : ومن أحكم مقام التقوى صلح وتأهل لعلم الوراثة ، وهو العلم الذي يقذفه الله في قلوب أوليائه ، لا تحويه السطور ولا تفيده الدروس ، وقد حرمه الله على أهل النفوس ، أعني المظلمة الشغوفة بإصلاح المطعوم والمنكوح والملبوس ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨١﴾ ﴾[3] ، وبقول رسول الله ـ ﷺ ـ (من عمل بما علم أورثه الله علم ما لا يعلم)[4] ، وهو ثمرة العمل المستفاد من الكتاب والسنة[5] ، يقول الأسمر : ((والتقوى مراتب أولها : اتقاء المعاصي والمحرمات ، وهو فرض لازم ، ثم الاتقاء عن الأمور المشتبهات ، وهو ورع حاجز ، ثم عن فضول المباحات ، أعني كلما يكون الغرض في استعماله مقصورا عن قضاء الشهوات ، وهو زهد بالغ إن كان مقرونا بالراحة والرغبة ، وتزهد إن كان مع الكراهة والمجاهدة ، وكل من اتقى شيئا حياء من الخلق أو خوفا منهم أو طمعا فيهم فهو متق لهم وليس بمتق لله ، إنما المتقي لله من يتقي ما يتقي طلبا لمرضاته ، ورغبة في ثوابه ، ورهبة من عقابه))[6]

ثالثا : التفكر والتدبر في آيات الله

---

(1) ـ انظر : الراغب ، المفردات ، ص 530 ، والمقاييس ، ج 6، ص 13.
(2) ـ انظر : الجرجاني ، التعريفات ، ص 65 ، وانظر : الأصفهاني ، المفردات ، ص 530 .
(3) ـ سورة ، البقرة ، آية : 281.
(4) ـ أخرجه أبو نعيم في الحلية ، بختلاف في بعض ألفاظه ، ج 10، ص 15.
(5) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى عبد الحميد العوسجي ، ص 152 .
(6) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الحميد بن علي العوسجي ، ص 152.

تعريف التفكر لغة : التفكر مأخوذ من مادة (ف ك ر) التي تدل على تردد القلب في شيء ، يقال تفكر إذا ردد قلبه معتبرا[1] ، ولفظ التفكر مصدر لتفكر أو اسم مصدر من فكر التي مصدرها التفكير ، والفكر التأمل وإعمال الخاطر في الشيء[2]

والتفكر اصطلاحا : هو تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب[3]

يقول الأسمر : (عليك بالفكر في آيات المملكة الربانية ، وعجائب القدرة الإلهية ، وفي النعم الواصلة إليك والمسداة عليك ، وفي الفكر في الدنيا والآخرة التي هي المنقلب والمصير ، وفي الذنوب والتقصير في خدمة الإله القدير ، ومما استحسن أن لا يخلي الإنسان يومه وليلته من ساعات أو ساعة بعينها للتفكر ، وحسن أن يجعل للفكر في عجائب القدرة ساعة من جوف الليل ، وللتفكر في النعم ساعة من أول النهار ، وللتفكر في الدنيا والآخرة ساعة من آخره ، أو من أول الليل ، ويلحق بتفكره في الدنيا تفكره في ذنوبه وخطياه ، وتقصيره في عبادة مولاه)[4] ، في هذا النص السابق دليل واضح بأن الأسمر يرى أن طهارة النفس لا تتحقق إلا بإصلاح الفكر لأن الفكر في آيات الله تتولد منه المعرفة بالله ، لذلك فهو يدعو إلى التدبر في آيات الله الكونية حتى يميز المريد بين الحق والباطل في الاعتقاد ، وبين الصدق والكذب في المقال ، ثم إن التفكر في الذنوب مما يعين المريد على المواظبة على الطاعات الظاهرة والباطنة ، وعلى هذا يكون التفكر في آيات الله تعالى من أهم الأمور التي تعين المريد على تزكية نفسه ومراقبة ربه .

رابعا : الإكثار من الذكر باللسان والقلب

يقول ابن فارس : (الذال والكاف والراء) أصلان عنهما يتفرع كلم الباب ، المذكر التي ولدت ذكرا ، والمذكار : التي تلد الذكران عادة والأصل الآخر ذكرت الشيء خلاف نسيته ، ثم حمل عليه الذكر باللسان[5] ، كما يطلق الذكر على معان أخر منها :

الصلاة لله تعالى ، والدعاء إليه ، ويطلق أيضا على الطاعة والشكر والدعاء والتسبيح وقراءة القرآن ، وتحميد الله وتهليله وتسبيحه والثناء عليه بجميع محامده ،

---

(1) ـ مقاييس اللغة ، ج 4 ، ص 446 .
(2) ـ انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج 5 ، ص 65.
(3) ـ الجرجاني ، التعريفات ، ص 66 .
(4) ـ الأسمر ، رسالة إلى راشد بن يحي المحجوبي ، ص 147 .
(5) ـ انظر : المقاييس ، ج2 ، ص 357 .

والذكر أيضا : الكتاب الذي فيه تفصيل الدين ووضع الملل وكل كتاب من الأنبياء ذكر ، ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[1] ، وحمل على خصوص القرآن وحده[2]

الذكر اصطلاحا : التخلص من الغفلة والنسيان[3] ، يقول الراغب : الذكر ذكران ذكر بالقلب وذكر باللسان[4]

منزلة الذكر : يبين ابن القيم[5] ، منزلة الذكر بقوله : هو منزلة القوم الكبرى التي التي منها يتزودون وفيها يتجرون وإليها دائما يترددون ، والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل ومن منعه عزل ، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورا ، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورا وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق ، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب ، والسبب الواصل ، والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب[6] ، ويقول الفخر الرازي[7] : المراد بذكر اللسان الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد ، والذكر بالقلب : التفكر في أدلة الذات والصفات وفي أدلة التكاليف من الأمر والنهي حتى يطلع على أحكامها ، وفي أسرار

---

(1) ـ سورة ، الحجر ، آية : 9.
(2) ـ انظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ج6 ، ص 376 ـ 378 ، والقاموس المحيط ، ج2 ، ص 36
(3) ـ انظر : ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح : عاطف صابر شاهين ، ن : دار الغد الجديد ، القاهرة ، ط 1 ، 1435 هـ ، 2014 م ، ج2 ، ص 451 .
(4) ـ انظر : المفردات ، ص 179 .
(5) ـ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) ، انظر : ابن الغزي ، ديوان الإسلام ، ج1 ، ص75.
(6) ـ انظر : مدارج السالكين ، ج2 ، ص 440 ـ 441 .
(7) ـ هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن علي التيمي البكري الملقب بفخر الدين الرازي ، أخذ عن والده الفقه والأصول ، وبعد وفاته قصد الكمال السمعاني وأخذ عنه مدة ، كما أخذ علم الكلام والحكمة على مجد الدين الجيلي ، حتى فاق أهل زمانه في علم الكلام وغيره من العلوم العقلية ، توفي سنة (606 هـ) ، انظر : الوفيات ، ج 1، ص 474، ولسان الميزان، ج 4، ص 426، وطبقات الاطباء ، ج 2 ، ص 23 .

مخلوقات الله ، والذكر بالجوارح: هو أن تصير مستغرقة في الطاعات ومن ثم سمى الله الصلاة ذكرا[1] ، فقال ﷻ : ﴿ فَاسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾[2]

ولقد اتفق الصوفية على أن الذكر ركن قوي في طريق الوصول إلى الحق ﷻ وهو أسلوب من أساليب التزكية عند الأسمر لأنه لن يصل أحد إلى الله من دون ذكره ، به تتنزل الأنوار وتنكشف الأسرار ، فاتبع الأسمر غيره من العلماء في تقسيم الذكر إلى فردي وجماعي ، وذكر بالقلب وذكر باللسان ورغب فيه وجعله مصباح الأرواح وسوق الأرباح وسبيل النجاة وسلم الوصول إلى الله وأساس تزكية الأرواح ، حيث قال : وعليك بالذكر فإنه المفتاح وسبيل النجاح ومصباح الأرواح وسوق الأرباح واجعل لك وردا من كل ذكر واجعل وردك اللازم الدائم قول : لا إله إلا الله ، فإنها روح جميع الأذكار وإليها يرجع جميع معانيها ، ودم على الذكر لله بالقلب واللسان ، ولاتزال قائلا : لا إله إلا الله ومستحضرا لمعانيها بقلبك ... وعليك بالإكثار من التفكر في الموت وما بعده من أمور الباقية[3] ، وعليك بالفكر في آيات المملكة الربانية وعجائب القدرة الإلهية وفي النعم الواصلة إليك والمسداة عليك وفي الفكر في الدنيا والآخرة التي هي المنقلب والمصير وفي الذنوب والتقصير في حق الإله القدير[4]

والناظر في الأوراد التي يدعو إليها الأسمر يرى كيف أنه أسس هذه الأوراد على عقيدة أهل السنة والجماعة ، فالورد الأسمري يبدأ بذكر الله ثم بالصلاة والسلام على رسول الله ، ثم بقرأة سورة الفاتحة والإخلاص والمعوذتين ، ثم بالأذكار المشتملة على تسبيح الله وتحميده وتعظيمه وتنزيهه ، ويختمه بالصلاة على رسول الله ـ ﷺ ـ والتوسل به في مغفرة الذنوب وستر العيوب[5]

آداب الذكر عند الأسمر :

وهي آداب قبل الشروع وآداب بعد الفراغ من الذكر ، أما التي تلزم المريد قبل الشروع في الذكر فهي التوبة وتنظيف القلب من الغش والكبر والمنكر وشبهها لأن الظلمة والنور لا يجتمعان وترك العوائق والعلائق ومعرفة علم الأبدان والأديان والملبس الحلال والمأكول الحلال وتطيب غير طيب النساء إن تيسر .

---

(1) ـ انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ج 11 ، ص 212 ، قلت : وهذا التفسير مخالف لماعليه الجمهور المفسرين من القول بأن المراد بذكر الله في الآية الخطبة وليست الصلاة .
(2) ـ سورة ، الجمعة ، آية : 9.
(3) ـ انظر : الأسمر، رسالة إلى عبد الرحمن بن عبد المؤمن الفزاني ، ص 127 .
(4) ـ انظر : الأسمر، رسالة إلى راشد بن يحيى المحجوبي المقرحي ، ص 147 .
(5) ـ انظر : الأسمر، رسالة إلى أصحابه بتونس ، ص 275 ، 277 .

وأما التي بعد الفراغ من الذكر فهي الدوام على حضور الذكر في القلب إذا سكت متلقيا للوارد الذي يحصل بعد الفراغ من الذكر عادة وهو السكينة والوقار والحضور والغيبة عما سوى المذكور والغيبة بعد الفراغ من الذكر تسمى عند أهل الطريقة : النومة فافهموا .

والذكر إذا كان بآدابه وشروطه في محله مع أهله يحصل منه جلاء القلب[1] .

شروط الذكر في رسائل الأسمر :

1 ـ حضور القلب.

2 ـ الإخلاص.

3 ـ الذكر بالفاظ النبوية .

ومن شروطه كما يقول الأسمر ألا يصاحب برقص أو تصفيق ولا صراخ ولا تمزيق الإزار ولا إساءات الأدب ، ومن شروط الذاكرين أن يكونوا طاهرين متوضئين ، وأن يتركوا الكلام في أثنائه ، وأن يذكروا بخشوع ووقار ، وألا يكون في ذكرهم لحن ولا إدغام ولا تمطيط ، وأن يضبطوا أنفسهم ما استطاعوا ، ويضيف قائلا : إخواني : لا تبتدعوا ولا تعتقدوا أن الرقص والتصفيق من الدين ولا تفعلوا ما يفعله أهل البدع فإن كل محدثة بدعة[2]

خامسا : تزكية النفس بالمجاهدة والسير والسلوك إلى الله تعالى

تعريف المجاهدة لغة : مصدر جاهد يجاهد مجاهدة ، وهو مأخوذ من مادة (ج هـ د) التي تدل على المشقة يقال : جهدت نفسي وأجهدت ، والجهد الطاقة ، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ ﴾[3] ، قال ابن منظور : الجهد بالفتح والجهد بالضم الطاقة والمشقة وبذل الوسع مصدر من جهد ، والمجاهدة مصدر جاهد .

والمجاهدة فطام النفس عن الشهوات ، ونزع القلب عن الأماني والشهوات[4]

---

(1) ـ انظر : على هامش حياة الأسمر ، ص 383 .

(2) ـ انظر : على هامش حياة الأسمر ، ص 470 وما بعدها.

(3) ـ سورة ، التوبة آية : 80 .

(4) ـ انظر : الجوهري ، الصحاح ، ج 2 ، ص 460 ، ولسان العرب ، ج 3 ، ص 133 .

والمجاهدة اصطلاحا : هي بذل المستطاع في أمر المطاع ، وقيل : أن لا تدع ميسوراً إلا بذلته، ولا تترك مأمورا إلا نازلته[1]، والأصل في المجاهدة قوله تعالى : ﴿وَجَاهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[2]

وهي على أقسام كما يقول القشيري : مجاهدة بالنفس ، ومجاهدة بالقلب ، ومجاهدة بالمال ، فالمجاهدة بالنفس أن لا يدخر العبد ميسورا إلا بذله في الطاعة بتحمل المشاق ، ولا يطلب الرخص والإرفاق ، والمجاهدة بالقلب صونه عن الخواطر الرديئة مثل : الغفلة والعزم على المخالفات ، وتذكر ما سلف أيام الفترة والبطالات ، والمجاهدة بالمال بالبذل والسخاء ، ثم بالجود والإيثار[3]

كيفية المجاهدة :

يقول القشيري : أصل مجاهدة النفس فطمها عن المألوفات ، وحملها على غير هواها.

وللنفس صفتان : انهماك في الشهوات ،وامتناع عن الطاعات ، فالمجاهدة تقع بحسب ذلك ، قال بعض الأئمة : جهاد النفس داخل في جهاد العدو ، فإن الأعداء ثلاثة: رأسهم الشيطان، ثم النفس لأنها تدعو إلى اللذات المفضية إلى الوقوع في الحرام الذي يسخط الرب، والشيطان هو المعين لها على ذلك ويزينه لها ، فمن خالف هوى نفسه قمع شيطانه، فمجاهدة نفسه حملها على اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه ، وإذا قوي العبد على ذلك سهل عليه جهاد أعداء الدين .

أقسام جهاد النفس :

الأول : جهاد الظاهر.

ويقصد به مجاهدة التكاليف الشرعية والمحافظة عليها وإلزام النفس بها ، وهو ما يعرف عند القوم بعلم أعمال الجوارح أو علم الظاهر .

الثاني : جهاد الباطن .

ويقصد به مجاهدة النفس وحملها على خلاف هواها ، وهي لا تكون إلا بالقلب عن طريق التحلية والتنقية ومعرفة الخواظر ، وهو ما يعرف عند الصوفية بعلم أعمال القلوب أو علم الباطن[4] .

---

(1) ـ انظر : المنتهى في نكت أولي النهى ، ص 111.
(2) ـ سورة ، الحج ، آية : 76.
(3) ـ انظر : لطائف المنن ، ج 2 ، ص 564 .
(4) ـ انظر : حسن حنفي ، من البقاء إلى الفناء ، ن : دار المدار الإسلامي ، ج 1 ، ص 769 ومابعدها .

جهاد النفس أربعة مراتب :

حملها على تعلم أمور الدين ، ثم حملها على العمل بذلك ، ثم حملها على تعليم من لا يعلم ، ثم الدعاء إلى توحيد الله ، وقتال من خالف دينه وجحد نعمه ، وأقوى المعين على جهاد النفس جهاد الشيطان بدفع ما يلقى إليه من الشبه والشك ، ثم تحسين ما نهي عنه من المحرمات ، ثم ما يفضي الإكثار منه إلى الوقوع في الشبهات ، وتمام المجاهدة أن يكون متيقظا لنفسه في جميع أحواله ، فإنه متى غفل عن ذلك استهواه شيطانه ونفسه إلى الوقوع في المنهيات[1].

قال الغزالي : ((قد اتفق العلماء على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات ، فالإيمان بهذا واجب ، وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات أو لا يترك فلا يدرك إلا بطريق الشرع ، وطريق المجاهدة والرياضة لكل إنسان تختلف بحسب اختلاف أحواله ، والأصل فيه أن يترك كل واحد ما به فرحه من أسباب الدنيا ، فالذي يفرح بالمال ، أو بالجاه ، أو بالقبول في الوعظ ، أو بالعز في القضاء والولاية ، أو بكثرة الأتباع في التدريس والإفادة ، فينبغي أن يترك أولا ما به فرحه ، فإنه إن منع عن شيء من ذلك وتألم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها ، وذلك مهلك في حقه ، ثم إذا ترك أسباب الفرح فليعتزل الناس ، وليتفرد بنفسه ، وليراقب قلبه ، حتى لا يشغل إلا بذكر الله تعالى والفكر فيه ، وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس ، حتى يقمع مادته مهما ظهر ، فإن لكل وسوسة سببا ، ولا تزول إلا بقطع ذلك السبب والعلاقة ، وليلازم ذلك بقية العمر فليس لجهاد النفس آخر إلا بالموت))[2]

ومراتب جهاد النفس كما جاء في الشواهد أربع مراتب :

وهي كما قال ابن القيم ـ رحمه الله :

الأولى : مجاهدتها على تعلم الهدى ودين الحق.

الثانية : مجاهدتها على العمل به بعد علمه.

الثالثة : مجاهدتها على الدعوة إلى الحق .

الرابعة : مجاهدتها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق .

---

(1) ـ انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ج 11 ، ص 338 ومابعدها .

(2) ـ الإمام أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ن : مكتبة الصفا ، ج 3 ، ص 67 ، 69 .

ثم قال عقب ذلك : فإذا استكمل المسلم هذه المراتب الأربع صار من الربانيين ، فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانيا حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلمه ، فمن علم وعمل وعلم فذاك يدعى عظيما في ملكوت السموات[1]

سادسا : المراقبة :

المراقبة لغة : مصدر قولهم : راقب مراقبة وهو مأخوذ من مادة رقب التي تدل على انتصاب لمراعاة شيء ، ومن ذلك الرقيب وهو الحافظ ، والمرقب المكان العالي يقف عليه الناظر ، قال ابن منظور : راقب الله تعالى في أمره أي خافه ، ورقبه يرقبه رقبة ورقبانا ، بالكسر فيهما ، ورقوبا ، وترقبة ، وارتقبه : انتظره ورصده ، وارتقب : أشرف وعلا ، والمرقب والمرقبة : الموضع المشرف يرتفع عليه[2]

المراقبة اصطلاحا :

يقول الحارث المحاسبي في بيان حقيقة المراقبة : ((هي دوام علم القلب بعلم الله ﷻ في السكون والحركة علما لازما مقترنا بصفاء اليقين ، وأول درجات المراقبة علم القلب بقرب الرب ﷻ))[3]

ويقول ابن القيم أن المراقبة : ((هي دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق ﷻ على ظاهره وباطنه...وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه ، ناظر إليه سامع لقوله وهو مطلع على علمه كل وقت وكل لحظة وكل نفس وكل طرفة عين ، والغافل عن هذا بمعزل عن حال أهل البدايات ، فكيف بحال المريدين ؟))[4]

يقول الأسمر : ((وعليك بمراقبة الله واستشعار علمه واطلاعه عليك ومعيته لك وإحاطته بك على الدوام))[5] ، ((وعليك بخشية الله تعالى حيث يراك الناس وحيث لا يرونك))[6]

---

(1) ـ انظر : ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد ، ن : مكتبة المنار الإسلامية ، ج3 ، ص 10 ، 11 .
(2) ـ انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج 1 ، ص 424.
(3) ـ الحارث المحاسبي ،الوصايا ، تح : عبد القادر أحمد عطا ، ن : دار الكتب العلمية ، ص 113.
(4) ـ ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، تح : عاطف صابر شاهين ، ن : دار الغد الجديد ، القاهرة ، ط 1 ، 1435 هـ ، 2014 م، ج 1، ص 456.
(5) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الرحمن بن مؤمن الفزاني ، ص 126.
(6) ـ الأسمر ، رسالة إلى محمد بن عبد الكريم الشاذلي ، ص 134 .

ووجه دعوة الأسمر إلى المراقبة هو أن استشعار وجود الله تعالى ودوام اطلاعه على خلقه واستصحاب معيته فى كل وقت وحين مما يدفع المريد إلى المداومة على الصالحات واجتناب السيئات والتزام الجادة في السلوك .

سابعا : التوكل على الله :

تعريف التوكل لغة : التوكل مصدر توكل يتوكل وهو مأخوذ من مادة (وك ل) التي تدل على اعتماد على الغير في أمر ما ، ومن ذلك التوكل وهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك ، قال الراغب : التوكيل أن تعتمد على غيرك وتجعله نائبا عنك ، وتواكل القوم إذا اتكل كل على الآخر ،والمتوكل على الله : الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده ، ولا يتوكل على غيره[1]

يقول الأسمر :((وليكن التوكل على الله زادك وحسن الظن عمادك ، والصدق معه مركوبك ، والافتقار إليه والانكسار بين يديه شعارك ودثارك ، والاستغناء به رقيبك في طريقك))[2] ، فالتوكل عليه والافتقار إليه من أهمّ الأسباب المُعينة على تزكية النّفس ؛ فيستشعر المريد حاجته لرحمة الله ، مع ملازمة الدّعاء ، والاستعاذة بالله من شرور النّفس .

ثامنا : الصمت في غير ذكر الله :

الصمت لغةً: صَمَتَ يَصْمُتُ صَمْتًا وصُموتًا وصُماتًا: سَكَتَ. وأَصْمَتَ مثله، والتصْميتُ: التسكيتُ. ويُقال لغير الناطق: صامت ولا يقال ساكت. وأصمتُّه أنا إصماتًا إذا أَسْكَتُّهُ. وَيُقَال: أَخذه الصُّمات. إذا سكت فلم يتكلم[3] .

والصمت اصطلاحا : هو الإمساك عن قول الباطل دون الحق ، وقيل : هو فقد الخاطر بوجد حاضر ، وقيل : هو سقوط النطق بظهور الحق ، وقيل : انقطاع اللسان بظهور العيان[4]

أهمية الصمت في التزكية : إن الشرع قد حث على الصمت ورغب فيه ؛ لأنه يحفظ الإنسان من الوقوع في آفات اللسان ومنكرات الأقوال ، فقد نبه المولى ﷻ على

---

(1) ـ انظر : الراغب ، المفردات ، ص 531 ، ومقاييس اللغة ج 6 ، ص 136

(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى سعيد بن عبد الحميد الغدامسي ، ص131

(3) ـ انظر : الجوهري، الصحاح تاج اللغة ، ج 1، ص 256 ، وانظر : ابن دريد الأزدي ، جمهرة اللغة ، ج 1 ، ص 400 .

(4) ـ انظر : التوقيف على أمهات التعاريف، 218 ، وانظر : الكليات، ص 507 .

خطر اللسان فقال : ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[1] ، قال ابن كثير: ((مَا يَلْفِظُ) أي: ابن آدم (مِنْ قَوْلٍ) أي: ما يتكلم بكلمة (إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) أي: إلا ولها من يراقبها معتد لذلك يكتبها، لا يترك كلمة ولا حركة)[2] ، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَاماً كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾[3]

أما ما يدل على فضل الصمت من السنة ، فقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ...)[4] ، قال ابن عبد البر : (وفي هذا الحديث آداب وسنن ، منها التأكيد في لزوم الصمت، وقول الخير أفضل من الصمت ؛ لأن قول الخير غنيمة، والسكوت سلامة، والغنيمة أفضل من السلامة)[5] ، وقال النووي: ((وأما قوله ﷺ: ((فليقل خيرًا أو ليصمت)) فمعناه: أنه إذا أراد أن يتكلم ؛ فإن كان ما يتكلم به خيرًا محققًا يثاب عليه واجبًا أو مندوبًا فليتكلم، وإن لم يظهر له أنه خير يثاب عليه فليمسك عن الكلام ، سواء ظهر له أنه حرام أو مكروه أو مباح مستوي الطرفين؛ فعلى هذا يكون الكلام المباح مأمورًا بتركه، مندوبًا إلى الإمساك عنه؛ مخافةً من انجراره إلى المحرم أو المكروه، وهذا يقع في العادة كثيرًا أو غالبًا))[6]

وعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ ((من صمت نجا))[7] ، قال القاري: (من صمت) : أي : سكت عن الشرّ. (نجا) : أي: فاز وظفر بكل خير، أو نجا من آفات الدارين)[8] ، ((ومما يدلك على فضل لزوم الصمت أمر، وهو أن الكلام أربعة أقسام: قسم هو ضرر محض، وقسم هو نفع محض، وقسم فيه ضرر ومنفعة، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة. أما الذي هو ضرر

---

(1) ـ سورة ، ق ، آية : 18.
(2) ـ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج 7 ، ص 398 .
(3) ـ سورة ، الانفطار ، آية : 10 ـ 12.
(4) ـ العسقلاني ، فتح الباري ، ج 10 ، 6018.
(5) ـ ابن عبد البر ، التمهيد ، ج 21 ، ص 35 .
(6) ـ النووي ، شرح مسلم ، ج 2 ، ص 18
(7) ـ الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث 2503 ، وهذا لفظه ، وقال : هذا حديث غريب ، وقال الحافظ العراقي في الإحياء ، ج3 ، ص 118 ، رواه الطبراني بسند جيد ، وقال الحافظ بن حجر في الفتح ، ج 11 ، ص 315 ، رواته ثقات
(8) ـ القاري ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ج 7 ، ص 3038

محض؛ فلا بد من السكوت عنه، وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر. وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر؛ فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان، وهو عين الخسران، فلا يبقى إلا القسم الرابع، فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع، وهذا الربع فيه خطر، إذ يمتزج بما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجًا يخفى دركه، فيكون الإنسان به مخاطرًا ومن عرف دقائق آفات اللسان... علم قطعًا، أن ما ذكره ﷺ هو فصل الخطاب حيث قال: «من صمت نجا» فلقد أوتي والله جواهر الحكم قطعًا، وجوامع الكلم ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني إلا خواص العلماء))[1]

يقول الأسمر : (وعليك ... بترك الخوض فيما لا ينبغي ولا يغني من الأقوال والأفعال ، والحذر من الغيبة فإنها تأكل الحسنات ، وتكثر السيئات)[2] ، (إخواني : والصمت قسمان ، صمت باللسان عن لغو الكلام ، وصمت باللسان عن الحديث لغير الله تعالى جملة واحدة ، وصمت بالقلب عن خاطر يخطر في النفس في مغريات الدنيا فمن صمت صمت لسانه وقلبه وظهر له سره)[3]

يقول الغزالي: ((من تأمل جميع آفات اللسان علم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم، وعند ذلك يعرف سر قوله ﷺ: (من صمت نجا) ، لأن هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب، وهي على طريق المتكلم، فإن سكت سلم من الكل، وإن نطق وتكلم خاطر بنفسه، إلا أن يوافقه لسان فصيح، وعلم غزير، وورع حافظ، ومراقبة لازمة، ويقلل من الكلام ؛ فعساه يسلم عند ذلك ، وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر، فإن كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم فغنم، فكن ممن سكت فسلم، فالسلامة إحدى الغنيمتين))[4] .

وعن سهل بن سعد عن رسول الله ﷺ قال: ((من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة))[5] ، قال ابن عبد البر: (في هذا الحديث دليل على أن أكبر الكبائر إنما هي من الفم والفرج، وما بين اللحيين الفم، وما بين الرجلين الفرج، ومن الفم ما يتولد من اللسان وهو كلمة الكفر، وقذف المحصنات، وأخذ أعراض المسلمين،

---

(1) ـ الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج 3 ، ص 111 ، وما بعدها
(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى محمد بن عبد الكريم الشاذلي ، ص 136
(3) ـ على هامش حياة عبد السلام الأسمر ، ص 462
(4) ـ الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج 3 ، ص 162 .
(5) ـ البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ، 6474 ، ج 8 ، ص 100 .

ومن الفم أيضا شرب الخمر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم ظلمًا، ومن الفرج الزنى واللواط)[1] ، وقال ابن حجر في شرح هذا الحديث: ((فالمعنى من أدى الحق الذي على لسانه من النطق بما يجب عليه، أو الصمت عما لا يعنيه ضمن له الرسول ﷺ الجنة... فإن النطق باللسان أصل في حصول كل مطلوب، فإذا لم ينطق به إلا في خير سلم، وقال ابن بطال: دل الحديث على أن أعظم البلاء على المرء في الدنيا لسانه وفرجه، فمن وقي شرهما وقي أعظم الشر))[2]

تاسعا : التفكر في الموت وما بعده :

من الأساليب التي وضعها الأسمر للتزكية التفكر في الموت وأمور الآخر ، ((وأوصيك : بالإكثار من الفكر في أمور الآخرة من الموت وما بعده من المساءلة في القبر والبلاء ، والبعث ، والحشر ، والميزان ، والصراط ، والجنة والنار ، فإن ذلك مما يخشع القلب وينوره ، ويطرد عنه الغفلة ، ويقبل به على إصلاح آخرته))[3] ، ذلك أنّ الآفات الفتّاكة بقلب المريد منشؤها طول الأمل وحبّ الدنيا ، وذكر الموت يقطع تلك الأمراض وأسبابها ؛ فيسلم قلب العبد من الحسد ، والغشّ ، والجشع، وغيرها ، ثمّ تتزكّى نفسه ويصلح قلبه .

عاشرا : شهود التقصير :

ومن أساليب التزكية في رسائل الأسمر استشعار التقصير في حق الله تعالى ، وفي ذلك يقول الأسمر : (وعليك بشهود التقصير منك من القيام بواجب حق مولانا عليك)[4] ، فعلى المريد أنْ يعترف بالتقصير من نفسه ويبصرها بعيوبها ؛ ففي ذلك عونٌ له على تحديد مكامن ضعفها ، وإنّ الامتناع عن ذلك يجعل المريد يظنّ أنّه خالٍ من العيوب، ومبرءٌ من النقص ؛ فلا يُقبلُ على تزكية نفسه ، ولا يتطلّع إلى إصلاحها. ومن الأمور التي تساعد المريد على تزكية نفسه العناية بسلامتها من الغلّ والحسد، والحقد ، والكبر ، وتعويدها على محبة الخلق والنّصح لكلّ مسلمٍ، وإفشاء السلام، وطلاقة الوجه وبثّ البِشر في حياتهم ، والإعراض عن جاهلهم وقبول أعذارهم، وترويض النّفس على ترك المراء والجدال مع من لا رجاء في انصياعه للحقّ ، كما

---

(1) ـ ابن عبد البر ، الإستذكار ، ج 8 ، 565.
(2) ـ العسقلاني ، فتح الباري ، ج 11 ، ص 309 ، وما بعدها .
(3) ـ الأسمر ، رسالة إلى محمد بن عبد الكريم الشاذلي ، ص 135 .
(4) ـ الأسمر ، رسالة إلى سعيد بن عبد الحميد الغدامسي ، ص 132 .

أنّ مجالسة الأخيار، والتّقرّب من الصالحين ، ومطالعة سِيَرهم وأخبارهم من وسائل التّزكية الناجحة[1] .

المطلب الثالث : شروط ومؤهلات الانتساب إلى التصوف عند الأسمر

أولا : العلم : إن أول شروط المنهج الرباني في التزكية وأصوله التي يقوم عليها العلم ، قال تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[2] ، بل لا بد أن يكون هذا العلم خالصا لله رب العالمين ، لا يراد به رياء ولا سمعة ، قال جل ذكره : ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦١﴾ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦٢﴾﴾[3] ، وقال - ﷺ - ((مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا لِغَيْرِ اللهِ أَوْ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ اللهِ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))[4] ، فالعلم النافع والإرادة القوية لتحصيله هي مفتاح السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة ، لأن الإرادة باب الوصول والعلم مفتاح ذلك الباب[5] .

يقول الجنيد : ((العلم النافع : هو ما يدل صاحبه على التواضع، ودوام المجاهدة، ورعاية السر، ومراقبة الظاهر والخوف من الله ، والإعراض عن الدنيا وعن طالبيها والتقلل منها ومجانبة أربابها وترك ما فيها على من فيها من أهلها ، والنصيحة للخلق، وحسن الخلق معهم ، ومجالسة الفقراء وتعظيم أولياء الله تعالى والإقبال على ما يعنيه))[6]

---

(1) - انظر : الأسمر ، رسالة إلى عبد الرحمن بن عبد الؤمن الفزاني ، ص 127
(2) - سورة ، محمد ، آية : 20.
(3) - سورة ، الأنعام ، آية : 162 - 163.
(4) - النسائي ، السنن الكبرى ، تح : حسن عبد المنعم شلبي ، ن: مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط : 1 ، 1421 هـ - 2001 م ، رقم الحديث 5879 ، ج 5 ، ص 392 .
(5) - انظر : ابن القيم ، مفتاح دار السعادة ، ج1 ، ص 46 .
(6) - عبد الكريم الكسنزان ، موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان ، ج 15 ، ص 128 .

فالعلم والتعلم ليس مقصودا لذاته ، إنما مقصود به العمل النافع الذي يجلب النفع العام والخاص ويقرب العبد من مولاه[1] ، فبالعلم يعرف المريد الحلال والحرام والواجبات والمسؤليات والآداب وحسن السلوك

ومن هنا يرى الأسمر أن العلم والعمل توأمان لا ينفكان عن بعضهما ، والسالك في طريق الإيمان والتعرف على الله ، والوصول إلى رضاه لا يستغني عن العلم في أي مرحلة من مراحل سلوكه ، ففي ابتداء سلوكه لا بد له من حفظ القرآن ، وتصحيح العقائد والمواظبة على العبادات والاستقامة في المعاملات، وفي أثناء سلوكه لا يستغني عن علم أحوال القلب وتحسين الأخلاق وتزكية النفس، ولهذا اعتبر الأسمر اكتساب العلم الضروري من أهم النقاط الأساسية في المنهج العملي للتصوف[2] ، فهو بهذا يرى أن التصوف الحق هو تطبيق مناهج الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق من غير نقص في جميع جوانبه الظاهرة والباطنة .

ثانيا : تصحيح مقام التقوى : يقول الأسمر : ((واعلم أن أحق شيء بالتقديم في الوصية ، الوصية بتقوى الله العزيز الحكيم، فأوصيك ونفسي وكافة المؤمنين والمسلمين بتقوى الله رب العالمين ، فإنها الوسيلة إلى خيرات الدارين والأساس الذي يثبت عليه أمر الدين، وإذا لم يكن الأساس في غاية الإحكام كان البناء عليه إلى الانهدام أقرب منه إلى التمام ،والتقوى مراتب أولها : اتقاء المعاصي والمحرمات، وهو فرض لازم، ثم الاتقاء عن الأمور المشتبهات، وهو ورع حاجز، ثم عن فضول المباحات ... وهو زهد بالغ إن كان مقرونا بالراحة والرغبة، وتزهد إن كان مع الكراهة والمجاهدة))[3]

ويقول أيضا : ((ومن أحكم مقام التقوى صلح وتأهل لعلم الوراثة ، وهو العلم الذي يقذفه الله في قلوب أوليائه ، لا تحويه السطور ولا تفيده الدروس ، وقد حرمه الله على أهل النفوس ، أعني المظلمة الشغوفة بإصلاح المطعوم والمنكوح والملبوس ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿۞ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٢٨٢﴾﴾[4]

---

(1) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمالي ، ص 250 .
(2) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمالي ، ص 237 .
(3) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الحميد بن علي العوسجي ، ص 151 .
(4) ـ سورة ، البقرة ، آية : 281.

وبقول رسول الله ـ ﷺ ـ (من عمل بما علم أورثه الله علم ما لا يعلم)[1] ، وهو ثمرة العمل المستفاد من الكتاب والسنة))[2]

ثالثا : إخلاص النية في التوجه والسلوك :

إن الإخلاص في السلوك هو الإخلاص لله والطاعة للشيخ هي أساس النجاة في كل شيء ، لأن الشيخ يحرس تلميذه ويحفظ عليه إيمانه ويرشده إلى خبايا خطيئة النفس ووسوسة الشيطان ومداخله والشيخ العارف بالله يرعى تلميذه ويعلمه كيف يتخلص من هذه الأفكار والهواجس والاخطار التي تلحق به ، ويبصره بحقيقة العبادة الخالصة لله ، من هنا يرى الأسمر أن من لم يخلص التوجه إلى الله والطاعة للشيخ لا ينتفع بصحبته ، ولا توصله همته إلى الله مهما لازم المشايخ .

وحقيقة الإخلاص الذي يشترطه الأسمر في السلوك : هو أن تكون النية مقصورة على إرادة وجه الله تعالى والدار الآخرة دون شيء آخر من جاه أو مال[3] ، وعلامة الإخلاص عند المريد أن يكون هواه تبعا لما جاء به رسول الله ـ ﷺ ـ وأفعاله موافقة لمراد شيخه .

يقول الأسمر : ((ومن أتاكم يريد الدخول في هذه الطريقة العروسية فأمروه بقضاء ما في ذمته من كل ما ذكرناه ، ومن لم يفعل قضاء الصلاة المفروضة والصيام والمظالم وغيرها فلا تقبلوه ، فلا تقبلوه ، فلا تقبلوه قط ، إنه تابع لهوى نفسه ، وحقيقة إتباع الهوى هو أن يشتغل المريد بالأوراد والفضائل ويترك ما أوجب الله عليه ، ولا يتعلم الواجبات ، فمن كان هكذا فلا تقبلوه قط بالكلية ...))[4]

حين نجد الأسمر يوضح التصوف وحدوده ومصادره وسماته وأصوله وشروط الإنتساب إليه ، فهو بذلك يبين ما هو داخل في التصوف الإسلامي وما هو خارج عنه ، فحينما نجد الأسمر ينقل أقوال أئمة التصوف التي تواترت عنهم في كتبهم في الحث على الأخذ بالكتاب والسنة وتحذير المريدين من التفريط في العمل بظواهر الشريعة وأحكامها والحث على متابعه ـ ﷺ ـ في الأقوال والأفعال ، فهو بهذا الأمر يدعو ضمنيا إلى التحذير من أدعياء التصوف الذين أدخلوا فيه كل بدعة .

---

(1) ـ أخرجه أبو نعيم في الحلية ، باختلاف يسير في بعض ألفاظه ، ج6 ، ص163.
(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الحميد العوسجي ، ص 152 .
(3) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى عبد الحميد بن علي العوسجي ، ص 152 ، 153 .
(4) ـ محمد مخلوف ، تنقيح روضة الأزهار ، ص 175.

المبحث السادس : موقف الأسمر من التصوف وبعض قضاياه :

المطلب الأول : موقفه من التصوف بشكل عام :

أما التصوف فإن سيدي عبد السلام الأسمر ـ ﷺ ـ كان ملتزما به سائرا على نهج أسلافه فيه ، وكما أشرت أن التصوف كان موجودا مع أول انبثاق فجر الدعوة الإسلامية ، وعرفه رسول الله ـ ﷺ ـ وشربته منه قلوب الصحابة والكثير من أبناء الأمة الإسلامية على مر العصور فإن سيدي عبد السلام كان من جملة هؤلاء الذين شرح الله صدورهم لنور الهداية ، وطريق الفلاح ، وينبوع المعرفة فوهب نفسه لربه يظل أكثر ليله ساهرا وكثيرا من أيام دهره صائما ، ثم هو في سهره ونومه وصومه وفطره ، وليله ونهاره ملازما حدود الشريعة لا يحيد عنها قيد أنملة[1] ، وكثيرا ما كان يوصي أتباعه بذلك فمن جملة وصاياه العديدة : ((وأوصيك : بإصلاح القلب وافتقاده ، فإنه رئيس الجوارح وأميرها ، وعلى صلاحه وفساده يدور صلاحها وفسادها ، وهو محل المعرفة بالله التي هي رأس العلوم وأشرفها ، ومعدن النية التي هي مصدر الأعمال ورأسها ، وله سمع وبصر يفرق بهما بين الحق والباطل ، ولكن لا تكون كذلك حتى تصير ، طيبا نظيفا من أدناس الاعتقادات الباطلة ، والأخلاق السافلة ، مزينا بالاعتقادات المستقيمة ، والأخلاق الكريمة محفوظا من الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية))[2] ، ((وعليك بإقامة الصلوات الخمس المكتوبة كما أمرت ، واجتهد في حضور قلبك مع الله في جميع صلاتك ، وصل بقلب خاشع حاضر مع الله فارغ عن كل ما سواه ، وحافظ على الجماعة وعلى الصلاة أول الوقت بكليتك ، وقم من الليل ما تيسر ويكون ذلك بعد النوم أحسن وأنفع ، وأكثر من التضرع في كل حال ، وارفع حاجتك إلى الله في ذلك الوقت تقضى ، واقرأ ما تيسر من القرآن الكريم في كل يوم أو كل ليلة بترتيل وتدبر وحضور قلب ، ويكون على التدرج من أوله حتى تختمه ...))[3]

المطلب الثاني : موقفه من الولاية :

أما الحديث عن الولاية فإنه يتطلب تعريف الولي ، وتنوع الولاية ، وهل يجوز للولي أن يعرف نفسه أم لا ؟

---

(1) ـ انظر : العارف بالله ، عبد السلام الأسمر وأراؤه في التصوف ، 431 .
(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الحميد بن علي العوسجي ، ص 154 .
(3) ـ الأسمر ، رسالة إلى عبد الرحمن بن مؤمن الفزاني ، ص 126 ، 127 .

تعريف الولي : (الولي هو القريب والولاية ضد العداوة ، وأصل الولاية المحبة والتقريب ، وهو من توالت طاعته من غير أن يتخللها عصيان أو هو من يتوالى عليه إحسان الله وأفضاله)[1] ، قال الزمخشري[2] ، في الكشاف : الولي من تولى الله بالطاعة ، فتولاه الله بالكرامة ، يقول ابن حجر: (الولي هو العالم بالله المواظب على طاعة الله المخلص في عبادته)[3] ، ويقول ابن كثير : (كل من كان تقيا كان وليا)[4] ، قال الشوكاني[5]: (إن المعيار الذي تعرف به صحة الولاية هو أن يكون العبد عاملا بكتاب الله وبسنة رسول الله ـ ﷺ ـ مؤثرا لهما على كل شيء مقدما لهما في كل شؤنه ، فإذا زاغ عنهما زاغت عنه الولاية)[6]

وعرفه السعد[7] ، في شرح العقائد النسفية ، والجلال المحلى[8] ، في شرح جمع جمع الجوامع : (الولي العارف بالله بحسب ما يمكن، المواظب على الطاعات المجتنب للمعاصي ، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات)[9] ، وهذا التعريف التعريف هو الذي بعث به الأسمر إلى أتباعه بطرابلس ، وهو بذلك يميل إلى الرأي القائل بأن الولي لا بد وأن يحافظ على الفرائض ويتقرب دائما إلى ربه بالنوافل حتى ينال درجة الولاية ، فقد نقل تعريف الولي المذكور آنفا عن شيخه الدوكالي وقد أشار إلى ذلك بقوله : (قال شيخنا : الولي هو : العارف بالله تعالى وبصفاته حسب الإمكان ، المواظب على الطاعات ، المجتنب للمعاصي ، المعرض عن الإنهاك في اللذات والشهوات المباحة ، الفارغ من تأديب نفسه ، فهو ممن تولى الله أمره فلم يكله إلى

---

(1) ـ الجرجاني ، التعريفات ، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ج1 ص254.

(2) ـ محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشريّ من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) ، نظر : الأعلام للزركلي ج7 ص178 .

(3) ـ ابن حجر ، فتح الباري ، ج11 ، ص342 .

(4) ـ ابن كثير ، تفسير القرءان الكريم ، ج2 ، ص422 .

(5) ـ أحمد بن محمد بن علي الشوكاني ، قاض، من فضلاء اليمانيين، من أهل صنعاء ، انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج1 / ص246 .

(6) ـ الشوكاني ، قطر الولي على حديث الولي ولاية الله والطريق إليها ، تح : إبراهيم إبراهيم هلال ، ص 278 .

(7) ـ مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين: من أئمة العربية والبيان والمنطق. ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) ، انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج7 ، ص 219 .

(8) ـ مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أَحْمد بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم الْبَدْر بن الْجلَال الْمحلي الأَصْل القاهري الشَّافِعِي الشَّافِعِي ، نظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج9 ، ص30 .

(9) ـ سعد الدين التفتازاني ، شرح العقائد النسفية ، ن : مكتبة البشرى ، ط 1 ، ص378.

نفسه ولا لغيره ، وقيل : علامة الولي ثلاثة : شغله بالله ، وفراره إلى الله ، وهمه لله)[1] ، فالولاية عنده تحتاج إلى مجاهدة وعناء في العبادة مع توفيق الله له وفيضه عليه ، والأسمر يميل إلى الرأي القائل بأنه يجوز للولي أن يعرف نفسه ويكون ذلك من إكرام الله له ، ولقد من الله على سيدي عبد السلام فأولاه ولايته وأنعم عليه بمعرفة ذلك حيث ذكر البرموني أن سيدي عبد السلام قال :

أنا الغوث القطب السلطان ولي ومشهور وظاهر
أنا أولاني الفرد الرحمن عن كل بادي وحاضر[2]

يقول المكي ـ رحمه الله ـ سئل شيخنا ـ الذي هو مولانا عبد السلام ـ عن معاني ما تقدم من هذه الأبيات فقال : قولي : " أنا القطب أنا الغوث " ... أريد بذلك التحدث بالنعمة التي من الله علي بها[3]

من هذه النصوص وغيرها يظهر موقف الأسمر من الولاية وأن وجه الدعوة في ذلك هو بيان معنى الولي وكيف يصل المريد إلى هذه الدرجة من القرب ، كما يظهر وجه آخر للدعوة وهو خلو منهج الأسمر في فهم الولاية من التعصب الذي قال به بعض السالكين من الطرق الصوفية من تفضيل الولاية على النبوة .

المطلب الثالث : موقفه من الكرامة :

الحديث عن الكرامة يتناول تعريفها والدليل على حقيقتها وجواز وقوعها وهل تكون بعد الموت ، وهل ما يصح أن يكون معجزة يصح أن يكون كرامة ؟

تعريف الكرامة : الكرامة كما عرفها العلماء : هي أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد عبد صالح غير مدع للرسالة. وهي من الأمور الجائزة عقلاً والواقعة فعلاً[4] ، وقيل : (هي خرق الله العادة لوليه لحكمة ومصلحة تعود عليه أو على غيره، غيره، وعلى هذا التعريف لا فعل للولي فيها)[5] ، واعلم أن أهل الحق بعد أن اتفقوا على وقوع الكرامات اختلفوا هل يجوز أن تكون الكرامة للولي من جنس المعجزة أم

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس الأقصى ، ص 314 .
(2) ـ انظر : روضة الأزهار ، ص 320 .
(3) ـ انظر : روضة الأزهار ، ص 321 .
(4) ـ انظر : حسن أيوب ، تبسيط العقائد الإسلامية ، ن : دار القرآن الكريم للعناية بطبعه ونشر علومة ، ج1 ، ص133 .
(5) ـ موسوعة الرد على الصوفية ، المكتبة الشاملة ، ص 185 .

لا ، قال الجويني[1]: (صار بعض أصحابنا إلى أن ما وقع معجزة لنبي لا يجوز وقوعه كرامة للولي فيمتنع عند هؤلاء أن ينفلق البحر وتنقلب العصا ثعبانا ويحي الموتى إلى غير ذلك من معجزات الأنبياء)[2] ، يقول الإمام الشاطبي : (إن الشريعة كما أنها عامة في جميع المكلفين وجارية على مختلف أحوالهم فهي عامة أيضا بالنسبة إلى عالم الغيب والشهادة من جهة كل مكلف فإليها يرد كل ما جاءنا من جهة الباطن ، كما يرد إليها كل ما في الظاهر ، فإذا كانت الخوارق مخالفة للشريعة فهذا دليل على بطلانها وأنها ليست كرامات وإنما هي عمل من أعمال الشياطين ، يقول الأسمر : (إياكم والاستدراج واتباع نزغات الشيطان اللعين في اليقظة والنوم فإنه يغري المؤمن بالأحلام الكاذبة والصادقة التأثيرات وهي التي يقول عنها العوام "العربون" ويعمل مكاشفات وقضاء حاجات وارتعاش في الأذكار ...وطيرانا في الهواء ومشيا على الماء وصحبة الناس وغير ذلك وهذه كلها من علامات الاستدراج إذا وقعت من المغرور وهو الذي يكون منكبا على الدنيا ..تابعا لهوى نفسه مجاهرا بالبدعة المحرمة طائعا للناس لا يعبأ بفرض ولا سنة ولا أدب فمن كان هكذا وظهرت منه هذه العلامات فهو مستدرج لا محالة.

وتلك العلامات لا تكون ربانية إلا إذا صدرت من رجل تابع للكتاب والسنة زاهد في الدنيا مستغرق أوقاته بالذكر والعبادة بالشوق والوجد والمحبة قد مزقت قلبه ، وقلبه غائب عن الخلق متعلق بالحق ﷻ فمن كان هكذا وصدرت منه هذه العلامات فإنها ربانية [3] ، يقول أبو يزيد البسطامي[4] : ((لو نظرتم إلى رجل يطير في الهواء أو يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعلموا متابعته للسنة وحفظه للحدود وأداءه للشريعة))[5].

فهذا هو القانون الذي يميز الكرامة من غيرها ، وانظر كيف فرق الأسمر بين مفهوم الكرامة والاستدراج ، وسيدي عبد السلام الأسمر كان رجلا متمسكا بالشريعة وحدودها ملتزما بكتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ وقال عنه الكثير من الذين عاصروه

---

(1) ـ عليَّ بن يوسف بن عَبْد الله بن يوسف، أَبُو الحسين، عمّ أَبِي المعالي الْجُوَيْني ، تاريخ الإسلام ، ج10 ، ص 194 .
(2) ـ الجويني، قطر الولي على حديث الولي، ص16 .
(3) ـ انظر : تنقيح روضة الأزهار ص192.
(4) ـ طيفور بن عيسى البسطامي، أبو يزيد، ويقال بايزيد: زاهد مشهور، له أخبار كثيرة. كان ابن عربي يسميه أبا يزيد الأكبر ، توفي سنة 261هـ ، انظر ، الزركلي ، الأعلام ، ج3 ، ص235 .
(5) ـ الرسالة القشيرية ، ج 1 ، ص 85 .

من العدول أنه كان وليا لله رب العالمين ووقعت له كرامات كثيرة في حياته كما يخبر ، لأن الجمع الكثير أنهم شاهدوا كثيرا من الكرامات له بعد موته ، وكان كثيرا ما تقع له كرامات تشبه معجزات بعض الأنبياء إلا أنه مع كل ما أظهره الله علي يديه كان لا يدعي أي شيء يمليه على بني جنسه بل كان قمة في التواضع مع عزة نفس ، ومن هنا نثبت أن الأسمر كان سائرا على نهج التصوف الصحيح وكان وليا ظهرت على يديه كثير من الكرامات المتنوعة والخوارق المتعددة[1] ، فقد حذر الأسمر من الإنكار على الأولياء وكرماتهم ، فقال : ((إياكم والإنكار على كرامات الأولياء ودرجاتهم وعلو قدرهم ومناقبهم الزكية ومراتبهم العلية وأحوالهم السنية وإياكم وذمهم وسبهم وشتمهم فإن لحومهم سم قاتل وهم على أقدام الرسل وخليفتهم وإياكم وكلام الجاهلين في الأولياء والعلماء ففي الناس فريق معتقد ومصدق وفريق منتقد ومكذب كما وقع للرسل عليهم الصلاة والسلام ... فإن قيل إن هذه الكرامات تشبه السحر فالجواب أن الفرق بين الكرامة والسحر أن السحر يظهر على يدي الفسقة والزنادقة والكفار الذين هم على غير شريعة ومتابعة ، والأولياء ﷺ فإنما وصلوا إلى ذلك بكثرة اجتهادهم واتباعهم السنة وأخذهم بالأحوط وتحفظهم على الديانة حتى بلغوا فيها الدرجة العليا))[2]

ووجه الدعوة هنا هو التمييز بين الكرامه والسحر والإستدراج والتحذير من إنكار كرامات الأولياء ودعوة إلى محبتهم واحترامهم والتأدب معهم ، وكذلك عدم الإغترار بما يجر على أيدي السحرة والمستدرجين من خوارق للعادات .

المطلب الرابع : موقفه من القول بإسقاط التدبير (الأسباب)

التدبير في الاصطلاح الصوفي: ((هو التفويض إلى الله))[3]

يقول الأسمر : ((أيها المريدون أوصيكم ونفسي : بإسقاط التدبير لأن الله تعالى قد تكفل لكم بذلك وقام به عنكم ، وطلب منكم أن تفرغوا قلوبكم منه وتقوموا بحق عبوديته ووظائف تكليفاته فقط ، وهو : أن يقدر العبد لنفسه شؤونا يكون عليها من أمر دنياه على ما تقتضيه شهوته وهواه ، ويدبر لها ما لا يليق بها من أحوال وأعمال، ويستعد لذلك ويهتم لأجله ، وهذا تعب عظيم استعجله لنفسه ، ولعل أكثر ما يقدره لا يقع فيخيب ظنه ويبطل سعيه ، ثم فيه من ترك العبودية ، ومضادة أحكام الربوبية ،

---

(1) ـ انظر : العارف بالله عبد السلام الأسمر وأرآؤه في التصوف ، ص 454 .
(2) ـ انظر : الوصية الكبرى ، ص 46 ، 47 .
(3) ـ الشيخ محمد بن الشيخ عبد الكريم الكسنزان الحسيني ، موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان ، ج 7 ، ص 242 .

ومنازعة القدر ، وإضاعة العمر ما يحمل العاقل على تركه واجتنابه وقطع موارده وأسبابه ، قال سهل بن عبد الله : ذروا التدبير والاختيار فإنهما يكدران على الناس عيشهم ، وقال سيدي أبو الحسن الشاذلي : إن كان ولا بد من تدبير فدبروا أن لا تدبروا))[1] ، ولا يعني ذلك عدم الأخذ بالأسباب وإنما المقصود به الأخذ بالأسباب مع عدم إنشغال القلب بذلك حتى لا يكون منشغلا بسواه سبحانه وتعالى ، ودليل ذلك أن كثيرا من الصوفية كانوا أصحاب حرف وقد لقب العديد منهم بالحرف التي مارسوها نحو : الخراز ، والخواص ، والقصاب ....وغيرهم .

ثم نقل تقسيم ابن عطاء الله للتدبير بقوله :

واعلموا : أن التدبير على قسمين :

1 ـ تدبير محمود : وهو ما يؤديك إلى القرب من الله ويوصلك إلى مرضاة الله .

2 ـ تدبير مذموم : وهو ما شغلك عن الله وعطلك عن القيام بخدمة الله وصدك عن معاملة الله .

فالتدبير المحمود هو : ما كان تدبيرا بما يقربك إلى الله كالتدبير في براءة الذمم من حقوق المخلوقين إما وفاء وإما استحلالا ، وتصحيح التوبة إلى رب العالمين ، والفكر فيما يؤدي إلى قمع الهوى المردي والشيطان المغري ، وكل ذلك محمود لا شك فيه ، ولأجل ذلك قال رسول الله ـ ﷺ ـ : " فكرة ساعة خير من عبادة سبعين سنة "[2] ، ثم قال : والتدبير للدنيا على قسمين[3] :

1 ـ تدبير الدنيا للدنيا

2 ـ تدبير الدنيا للآخرة ، والأصل في ذلك عند القوم قوله ـ ﷺ ـ ((مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ))[4]

فتدبير الدنيا للدنيا هو : أن يدبر في أسباب جمعها افتخارا بها واستكثارا ، وكلما زيد فيها شيئا ازداد غفلة واغترارا ، وأمارة ذلك أن تشغله عن الموافقة ، وتؤديه إلى المخالطة .

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس الأقصى ، ص 348.

(2) ـ السيوطي ، الجامع الصغير ، ج 2 ، ص 219 ، وأورده الشوكاني في كتابه الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، ص 242 .

(3) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس الأقصى ، ص 349.

(4) ـ الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث 2465 ، ج 4 ، ص 642 .

وتدبير الدنيا للآخرة كمن يدبر المتاجرة والمكاسب والغراسة ليأكل منها حلالا ولينعم على ذوي الفاقة إفضالا ، وليصون بها وجهه عن الناس إجمالا ، وأمارة من طلب الدنيا لله تعالى عدم الاستكثار والادخار والإسعاف منها والإيثار ، بل جعل الكرامة الحقيقة في اسقاط التدبير كما قال الأسمر نقلا عن ابن عطاء الله :

فالكرامة الكاملة الحقيقة إنما هي ترك التدبير مع الله والتفويض لحكم الله ، ثم قال : لقد علمت أن الطريق الموصلة إلى الله هو محو الإرادة ورفض المشيئة حتى قال الشيخ أبو الحسن ـ ﷺ ـ ولن يصل الولي إلى الله ومعه تدبير من تدبيراته واختيار من اختياراته ، وسمعت شيخنا يقول : ولن يصل الولي إلى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول إلى الله ، يريد والله أعلم ـ أن تنقطع عنه انقطاع أدب لا انقطاع ملل ، أو لأنه يشهد إذ قرب إبان وصوله عدم استحقاقه لذلك واستحقاره لنفسه أن يكون أهلا لما هنالك ، فتنقطع عنه شهوة الوصول لذلك لا مللا ولا سلوا ولا اشتغالا عن الله بشيء دونه ، فإن أردت الإشراق والتنوير فعليك : بإسقاط التدبير ، واسلك إلى الله كما سلكوا تدرك ما أدركوا كما قيل : اسلك مسالكهم ، وانهج مناهجهم ، وألق عصاك فهذا جانب الوادي ، ولنا في هذا المعنى في ابتداء العمر مما كتبت به لبعض إخواني :

أيا صاح هذا الركب قد سار مسرعا ... ونحن قعود ما الذي أنت صانع
أترضى بأن تبقى المخلف بعدهم ... صريع الأماني والغرام ينازع
وهذا لسان الكون ينطق جهرة ... بأن جميع الكائنات قواطع
وأن لا يرى وجه السبيل سوى امرئ ... رمى بالسوى لم تختدعه المطامع
ومن أبصر الأشياء والحق قبلها ... فغيب مصنوعا بما هو صانع
بوادره أنوار لمن كان ذاهبا ... وتحقيق أسرار لمن هو راجع
فقم وانظر الأكوان والنور عمها ... ففجر التداني نحوك اليوم طالع
وكن عبده والق القياد لحكمه ... وإياك تدبيرا فما هو نافع
أتحكم تدبيرا وغيرك حاكم ... أأنت لأحكام الإله تنازع
فترك إرادة وكل مشيئة ... هو الغرض الأقصى فهل أنت سامع
كذلك سار الأولون فأدركوا ... على أثرهم فليسر من هو تابع
على نفسه فليبك من كان طالبا ... وما لمعت ممن يحب لوامع
على نفسه فليبك من كان باكيا ... أيذهب وقت وهو باللهو ضائع

وهذه المسألة أساس طريق القوم بل هي جملته وكليته ، والكلام فيها طويل عريض وإنما اقتصرت فيها على هذا القدر اليسير من التنبيه[1]

علاقة الأخذ بالأسباب والتوكل عند الأسمر :

إن التوكل من أعظم ثمار الإيمان والمعرفة ومن أهم أسباب السعادة في الدنيا ، لهذا نجد الأسمر قد نبه مريديه إليه ، ليعلموا أن التوكل على الله ليس هو ترك الأسباب وعدم الأخذ بها ، بل هو الاستغناء بالله والافتقار إليه والالتجاء إلى تدبيره وعدم تعلق القلب بالاسباب .

وهكذا يتحقق المريدين بأعلى مراتب التوكل ، فقلوبهم مع الله معتمدة عليه واثقة به متوجهة إليه ، مستغنية به لأنه لا فاعل في الوجود سواه ، وأبدانهم متعلقة بالأسباب امتثالا لأمره وتمسكا بشريعته واقتداء بهديه ـ صلى الله عليه وسلم .

فقد قرر الأسمر أنه ليس إسقاط للتدبير ترك الدخول في أسباب الدنيا والفكرة في مصالحها ليستعين بذلك على طاعة مولاه والعمل لأخراه، وإنما التدبير المنهي عنه هو التدبير فيها لها ، وعلامة ذلك أن يعصى الإله من أجلها، وأن يأخذها كيف كان من حلها وغير حلها ثم قال : اعلم أن الأشياء إنما تذم وتمدح بما تؤدي إليه ... ، وبالجملة ما وقع المدح به فهو ممدوح في نفسه ، وما وقع الذم به فهو مذموم في نفسه ، وقد جاء عن النبي ـ ﷺ ـ " الدنيا جيفة قذرة مذرة " ، وقال ـ ﷺ ـ " الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالما أو متعلما " ، وقال ـ ﷺ ـ " إن الله جعل ما يخرج من بني آدم مثلا للدنيا " ، فهذه الأحاديث تقتضي ذمها وتنفير العباد عنها ، وجاء عنه ـ ﷺ ـ " لا تسبوا الدنيا نعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر " ، فالدنيا التي لعنها رسول الله ـ ﷺ ـ هي الدنيا الشاغلة عن الله ، ولذلك استثنى في الحديث فقال : " إلا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما " فبين عليه السلام أن هذا ليس من الدنيا ، وقوله ـ عليه السلام ـ " لا تسبوا الدنيا " أي التي توصلكم إلى طاعة الله ، ولذلك قال ـ ﷺ ـ " فنعمت مطية المؤمن " فمدحها من حيث كونها مطية لا من حيث إنها دار اغترار ووجود أوزار .

وإذا علمت هذا فقد فهمت أن إسقاط التدبير ليس هو الخروج عن الأسباب حتى يعود الإنسان ضيعة فيكون كلا على الناس بتجريده فيجعل حكمة الله في إثبات الأسباب وارتباط الوسائط ... وكيف يمكن أن ينكر الدخول في الأسباب بعد أن جاء

---

(1) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس الأقصى ، ص 351 وما بعده ، والكلام على اسقاط التدبير نقله الأسمر كاملا عن ابن عطاء الله ، انظر : التنوير في اسقاط التدبير ، ص 18.

قوله ﷻ : ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴿٢٧٤﴾﴾ [1] ، وقوله ﷺ : " أحل ما أكل المرء من كسب يمينه ، وإن داود نبي الله كان يأكل من كسب يمينه " ... فكيف يمكن لأحد بعد هذا أن يذم الأسباب ؟ لكن المذموم منها ما شغلك عن الله وصدَك عن معاملته ، ولو تركت هذه الأسباب وغفلت عن الله بالتجريد كنت مذموما أيضا[2]

بهذا المفهوم فهم الأسمر الأسباب ، فكد وجد في هذه الحياة وكسب المال الحلال ليصون به وجهه ، ويكرم به عرضه ويستعين به على طاعة ربه ، وينفقه في وجوه الخير ، فقد أدرك أن الإسلام لا يحرم على الناس أسباب الغنى ولا يمنعهم من الكسب والدخول في أسباب الرزق ، وهو بهذا الفهم يرد على من أنكر الدخول في الأسباب وقال باسقاط التدبير من الطرق الصوفية .

---

(1) ـ سورة ، البقرة ، آية : 274.
(2) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس الأقصى ، ص 365 .

المطلب الخامس : موقفه من شطحات ابن عربي

الشطح عند الصوفية : هو عبارة عن كلمات تصدر من بعض المتصوفة في حالة الغياب والجذب والوجد وقوة الواردات الإلهية على قلب الصوفي ، وهي تصدر من الصوفي لشدة الأنوار الإلهية التي مست قلبه فأذهبت العقل فلم يدر ما جرى به لسانه ، هذا هو أصل الشطح في كلام أهل التصوف[1] .

وعرفه الطوسي بقوله : ((هو عبارة مستغربة في وصف وجد فاض بقوته وهاج بشدة غليانه وغلبته ، وبيان ذلك : أن الشطح في لغة العرب : هو الحركة ، يقال : شطح يشطح إذا تحرك ، فالمريد الواجد إذا قوي وجده ولم يطق حمل ما يرد على قلبه من سطوة أنوار حقائقه سطع ذلك على لسانه فيترجم عنها بعبارة مستغربة مشكلة على فهوم سامعيها إلا من كان من أهلها ويكون متبحرا في علمها ، فسمي ذلك على لسان أهل الاصطلاح شطحا))[2]

أما عن الشطح الذي جرى على لسان ابن عربي فقد اختلف العلماء في أمر الشيخ محي الدين بن عربي[3] ، فقسم عده من الأولياء ، وقسم آخر عده في الملاحدة ، وقد سئل شيخ الإسلام الشيخ مجد الدين الفيروزبادي ﷺ صاحب كتاب القاموس في اللغة بما نصه: ما يقول سيدنا ومولانا شيخ الإسلام في الكتب المنسوبة إلى الشيخ محي الدين بن عربي كالفتوحات والفصوص هل تحل قراءتها وإقراؤها ومطالعتها ؟ وهل هي من الكتب المسموعة المقروءة أم لا ؟ فقال رضي الله عنه: الذي أقول وأتحققه وأدين الله به: أنَّ الشيخ محي الدين كان شيخ الطريقة حالا وعملا وإمام التحقيق حقيقة ورسما ومحيي رسوم العارفين فعلا واسما:

إذا تغلغل فكر المرء في طرف ... من بحره غرقت فيه خواطره

فهو بحر لا تدركه الدلاء وسحاب لا تتقاصر عنه الأنواء كانت دعواته تخترق السبع الطباق وتفترق بركتها فتملأ الآفاق وإني أصفه وهو يقينا فوق ما وصفته وناطق بما كتبته وغالب ظني أني ما أنصفته :

وما علي إذا ما قلت معتقدي ... دع الجهول يعد العدل عدوانا

---

(1) ـ انظر : يوسف خطار ، الموسوعة اليوسفية ، ، ن : دار التقوى ، ص 433 .

(2) ـ أبو نصر السراج الطوسي ، اللمع في التصوف ، تح : محمد أديب الجادر ، ن : دار الفتح ، ص 505 .

(3)ـ هو: محمد بن علي بن محمد ابن العربي، أبو بكر الحاتمي الأندلسي المعروف بمحي الدين بن عربي الملقب بالشيخ الأكبر، فيلسوف وصوفي كبير ، ولد في مرسية " بالأندلس" سنة "560هت-1165م" ، أنكر عليه أهل الديار المصرية شطحات صدرت عنه، له العديد من المؤلفات في التصوف وتوفي سنة "638هـ-1240م ، انظر : الأعلام، ج 6، ص281.

والله والله العظيم ومن ... أقامه حجة للدين برهانا
إنَّ الذي قلت بعض مناقبه ... ما زدت إلاّ لعلي زدت نقصانا
وأما كتبه ومصنفاته فهي البحار الزواخر ما وضع الواضعون مثلها. انتهى[1].

ولقد أجمل الشعراني ذلك فقال : وأجمع المحققون من أهل الله ﷻ على جلالته في سائر العلوم ...وما أنكر عليه إلا لدقة كلامه[2]

ولقد اعتبر الأسمر الشيخ محي الدين بن عربي أحد أقطاب الطريق الصوفي حين قال : ((إخواني : وعليكم بمحبة الإمام محي الدين بن عربي والاقتداء به ، ولا تقبلوا فيه قولة قائل ، ولا شك ولا ريب ، أنه من أهل الشريعة والحقيقة وهو من العلماء الأكابر ، واعترض البعض عليه فلأنهم قاصرو الفهم ، لم يفهموا علومه ، وكان شيخنا أبو تليس ﷺ - يوصي بمحبة الشيخ محي الدين وتعظيمه وهو من أركاننا مع الإمام البصيري[3] ، والإمام زروق ﷺ))[4]

ومن هنا يعرف موقف الأسمر من الإمام الأكبر بن عربي وأنه لا ينبغي لأحد الإنكار عليه إلا بعد عرض كلامه على علوم الشريعة ، فهو يقول : ((فمن دقق النظر علم أن لا يخرج شيء من علوم أهل الله تعالى على الشريعة ، وكيف يخرج علمهم عن الشريعة ؟ والشريعة هي التي أوصلتهم إلى الله ﷻ في كل لحظة))[5]

أما عن رأي الأسمر في الرد على من أنكر على بن عربي ، فقد قال فيهم : ومن ليس له المقام بأهل الطرق فله عذر الجهل بهم[6]

ووجه الدعوة في موقف الأسمر من ابن عربي هو عدم التعجل في الحكم بالكفر والإلحاد على أمثال ابن عربي لمن لم يبلغ مرتبته في العلم والمعرفة ، بل يجب عليه أن يتوقف ولا يرسل أحكامه جزافا دون معرفة وهذا أقل ما يمكن فعله ، وجه آخر

---

(1)- شهاب الدين التلمساني ، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، تح : مصطفى السقا - إبراهيم الإبياري - عبد العظيم شلبي ، ن: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ، عام النشر: 1358 هـ - 1939 م ، ج3 ، ص 53 .
(2) - انظر : محمد عبد السلام كامل العدوي ، الإمام الفقيه ، ص 251 .
(3) - محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله الصنهاجي البوصيري، شرف الدين أبو عبد الله ، صوفي من آثاره قصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية المعروفة بالبردة ، انظر : رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، ج3 ، ص317 .
(4) - على هامش حياة الأسمر ، ص 504 .
(5) - على هامش حياة الأسمر ، ص 505 .
(6) - انظر : الإمام الفقيه ، ص 252 .

من وجوه الدعوة في موقف الأسمر من ابن عربي وهو دعوة الأسمر إلى محبة ابن عربي ومحبة الأولياء والصالحين .

المطلب السادس : موقفه من الحضرة (الدف) :

يقول الأسمر : الحضرة في الحقيقة هي حضور القلب مع الله ، أما في الاصطلاح فهي السماع ويعبرون عنه بالحضرة لحضور الإخوان واجتماعهم للذكر[1] ، وهي بهذا المعنى شطر الطريقة عنده ، وفي ذلك يقول : ((ولا زموا السماع المعبر عنه بالحضرة ، فإن فيه التذكير ، والتنفير من الدنيا ، ولا تتركوه من غير عذر ، وهو شطر الطريقة العروسية ،وليس ذلك من فروض الدين ، ولا من سننه ، وإنما هو رخصة عند توفر شرائطه المعروفة وذلك لا بد منه وهو عين طريقتنا خلف عن سلف))[2]

وشروط الحضرة عند الأسمر هي :

1 ـ (إخواني من رقص في مجالس الذكر أو صفق أو ركض بغير جذب فهو من أقلاء الأدب ، إخواني تأدبوا في المجلس غاية الأدب ، ولا تفعلوا ما تفعله الجهال وأهل البدع)[3]

2 ـ إخواني : ليس منا من يطلب بالطار ويرقص في أبواب الديار[4]

3 ـ إخواني : إياكم ومخالطة أهل الهوى والبدعة والخوارق والمستدرجين فإنكم لا تنالون منهم إلا الظلمة والشك في الاعتقادات ، فلا تقربوهم قط[5]

4 ـ (إخواني : ومن أصابه الجنون فأخرجوه من مجالس الذكر ومن الجنون أكل المسمومات ، ولحس المناجل المحميات بالنار ، والضرب بالسيوف عن اليمين والشمال بزعم أن ذلك جهاد في الكفار ومن الجنون أيضا أكل العقارب والحيات فهذا كله من الاستدراج وعمل الشيطان ومخالفة السنة)[6]

---

(1) ـ انظر : الأسمر ، الوصية الكبرى ، ص 50 .
(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بالزاوية الغربية ، ص 182.
(3) ـ الأسمر ، الوصية الكبرى ، ص 42 ، وانظر : على هامش حياة الاسمر ، ص479.
(4) ـ على هامش سيرة الأسمر ، ص 438 .
(5) ـ انظر : الأسمر ، الوصية الكبرى ، ص 42 ، وانظر : على هامش سيرة الأسمر ، ص 381 381
(6) ـ الأسمر ، الوصية الكبرى ، ص 42 ، وانظر : على هامش سيرة الأسمر ، 481 .

5 ـ وإياكم واجتماع الرجال والنساء ، بأن ينظر بعضهم إلى بعض فهو من أكبر فساد الدين ، ومن فعل فنحن بريؤون منه ، ومن تاب ، تاب الله عليه [1]

6 ـ أما الدفوف البنادير فلا تضربوها إلا بعد أن تظهر " الخمرة " وأنتم طاهرون من النجاسات ، ولا تمكنوها للنساء ولا للصغار ، ولا تضربوها لطلب الدنيا ، ومن خالف لا يلوم إلا نفسه فافهموا[2]

7 ـ ومن كمال مجالس ذكرنا أن نبدأها بوظيفتنا فلا بد لكم من بدئها بالوظيفة فافهموا ، ثم تقولوا : الله ، الله بالجد كثير حتى يقع في القلب نشاط وحضور ، فإذا وقع نشاط فبدلوا النص تقولون : الله بمبدأ قصر ، ولا تزالون تذكرون حتى تظهر " الخمرة " وهي السكر والسكر هو الغيبة عما سوى الله ، وعلامة ذلك بينة إلا على أعمى البصيرة والعياذ بالله ، ثم بعد ظهور " خمرتها " ، اضربوا البنادير فمن لم يتحرك قلبه لذكر الله المتعالي فهو شيطان أو قلبه متوكل عليه شيطان فيتعوذ بالله منه، وتظهر ثمرة ضرب الدف وهي تحرك القلب ، وشوقه للذكر ، فإذا رأيتم ذلك من بعضكم فارجعوا إلى حلقة الذكر وكونوا كما تقدم في شروطها ، واحذروا أن تخالفوا فإن ثمرة وارد الذكر التوفيق من بعده[3]

من هذه الآداب التي وضعها الأسمر للحضرة يتضح لنا موقفه منها واضحا جليا وهو لا يخرج عن حدود الشريعة ، كما يتضح لنا مدى التغيير والتبديل الذي دخل على طريقته .

وبقيت شبهة استعمال الدف " واضربوا الدف "[4] تحوم حول هذه الآداب التي وضعها الأسمر ، ولننط اللثام عن هذه المسألة لابد أولا من الرجوع إلى دوافعها وأسبابها ولنا بعد ذلك أن نستنتج منها ثم نحكم عليها :

لقد بقي الأسمر مع شيخه الدكالي مدة سبع سنوات تعلم فيها على يديه الفقه والحديث والتصوف ، وكان مع شيخه مثالا لصدق الطاعة والأمانة والعفة وإخلاص العبادة ، ثم أجازه ليعود إلى دياره ، وبعد عودته إلى بلده وعند زيارته لمقابر أجداده

---

(1) ـ انظر : الأسمر ، الوصية الكبرى ، ص 42 ، وانظر : على هامش سيرة الأسمر ، ص 388 وما بعدها .
(2) ـ انظر : الأسمر ، الوصية الكبرى ، ص 42 ، وانظر : على هامش سيرة الأسمر ، ص 373
(3) ـ انظر : الأسمر ، الوصية الكبرى ، ص 42 ، وانظر : على هامش سيرة الأسمر ، ص 482
(4) ـ هذا وقد برء الأسمر من هذه الشبهة الشيخ أحمد شهاب الدين بن أحمد نور الدين الزوي القادري في نظمه المسمى المرشدة اللطيفة لزائر الأضرحة الشريفة ، ص 35.

الفواتير أولاد سيدي سليمان ، هناك التقى بطائفة من المغاربة يذكرون الله ويضربون الدف فشاركهم ذلك[1] .

ومن هنا بدأت قصة الأسمر مع الدف ، ولقد اختلفت واضطربت روايات كل من كتب عن حياة الأسمر حين تحدث عن هذه المسألة وكيفية وصول الدف إلى الأسمر ، حتى إن الباحث لا يستطيع ان يجمع بين تلك الروايات، فمنهم من يقول بأنه نزل عليه من السماء ، ومنهم من يقول أنه استلمه من الهواء، وأي كان الأمر فإن الأسمر قد اعترته حالة من الجذب والوجد لا يستريح منها إلا حين يضرب الدف ، فهو يقول : (ولا يحل لأحد منكم أن يتعمد سماع الباطل كالملاهي المحرمة فمنها الزكرة ونحوها ولا يجوز الرقص عليها من غير " تواجد"[2] ، ولا حالة إلا البندير لأن أمره خفيف وقد أنكرها شيخنا الدوكالي في أول بدايته وزجرني " على شأنه وقد ضربني وألقاني في السجن وأخرجني الإله سبحانه من السجن ، ولا سلمه لي الشيخ المذكور إلا بعد هول ومشقة وهو أمر مختلف فيه، ولو لم يسلمه لي لم أضربه ولم أقربه ولو أموت بالهيام ، وما قدره الله علي والحمد الله الذي أذهب عنا الحزن[3] ، فلا لوم على حالة الأسمر في استخدامه " للطار " في لحظة ما ولأسباب كان هو أدرى الناس بها .

ولكن هل الشريعة الإسلامية تقر ما ذكره الشيخ من ضرب الدف في حالة الوجد سئل الإمام السيوطي[4] : عن التواجد والميلان والرقص في مجالس الذكر فأفتى بالجواز وأجاب أيضا بمثل ذلك بعض أئمة الحنفية والمالكية[5] ، يقول ابن تيمية [6]:

((الْكَلَامَ فِي السَّمَاعِ وَغَيْرِهِ مِنْ الْأَفْعَالِ عَلَى ضَرْبَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ هَلْ هُوَ مُحَرَّمٌ؟ أَوْ غَيْرُ مُحَرَّمٍ؟ بَلْ يَفْعَلُ كَمَا يَفْعَلُ سَائِرَ الْأَفْعَالِ الَّتِي تَلْتَذُّ بِهَا النُّفُوسُ وَإِنْ كَانَ فِيهَا نَوْعٌ مِنْ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ كَسَمَاعِ الْأَعْرَاسِ وَغَيْرِهَا. مِمَّا يَفْعَلُهُ النَّاسُ لِقَصْدِ اللَّذَّةِ وَاللَّهْوِ لَا لِقَصْدِ ، الْعِبَادَةِ وَالتَّقَرُّبِ إلَى اللَّهِ وَالنَّوْعُ الثَّانِي أَنْ يَفْعَلَ عَلَى وَجْهِ الدِّيَانَةِ وَالْعِبَادَةِ

---

(1) ـ انظر : على هامش حياة الأسمر ، ص 79 .
(2) ـ التواجد في اصطلاح أهل الحقيقة: استجلاب الوجد بالذكر والتفكر . وقالوا إنه يتضمن التكلّف ، والتشبّه في تكلّفه بالصادقين من أهل الوجد . وقيل إظهار حالة الوجد من غير وجد ، والأصل فيه قوله ﷺ"إن لم تبكوا فتباكوا" أراد به التباكي ممن هو مستعد للبكاء لا تباكي الغافل اللاهي .
(3) ـ انظر : الأسمر ، الوصية الكبرى ، ص 19 .
(4) ـ سبق ترجمته ، ص 56.
(5) ـ السيوطي ، الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون، ن : دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، 1421 هـ ـ 200 م ، ج2 ، ص222 .
(6) ـ سبق ترجمته ، ص 209 .

وَصَلَاحِ الْقُلُوبِ وَتَجْرِيدِ حُبِّ الْعِبَادِ لِرَبِّهِمْ وَتَزْكِيَةِ نُفُوسِهِمْ وَتَطْهِيرِ قُلُوبِهِمْ وَأَنْ تُحَرَّكَ مِنْ الْقُلُوبِ الْخَشْيَةُ وَالْإِنَابَةُ وَالْحُبُّ وَرِقَّةُ الْقُلُوبِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مِنْ جِنْسِ الْعِبَادَاتِ وَالطَّاعَاتِ لَا مِنْ جِنْسِ اللَّعِب وَالْمُلْهِيَاتِ. فَيَجِبُ الْفَرْقُ بَيْنَ سَمَاعِ الْمُتَقَرِّبِينَ وَسَمَاعِ الْمُتَلَعِّبِينَ وَبَيْنَ السَّمَاعِ الَّذِي يَفْعَلُهُ النَّاسُ فِي الْأَعْرَاسِ وَالْأَفْرَاحِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ الْعَادَاتِ وَبَيْن السَّمَاعِ الَّذِي يُفْعَلُ لِصَلَاحِ الْقُلُوبِ وَالتَّقَرُّبِ إلَى رَبِّ السَّمَوَاتِ فَإِنَّ هَذَا يُسْأَلُ عَنْهُ: هَلْ هُوَ قُرْبَةٌ وَطَاعَةٌ؟ وَهَلْ هُوَ طَرِيقٌ إلَى اللَّهِ؟ وَهَلْ لَهُمْ بُدٌّ مِنْ أَنْ يَفْعَلُوهُ لِمَا فِيهِ مِنْ رِقَّةِ قُلُوبِهِمْ وَتَحْرِيكِ وَجْدِهِمْ لِمَحْبُوبِهِمْ وَتَزْكِيَةِ نُفُوسِهِمْ وَإِزَالَةِ الْقَسْوَةِ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ الْمَقَاصِدِ الَّتِي تُقْصَدُ بِالسَّمَاعِ؟ إذَا عُرِفَ هَذَا فَحَقِيقَةُ السُّؤَالِ: هَلْ يُبَاحُ لِلشَّيْخِ أَنْ يَجْعَلَ هَذِهِ الْأُمُورَ الَّتِي هِيَ: إمَّا مُحَرَّمَةٌ؟ أَوْ مَكْرُوهَةٌ؟ أَوْ مُبَاحَةٌ؟ قُرْبَةً وَعِبَادَةً وَطَاعَةً وَطَرِيقَةً إلَى اللَّهِ يَدْعُو بِهَا إلَى اللَّهِ ويتوب الْعَاصِونَ وَيُرْشِدُ بِهِ الْغَاوِينَ وَيَهْدِي بِهِ الضَّالِّينَ. فأَمَّا مَنْ فَعَلَهُ عَلَى أَنَّهُ طَرِيقٌ إلَى اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ يَتَّخِذُهُ دِينًا وَإِذَا نَهَى عَنْهُ كَانَ كَمَنْ نَهَى عَنْ دِينِهِ وَرَأَى أَنَّهُ قَدْ انْقَطَعَ عَنْ اللَّهِ وَحَرُمَ نَصِيبُهُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى إذَا تَرَكَهُ. فَهَؤُلَاءِ ضُلَّالٌ بِاتِّفَاقِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا يَقُولُ أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ: إنَّ اتِّخَاذَ هَذَا دِينًا وَطَرِيقًا إلَى اللَّهِ تَعَالَى أَمْرٌ مُبَاحٌ؛ بَلْ مَنْ جَعَلَ هَذَا دِينًا وَطَرِيقًا إلَى اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ ضَالٌّ مُفْتَرٍ مُخَالِفٌ لِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ. وَمَنْ نَظَرَ إلَى ظَاهِرِ الْعَمَلِ وَتَكَلَّمَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَنْظُرْ إلَى فِعْلِ الْعَامِلِ وَنِيَّتِهِ كَانَ جَاهِلاً مُتَكَلِّمًا فِي الدِّينِ بِلَا عِلْمٍ))[1] ، ومع هذا الخلاف فإن الشيخ الأسمر لا يرى أن الرقص والبندير من شروط الحظرة ولا يعتقد أنه من العبادات ، وهو يرى أن الوارد إذا كان سببه شرعيا كالذكر وتلاوة القرآن وصدر من صاحبه شيء ينافي الشريعة فلا لوم عليه ، أما إذا كان السبب غير شرعي فيحذر منه.

وليس لنا ولا لغيرنا ممن لم يسلك الطريق الحكم على أولياء الله وتصرفاتهم فالعقول عن إدراك سر ذلك قاصرة[2] ، ويكفي هنا أن نعرف رأي الأسمر في الدف فقط .

ولقد رأى بعض الناس الأسمر ولم يفهموا " الوجد " فقلدوه على جهل بالدين ، وغاب عنهم قبل ذلك وجوب أن يتدرجوا في سلم السلوك والعبادة حتى يصلوا إلى مرتبة الأسمر ، فإذا وصلوها واعترتهم حالة الجذب جاز لهم ما جاز له .

---

(1) ـ ابن تيمية الحراني ، مجموع الفتاوى ، تح : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، ن : مجمع الملك فهد لطباعة المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ، ج11 ، ص633.

(2) ـ انظر : محمد عبد السلام كامل العدوي ، الإمام الفقيه عبد السلام الأسمر الفيتوري ، ن : المكتبة المصرية ، ص 247 .

وبالجملة فإن غالب طرق التربية والإرشاد لا تخلو من الحضرة كمظهر من مظاهرها وذلك للنفع الحاصل فيها ، من ذكر الله عز وجل ومراقبته ونزول الرحمات بذكر الصالحين فيها ، والإرشاد الحاصل بالسماع والإنشاد والبركة الحاصلة بالحركة ، فهي مما سنه السادات العارفون ، ولا دليل لمنكرها ، لأن الأصل في الأشياء الإباحة حيث لا تعارض أصلا ، بل هي سبيل لتحريك القلب والتوجه به نحو ربه سبحانه وتعالى[1]

(1) ـ انظر : يوسف خطار محمد ، الموسوعة اليوسفية ، ص 174 .

الفصل الرابع

رسائل الأسمر وكيفية الاستفادة منها في العصر الحاضر

الفصل الرابع : سبل وكيفية الاستفادة من رسائل الأسمر ومنهجه في العصر الحاضر

المبحث الأول : سبل الاستفادة من رسائل الأسمر :

المطلب الأول : سبل استفادة الداعية :

إن الداعية الدارس لرسائل الأسمر والموضوعات التي كان يدعو إليها يستطيع أن يدرك مدى الجهد والجهاد الذي بذله الأسمر في سبيل نشر الدعوة الإسلامية والحفاظ على مبادئ الوسطية

فالأسمر بسيرته الحميدة ومكانته الرفيعة هو مثال للقدوة الحسنة التي يجب أن يحتذى بها كل الدعاة .

وهذه بعض الشروط والصفات الواجب توافرها في الداعية أو الشيخ المربي ، التي إلتمسها الباحث في رسائل الأسمر :

1 ـ الإخلاص : وهو من أهم أسباب نجاح الداعية في دعوته وهو أيضا من الصفا ت التي يجب أن يتحلى بها الدعاة إلى الله ، وإذا كان الإخلاص مهما ولازما لكل مسلم في عباداته ، فهو للداعية أهم وألزم ، لأن الداعية هو القدوة العملية لغيره ولذا نجد الأسمر يؤكد على هذا الأمر وينبه عليه : ((وعليكم : بالإخلاص في كل الطاعات والعبادات ، والإخلاص هو : إفراد الحق سبحانه وتعالى في الطاعة بالقصد ، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى ... وتتشعب عنه أربع إردات : إرادة الإخلاص في العمل على تعظيم لله ، وإرادة الإخلاص على التعظيم لأمر الله ، وإرادة الإخلاص لطلب الأجر والثواب، وإرادة الإخلاص في تصفية العمل من الشوائب ، فلا يراعي فيه غير ذلك وكل هذه الإرادات استعبدنا بها ، فمن تمسك بواحدة منها فهو مخلص))[1]

والداعية إلى الله في هذا العصر يستفيد من منهج الأسمر الدعوي فيما يتعلق بصفات الداعية بأن يكون مخلصا في أعماله وأقواله ودعوته ، لا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا ثناء الناس ولا مدحهم ، إنما يريد وجه الله والدار الأخرة ولهذا فإن الداعية المخلص لا يكون همه تكثير أتباعه أو ذيوع صيته ، أو كثرة مدحه ، وإنما همه وغايته هو اصلاح الناس وردهم إلى دين الله .

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بسوس الأقصى ، ص 325 .

2 ـ تقوى الله والأمانة وحسن السلوك :

لعل هذه الصفات من أهم ما يجب أن يتمتع به الداعية بشكل عام ، بل أن عبادة الله وتقواه هي الهدف الرئيس للأنبياء والرسل ولورثتهم من العلماء والدعاة العاملين الذين يسعون لإيجاد الإنسان الصالح المؤمن بربه الذي يتقيه في كل أحواله وأعماله[1]

ولقد نبه الأسمر على هذه الصفة وجعلها في مقدمة الصفات الواجب توفرها في الشيخ المربي " الداعية " فأكد على أن يكون الشيخ تقيا نقيا ورعا مخلصا في دعوته قدوة حسنة فيما يدعو إليه ، والمتمعن النظر في رسائل الأسمر يجد الأدلة على ذلك كثيرة ومن ذلك قوله : فاعلم أن أجمع النصائح وأنفعها وصية الله لنا ولمن قبلنا ، وفي قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ إِتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾[2] ، واعلم أن أحق شيء بالتقديم في الوصية ، الوصية بتقوى الله العزيز الحكيم ، فأوصيك ونفسي وكافة المؤمنين والمسلمين بتقوى الله رب العالمين، فإنها الوسيلة إلى خيرات الدارين والأساس الذي يثبت عليه أمر الدين [3] ، ((ولا تصلح المشيخة ...إلا لمن كان على قدم رسول الله ـ ﷺ ـ وهو من كملت أحواله واستقامت أقواله وأفعاله وكان متخلقا بالقرآن العظيم متحليا بمعاني أسماء الله الحسنى وكان ذا علم راسخ وعقل سليم ونفس طاهرة فمحى هواه وانشرح صدره وتنور قلبه بأنوار المعرفة فسلمت فطنته وفطرته وتنورت بصيرته وترجح رأيه))[4]

3 ـ العلم بما يدعو إليه :

لا بد للداعية والمربي أن يكون على علم وبصيرة بما يدعو إليه ولا يدعو إلى شيء يجهله أو يشك فيه ، قال تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ إِتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[5] ، يقول الأسمر : ((وأوصيكم : بالحرص على طلب العلم النافع قراءة ومطالعة ومذاكرة لأن علم الدين

---

(1) ـ انظر : الفكر التربوي في نماذج من الرسائل والوصايا في العصر العباسي ، ص 102 .
(2) ـ سورة ، النساء ، آية : 130.
(3) ـ انظر : الأسمر ، رسالته إلى راشد بن يحي المحجوبي المقرحي ، ص 140 ، ورسالته إلى عبد الحميد بن علي العوسجي ، ص 151 .
(4) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بتونس ، ص 315 .
(5) ـ سورة ، يوسف ، آية : 108.

أفضل ما يحوزه العبد من المراتب العلية وأشرف ما يكسبه العبد من المناقب السنية ففي الحديث : " فضل العالم العامل على العابد الغير العالم كفضلي على أدناكم "[1] ...))[2]

4 ـ العلم بأحوال المدعوين : والمقصود بذلك أن يكون الداعية على علم بطبيعة عصره وظروف مجتمعه ،وهو ما كان عليه الأسمر فقد كان على قدر كبير من العلم والوعي بالواقع ، والناظر في سيرته ـ رحمه الله ـ يجد أنه منذ صغره وهو حريص على طلب العلم ومعرفة أحوال مجتمعه وما يحدث فيه ولعل قصته مع علماء زليتن تدل على ذلك وكذلك معرفته بعقائد أهل السنة ، وتحذيره من الفرق الضالة كالقدرية والمعتزلة وغيرهم .

ولعل الداعية المعاصر يستفيد من ذلك بأن يكون على وعي ودراية بواقعه الذي يعيش فيه ، وذلك بمعرفة ما يقوم عليه نظام المجتمع من أعراف وما يسود فيه من مذاهب وما يحركه من عوامل وما يجري فيه من تيارات وما يعاني أهله من متاعب وبخاصة وطنه الذي يعيش فيه ، وقبل ذلك وطنه الصغير وبيته الذي ينبغي أن يكون حجر الأساس في الإصلاح والهداية .

فالداعية لا ينجح في دعوته ما لم يعرف من يدعهم وحتى يعرف كيف يدعوهم ، وماذا يقدم معهم وماذا يؤخر ، ومن هنا يتعين على الداعية في هذا العصر أن يكون لديه إلمام تام بواقع المدعوين ، وبواقع المذاهب والحركات السياسية والإسلامية المعاصرة ، وبواقع التيارات الفكرية المعارضة للإسلام وبواقع البيئة المحيطة به ، ولا يخفى أن العلم بهذه الثقافة لا يستفيده من الكتب فقط ، فهي ثقافة يمكن للداعية أن يجدها في وسائل الإعلام المختلفة المرئية والمسموعة والمقروءة ، بل يستطيع أن يستمد معلوماته من الواقع بلقاء الناس ومخاطبتهم والسؤال عن أحوالهم .

5 ـ الصبر : وهو من الصفات اللازمة لكل إنسان ولا غنى للداعية والشيخ المربي عنها ، لما سيلاقيه من المتاعب والصعاب في تبليغ دعوته ، إذ المراد لا ينال غالبا إلا بتحمل المكاره وحبس النفس عليها ، لذلك على الداعية أن يكون حليما صبورا على الأذى لأنه لا بد أن يحصل له أذى ومضايقات فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح ولهذا قال تعالى : ﴿۞ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[3]

---

(1) ـ الترمذي ، سنن الترمذي ، كتاب : العلم ، باب : فضل الفقه على العبادة ، ج4 ، ص 154 .
(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمالي ، ص 236 .
(3) ـ سورة ، الأعراف ، آية : 199.

فالداعية أحوج ما يكون إلى التحلي بالصبر وعليه أن يوطن نفسه تحمل البلاء ، لأنه سنة الله في الدعاة ، ولا يخفى ما حدث للأنبياء والدعاة على مر التاريخ من ابتلاءات فصبروا عليها فليتخذ منهم الأسوة[1] ، وليتذكر دائما قول الله تعالى : ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[2]

6 ـ الرحمة : لا بد للداعية أن ينبض قلبه بالرحمة والشفقة على الناس وإرادة الخير لهم ، ولا يكن كل همه أن يقيم عليهم الحجة والدليل على بطلان ما هم فيه فقط ، بل عليه أن يحرص كل الحرص على استنقاذهم من الضلال إلى الهدى ، ومن المعصية إلى الطاعة ، ومن البدعة إلى السنة ، وأن يبعدهم عن مواطن الفتن وسبل الهلاك وله في رسول الله ـ ﷺ ـ الأسوة الحسنة قال تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾[3]

يقول الأسمر : ((وكن سليم الصدر على جميع المسلمين ، واجتهد أن لا يكون في قلبك على أحد منهم بغضا ولا حقدا ولا احتقارا ولا استهانة ولا حسدا ... وعليك بدوام البشر والبشاشة وبطلاقة الوجه ولين الجواب وخفض الجناح والتواضع لجميع المسلمين ... وإذا أمرت أحدا بمعروف أو نهيته عن منكر فيكون ذلك برفق ولطف وشفقة))[4]

7 ـ التواضع : الداعية إلى الله يخالط الناس ويدعوهم إلى أخلاق الإسلام فلا ينبغي أن يدعو الناس إلى التواضع وهو لا يتصف به ويحذر الناس من الكبر ويبين لهم عقوبة المتكبرين وهو منهم ، يقول الأسمر : ((وأوصيك بالتواضع وترك الكبر في الظاهر وإخراجه من القلب ، فإن المتواضع مرفوع والمتكبر موضوع عند الله ورسوله ... والخير كله في الصبر والحلم والسكينة والوقار فعليك بذلك))[5]

8 ـ القدوة في الحرص على الدعوة :

ولا شك أن الأسمر ـ رحمه الله ـ كان حريصا على أن يتصف المدعون بما اتصف به من شدة الحرص على القيام بواجب الدعوة ، حتى وإن غلب على الظن عدم

---

(1) ـ مجلة الجامعة الأسمرية ، أثر الشيخ الأسمر في الدعوة إلى الله ، ص 259 .
(2) ـ سورة ، لقمان ، آية : 16.
(3) ـ سورة ، التوبة ، آية : 129.
(4) ـ الأسمر ، رسالة إلى محمد بن عبد الكريم الشاذلي ، ص 136 ـ 137 .
(5) ـ الأسمر ، رسالة إلى محمد بن عبد الكريم الشاذلي ، ص 135 وما بعدها .

الاستجابة ، ولذلك أشار في بعض رسائله إلى هذه الصفة التي اتصف بها ، عل المدعوين أن يقتدوا به ، يقول الأسمر : ((وإذا أمرت أحدا بمعروف أو نهيته عن منكر فليكن ذلك برفق ولطف وشفقة))[1]

فهو ـ رحمه الله ـ يحمل هم الدعوة ، ويعمل لأجلها ، ويكتب الرسائل الدعوية التي يظهر حرصه فيها على هداية المدعوين من خلال صياغتها بأسلوب جميل والاستدلال على ما يقول بالكتاب والسنة وأقوال العلماء .

ويؤكد الأسمر فيها على ضرورت مراعات الأولويات في الدعوة، ويظهر ذلك من خلال ترتيبه لموضعات الدعوة في رسائله على وفق هذه القاعدة .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على فقه النصيحة ، إلى جانب التحلي بجميع الصفات الحميدة التي تجعل الناس يحبون الداعية ويقبلون دعوته ، ويأتمرون بأمره وينتهون بنهيه .

والمتتبع لرسائل الأسمر وما كتبه معاصروه عنه يجده قد اتصف بجميع هذه الصفات التي تؤهله أن يكون داعية ومربِ ناجح ، ومن هذه الصفات وغيرها يستطيع أن يستفيد الدعاة في عصرنا الحاضر .

المطلب الثاني : سبل استفادة المدعو :

إن المدعو الدارس لهذا البحث والقارئ لرسائل الأسمر يخرج كذلك باستفادات منها :

أن جل رسائل الأسمر تدور حول الوصية بالأخلاق والنصيحة بالتخلق والاتصاف بحس الخلق والتقوى التي هي رأس كل أمر ، فما سأل مريد من المريدين الوصية إلا وأوصاه الأسمر بالتقوى وحسن الخلق ، فهي وصية الله للأولين والآخرين ، ومن هنا ندرك أن أجل استفادة يمكن أن يستفادها المدعو ومن يدرس رسائل الأسمر هو الخروج بمكانة حسن الخلق وتقوى الله .

والناظر لرسائل الأسمر يدرك مدى الوصية بالأخلاق ، والتحلي بها ، فمما جاء في رسالته إلى أصحابه بتونس قوله : ((فإنني أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله رب الأرباب ، ومسبب الأسباب الذي لا إله إلا هو ، ولا معبود سواه ، ولا موجود ولا مقصود على الحقيقة إلا إياه ، فالسعيد من اعتمد عليه ، وفوض كل أمر إليه ، وألقى نفسه متبرئا من حوله وقوته مسلما بين يديه ، صادقا في رغبته ، وطلبه لما لديه ، والشقي المحروم من أعرض عن ذكر مولاه ، واتبع هواه ، وآثر دنياه على أخراه ...

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى محمد بن عبد الكريم الشاذلي ، ص 137.

وعليكم بسلامة الصدور ، وسخاوة النفوس ، والرحمة بكل مسلم ، وحسن المصاحبة والمعاشرة مع من صحبتموه ، والسعي في مهماته كسعيكم لأنفسكم ، والحرص على إدخال السرور على قلبه ، وبالنصح له ، وهدايته إلى ما ينفعه في آخرته ودنياه))[1]

المطلب الثالث : سبل استفادة موضوع الدعوة :

لا شك أن للرسائل إفادة وتغذية وتقوية لموضوع الدعوة الإسلامية ، فهي وسيلة فاعلة وفعالة ومنتجة ومؤثرة كما وضح من خلال هذا البحث وتستحق مزيدا من الرعاية والاهتمام[2] ، ولقد أوضح القرآن الكريم دور الكتابة في الدعوة إلى الله في قصة سيدنا سليمان عليه السلام .

ويبرز دور الكتابة واضحا في مجال الدعوة وتظهر أهميتها من حيث وضعها في موضع متقدم من بين وسائل الدعوة الأخرى في مختلف العصور والأزمان ، وإن كان للمشافهة والخطابة وتبليغ المستمع الدعوة مباشرة قصب السبق في هذا المجال فإن للكتابة دور لا يقل أهمية عن الخطابة ، وهي وسيلة ذات أثر عظيم في الدعوة ، فإن كان القول موقوت الغرض ، منتهيا بانتهاء المجلس وانفضاض المجمع ، فإن الكتاب أخلد على الزمن وأعصى على الفناء[3]

ومع أن أشهر وسائل الدعوة هي الخطابة ومع المنزلة العظمى لها ، فإن قسيما لا يقل عنها جدوى ولا تستغنى الدعوة عنه أبدا ، وهو الكتابة بل إن ما ارتبط بالخطابة من أجواء عاطفية يجعل مجالها متجها إلى المشاعر قبل كل شيء ، لكن الكتابة على العكس تتجه إلى العقل .

كما أن الكتابة في حد ذاتها أمر يبلغ في أثره في الاقناع والتأثير وإقامة الحجة ما لا تبلغ الكلمة المنطوقة ، والكتابة تتيح للكاتب عرض أدلته وإقامة حجته وتوثيق دعوته ، فضلا عما تتيحه للمكتوب إليه من مراجعة النظر ومعاودة التأمل واستدامة البصر ، مما من شأنه أن ينتهي به إلى القناعة التامة[4]

وهكذا يظهر ما للكتابة عامة من فضل عظيم في تبليغ الدعوة ومكان كبير في وسائل تبليغ رسالة الهداية إلى الناس أجمعين ، وكيف إنها لو استعملت الاستعمال

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بتونس ، ص 255 ـ 257 .
(2) ـ انظر : رسائل علماء المسلمين في العصر العباسي الأول ، ص 304 .
(3) ـ انظر : الوصيف ، فرج محمد الوصيف ، عدة الداعية ، ن : مطابع إياك كوبي سنتر ، المنصورة ، ط 1 ، 1416 هـ ، 1995 م ، ص 255 ، بتصرف .
(4) ـ انظر : محمد زكي الدين محمد قاسم ، الدعوة إلى الله فقها ومنهجا ، ن : دار الصوة ، ط 1 ، 1413 ـ 1993 م ، ص 285 .

الأمثل واستخدمت الاستخدام الأفضل وتحوشيت سلبياتها لأصبح لها المركز المرموق في دنيا الدعوة إلى الله تعالى .

وأما عن إبراز دور الرسائل خاصة في الدعوة فهو مدار هذا البحث ومقصد الرسالة ، لكنني في هذا المطلب سوف أتحدث عن دور الرسائل بإيجاز وأقصد بالرسالة عموم الرسالة في كل زمان ومكان ، فالرسالة فن الكتابة إلى الغير ودعوته إلى الله وإلى الحق من خلال هذه الكتابة ، وأول محاولة عقد صلة بينه وبين من كتب الرسالة إليه ، صلة مودة في الله وأخوة فيه والرسالة بهذا التحديد وسيلة جيدة من وسائل الدعوة إلى الله ، يلجأ إليها الذين وهبهم الله القدرة على التعبير الجميل عن المعنى النبيل[1]

ولا بد أولا وقبل الحديث عن سبل استفادة الداعية من منهج ورسائل الأسمر ، أن نعترف آسفين ، بأن هذا النوع من الرسائل قد قلَ شأنه عند الدعاة اليوم مع أهميتها وفاعليتها وقدرتها على إحداث تغير في المدعوين .

وهكذا يظهر ما للرسالة خاصة من أثر كبير ومرد فعل في الدعوة إلى الله .

المبحث الثاني : كيفية الاستفادة من رسائل الأسمر في العصر الحاضر :

لعل أبرز أهداف هذا البحث أن يتم الخروج منه بنتائج عملية وفوائد واضحة ومحددة، يمكن أن يستفيد منها الداعية في طريقه الذي يسلكه في الدعوة إلى الله تعالى.

وإن المتأمل لرسائل الأسمر ـ رحمه الله ـ من حيث مضامينها وأساليبها وآثارها وترجمة كاتبها ووسائله في الدعوة والبيئة التي كانت محيطة به ، ربما يخرج بالعديد من الفوائد الدعوية التي يستفيد منها الداعية في منهجه وأسلوب دعوته في العصر الحاضر .

ولما كان هذا البحث قد تناول دراسة رسائل الأسمر من ثلاثة جوانب :

الجانب الأول : سيرة الأسمر

الجانب الثاني : الأساليب المستخدمة في هذه الرسائل

الجانب الثالث : موضوعات وآثار هذه الرسائل

فيحسن أن يتم تقسيم هذا المبحث إلى ثلاثة " مطالب " :

المطلب الأول : كيفية الاستفادة من سيرة الأسمر في العصر الحاضر :

وتتجلى الاستفادة من سيرة الأسمر في عدة أمور منها :

1 عدم اليأس من هداية المدعوين وانتصار الدعوة مهما استحكم الظلم والجهل :

---

(1) ـ انظر : رسائل علماء المسلمين في العصر العباسي الأول ، ص 308 .

لقد كان الأسمر على يقين تام بأن الحق منصور مهما ابتلي أصحابه فقد أدركنا من خلال سيرته العطرة أنه لم ييأس رغم الابتلاءات والمحن التي تعرض لها .

2 ـ أهمية الإعداد العلمي والتربوي للداعية وتنويع المشارب :

ويكون ذلك بالاطلاع على سيرة الدعاة الصادقين من السلف مع الاحتكاك بالمدعوين، ومعرفة طبيعتهم ، وتشخيص أمراضهم ومحاولة التعرف على الأساليب المناسبة لعلاجها، فكلما كانت المهمة شاقة، كانت أحوج إلى مزيد من الإعداد والتأهيل العلمي .

ومن فضل الله تعالى على الأسمر أنه حفظ القرآن الكريم في نعومة أظفاره ثم قضى زمنا طويلا في طلب العلم، فكان لذلك عظيم الأثر في قبول دعوته .

كما أن ما تعرض له الأسمر من مصائب ومصاعب ، في سبيل الدعوة وما ألزم به نفسه من كثرة النوافل والأذكار والتعلق بالله ، إضافة إلى اطلاعه على سير أعلام الصوفية أمثال الحلاج[1]، وابن عربي وما أصابهم من المحن والفتن والابتلاءات كان لذلك كله عظيم الأثر في صبره وصموده أمام الشدائد وثباته ، رغم كثرة العوائق.

كما كان لعناية الأسمر بكتب التزكية عظيم الأثر في نزعته الصوفية المنضبطة بضوابط الكتاب والسنة ، كما أنها كانت من أعظم الروافد لفكره الصوفي كما تقدم .

فقد حرص الأسمر على تلك الكتب فقرأها ودرسها وأوصى بقراءتها واقتبس منها وأحال إليها في بعض رسائله فانطبع بطابعها وتأثر بأسلوبها .

أما عن اهتمام الأسمر بمعرفة واقع المدعوين وطبيعة أمراضهم فهو أمر بديهي ، فالأسمر لم يقم بإرسال رسائله ابتداء بدون سبب فقد أدرك عيوب وأمراض مريديه والمجتمع الذي يعيشون فيه ، فركز في دعوته من خلال رسائله على تصحيح العقيدة والدعوة إلى محاسن الأخلاق بالدرجة الأولى

والمتأمل لرسائل الأسمر على وجه الخصوص ليدرك أن الأسمر كان على علم تام وبصيرة بواقع المجتمع الذي يعيش فيه ، وبحال البلاد الأخرى المحيطة ببلده[2] ، وعلى فقه عميق بكيفية التعامل مع أهل هذه البلاد وتلك ، وقد كان ذلك من أهم أسباب نجاح منهجه في الدعوة إلى الله .

---

(1) ـ الحسين بن منصور الحلاج ، الشاعر الصوفي صاحب المأساة المشهورة في تاريخ الفكر والتصوف باسم مأساة الحلاج ، واختلفوا فيه فردته جماعة وأنكرته ، وقبلته جماعة وأثنت عليه وحكت عنه ، وصححت له وجعلته من المحققين ، ولعل الأسمر يميل إلى تأويل أقواله ومعذرته فيما يقول في حالت وجده ، انظر : الموسوعة الصوفية ، ص 126 .

(2) ـ لعل من أهم الأدلة على ذلك رسالته إلى أصحابه بتونس .

3 ـ أهمية الإعداد العلمي والتربوي للمدعو :

إن العلم النافع الموروث عن رسول الله ـ ﷺ ـ من أعظم أسباب النصر والتمكين وانتشار الدعوة

فقد كان الأسمر يدعو إلى تعلم العلم الضروري الذي يستطيع من خلاله المدعو أن يؤدي العبادات ويخرج من ربقة التقليد ، بل لقد أوقف حياته على تعليم المسلمين ما يجهلونه من أمور دينهم ، ((فأول ما يجب عليكم تصحيح إيمانكم ثم معرفة ما يصلح بكم فرض العين كالطهارة والوضوء والصلاة ونحو ذلك))[1]

والمقصود من العلم الذي ينبغي أن ينشر بين المسلمين هو العلم الحقيق المؤصل الذي يحتاجه المسلم في يومه وليلته ، عبادة واعتقادا وسلوكا وليس الحديث في هذا العلم بالعموميات والكلام الغامض ، وترك الناس يعبدون الله على جهل ويلقونه على اعتقاد فاسد .

كما أن الأسمر لم يكتف بتلقين المريدين بعض الأوراد والأحزاب ليحفظوها ، بل حرص على أن تكون هذه الأذكار واقعا وسلوكا عمليا ، فاعتنى بالإعداد التربوي للمريدين لأن تربية الناس على التقوى وأخلاق الإسلام وآدابه من أعظم واجبات الداعية .

وقد استخدم الأسمر العديد من أساليب التربية ، التي منها :

القدوة الحسنة ، والموعظة ، ومجاهدة النفس وغيرها .

وحرص على التدرج في التعليم ، فكان لجهوده التربوية أثر بالغ في نفوس المريدين .

4 ـ ضرورة العناية بتزكية النفس :

وذلك بجهاد النفس وكثرة العبادة وملازمة الذكر والاستغفار وتلاوة القرآن والدعاء، وتطهير الباطن من الأخلاق المذمومة والتحذير من الاشتغال بالدنيا والإعراض عن ذكر الله .

لقد كان الأسمر قدوة في الزهد والعبادة وكثرة الذكر، وكان يربي مريديه على هذا المنهج بتلقين الأوراد وأخذ العهود وبذل النصيحة، مما كان له أثر في زيادة مريديه في الداخل والخارج .

5 ـ ضرورة توطين النفس على الصبر :

فربما يتعرض الداعية لأبشع أنواع التهم والإيذاء النفسي ، بل والجسدي الذي قد يصل إلى التهديد بالقتل ، وكذلك ربما يتعرض منهجه إلى أنواع من التشكيك

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمالي ، ص 232

بالخروج عن الجادة ، فالواجب على الداعية أن يتحلى بالصبر ، وأن يبذل كل ما في وسعه للخروج من هذا المأزق ، فقد حث الله تعالى المؤمنين على الصبر فقال :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]

، وإن المتأمل لسيرة الأسمر يدرك ما تعرض له من الابتلاءات فقد أوقدت نار الحسد في نفوس خصومه ، فأثاروا حوله أصناف من الشبهات الباطلة ، حتى إنه لم يستطع أن يستقر في بلده في بداية أمره

6 ـ أهمية الأخذ بالأساليب والوسائل الدعوية المشروعة كافة :

فالواجب على الداعية أن لا يقتصر على بعض الأساليب والوسائل دون البعض الآخر، فلكل وسيلة أثرها وميدانها الذي ربما لا تصلح فيه وسيلة أخرى ، ولكل أسلوب زمان ومكان ومدعون يصلح معهم .

وقد حرص الأسمر على استخدام الوسائل الممكنة في عصره ومنها : الخطابة والدروس وإرسال الرسائل والتأليف ، واعتنى بالأساليب التي من شأنها أن تحدث تغييرا في نفوس المدعوين وتساعد على انتشار الدعوة .

المطلب الثاني : كيفية الاستفادة من أساليب الدعوة عند الأسمر في العصر الحاضر :

1 ـ ضرورة استخدام كافة الأساليب المباحة والمناسبة لحال المدعوين ، وقد ظهر هذا الجانب بوضوح في رسائل الأسمر ، وقد سبقت الإشارة إلى جملة من الأساليب الدعوية المؤثرة التي استخدمها الأسمر في رسائله ومنها : أسلوب القدوة الحسنة والموعظة والترغيب والترهيب ، وهذا التنوع في الأساليب إن دل على شيء فإنما يدل على حكمة الأسمر وحرصه على هداية مريديه ومعرفته بأساليب الدعوة ، وأنها تتنوع بتنوع المدعوين .

2 ـ الحرص على الوضوح وتجنب المصطلحات الغامضة مع نصاعة البيان وقوة الحجة :

لقد ظهر هذا الأمر بوضوح في رسائل الأسمر ، حيث حرص على تجنب الغموض في الكلام والمصطلحات ، كما حرص على الابتعاد عن الأساليب الفلسفية الغامضة والطرق غير المباشرة في الوصول إلى الهدف ، فكانت رسائله سهلة ميسرة يقرؤها العامي فيعرف قصد الأسمر منها ، ويقرؤها العالم فيدرك مكامن الأدلة فيها وأنها لم تخرج عن إطار الشريعة .

---

(1) ـ سورة ، آل عمران ، آية : 200.

3 ـ الحرص على هداية جميع المسلمين :

لعل من أهم مظاهر حرص الأسمر على هداية جميع المسلمين كان في عدم تخصيص هذه الرسائل إلى مريديه فقط فهو يقول : ((فهذه وصيتي لنفسي ولك ولجميع من وقف عليها من المؤمنين والمسلمين))[1] ، وهذا من أهم أسباب نجاح دعوته المباركة .

المطلب الثالث : كيفية الاستفادة من موضوعات الدعوة في رسائل الأسمر في العصر الحاضر :

1 ـ ضرورة الاهتمام بتصحيح العقيدة :

يقول الأسمر : ((فإنني أوصيكم ونفسي : بتقوى الله واتباع سنة رسول الله ـ ﷺ ـ التي هي المحجة البيضاء ، وبتصحيح إيمانكم ، وبالنظر والاستدلال وذلك أول الواجبات))[2]

ولا يكفي أن يحتل هذا الهم وذلك الهاجس مكانا عاديا إلى جانب غيره من اهتمامات الداعية ، بل ينبغي أن يكون هذا الهدف هو قطب رحى الدعوة وهدفها الرئيس .

وقد ظهر هذا الجانب بوضوح في رسائل الأسمر ، حيث أدرك أن تصحيح العقيدة هو أساس الإصلاح ، وبصلاحها تصلح العبادات والأخلاق وسائر الأحوال ، ولعلَ من السهولة بمكان أن يدرك كل من يقرأ رسائل الأسمر ويطلع على سيرته أن مسألة تصحيح العقيدة كانت شغله الشاغل والمحور الرئيس في رسائله .

2 ـ وجوب اتباع الكتاب والسنة :

رغم أن الأسمر لم يعد ضمن رجال الحديث إلا أن رسائله إلى مريديه تدل دلالة واضحة على مدى عنايته بالسنة النبوية وتمسكه بها ودعوته إلى التمسك بها ، فهو يقول في جل رسائله : وأوصيك ... بمتابعة الرسول ـ الصلاة والسلام ـ في الأخلاق والأقوال والأفعال[3] ، واجعل الكتاب والسنة حاكمين عليك وقائدين لك[4]

من هذه العبارات تتجلى لنا مكانة السنة النبوية عند الأسمر وكيف أن أي دعوة لا تعتمد عليها فهي باطلة .

---

(1) ـ الأسمر ، رسالة إلى محمد بن عبد الكريم الشاذلي ، ص 136 ـ 137 .
(2) ـ الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بطرابلس ، ص 214 .
(3) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى عبد الحميد بن على العوسجي ، ص 158 .
(4) ـ انظر : الأسمر ، رسالة إلى عبد الرحمن بن مؤمن الفزاني ، ص 126 .

4 ـ تحديد الهدف ووضوح المنهج :

تقدم لنا أن التكاليف الشرعية ترجع إلى قسمين أعمال تتعلق بالظاهر وأعمال تتعلق بالباطن ، وعليه فإن أي دعوة يجب أن يكون الهدف منها هو إصلاح هذين القسمين دون تغليب جانب على آخر ، لأن غياب الهدف أو الغفلة عنه قد يؤدي إلى الميل والانحراف ، كما أن التردد في المنهج وعدم وضوحه يشكك المدعوين في صدق الداعية وسلامة دعوته .

وقد كانت رسائل الأسمر بعامة تدور حول هدف واضح جلي لا لبس فيه يدركه كل من له أدنى بصيرة ، وهو تطبيق الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق .

كما أن منهج الأسمر قد تميز بالوضوح وعدم التأثر بالتيارات الفكرية والمذاهب الدخيلة على الشريعة الإسلامية ، حيث كان يعرف أحوال مريديه ومكامن أمراضهم ويصف لهم العلاج الذي يصلح لهم ، ومن وضوح منهج الأسمر أنه قائم على العلم الشرعي .

5 ـ التصور الشمولي والمتكامل : لقد اشتملت رسائل الأسمر على نواحي الدين كله في العقائد والعبادات والأخلاق والآداب والسلوك ،وهذا ما يتعين على الدعاة في هذا العصر أن يكونوا عليه في دعوتهم إلى الله ، وهو دعوة الناس إلى الإسلام عامة ، والملاحظ على بعض الدعاة في هذا العصر إغفال علم التزكية أو إعطائه أقل مما يستحقه من الإهتمام والعناية ، مع العلم أن مفاتيح الخير والصلاح ومغاليق الشر والفساد كلها في تعلم هذا العلم .

ومن الأمور المهمة في منهج الأسمر الدعوي التي يمكن أن يستفيد منها الداعية في هذا العصر ، مراعات الفروق الفردية بين المدعوين ومخاطبتهم ودعوتهم بما تبلغه عقولهم وتدركه فهومهم ، وهذا ما أكد عليه الأسمر ولفت نظر مريديه إليه حين قال : ((إخواني : اعملوا بما سأقرره لكم على كيفية الجلوس ، فإذا جلستم مع أهل التوحيد فحدثوهم بالعقائد الأشعرية والسنوسية ، وإذا جلستم مع أهل القرآن فحدثوهم بالحذف والإثبات والتدبر والترتيل ... وإذا جلستم مع أهل الدنيا فحاضروهم برفع الهمة عما في أيديهم ، مع تعظيم الآخرة ، وإذا جلستم مع أهل الآخرة فحاضروهم بوعظ الكتاب والسنة وتعظيم دار البقاء ، وإذا جلستم مع الملوك فحاضروهم بسيرة أهل العدل وسياسة العقلاء مع حفظ الأدب معهم والعفاف عما في أيديهم))[1]

والدعاة في هذا العصر لابد أن يراعوا هذا الأمر وينتبهوا له ، ودعوة الناس وتحديثهم بما يعرفونه له جانبان :

---

(1) ـ عبد السلام الأسمر ، رسالة إلى أصحابه بمالي ، ص 243 ، 244.

الجانب الأول : يتعلق بأسلوب الخطاب ، فيجب أن يكون سهلا وواضحا وبعيدا عن التعقيد والتكلف ، والبحث عن الألفاظ الغريبة

والجانب الثاني : يتعلق بمظمون الخطاب ، فليس كل ما يعلم يقال والعامة إنما يدعون للأمور الواضحة من الكتاب والسنة وما لا يسع الناس جهله ، بخلاف طلبة العلم والعلماء .

المطلب الرابع : كيفية الاستفادة من آثار رسائل الأسمر في العصر الحاضر :

1 ـ العناية بوسيلة الرسالة في الدعوة :

إن من مصلحة الدعاة اليوم أن يحرصوا على استخدام وسيلة الرسالة في الدعوة، لأنه من شأن هذه الوسيلة أن تضاعف آثار الدعوة الإسلامية وتوسع نطاق انتشارها، وتضعف أعداد المستفيدين منها ومن وسائل ذلك :

2 ـ استكتاب العلماء لطلبة العلم ولبعضهم :

كانت الكتابة في الماضي من أهم وسائل التواصل بين العلماء ونظرائهم، وهي علاوة على التعريف بالكاتب ومكانته العلمية، تعد من أهم وسائل توثيق الصلة بين العلماء والطلبة ولها أثرها الفعال في النفوس، من هنا كان الحرص عليها والعناية بها أثر بالغ في الدعوة .

فعلى الدعاة اليوم أن يحرصوا على استخدام هذه الوسيلة في وسائل التواصل الاجتماعي كافة وأن يوظفوا هذه النعمة في خدمة الدعوة إلى الإسلام .

3 ـ إرسال الرسائل إلى الطلبة والمريدين كافة في شتى البقاع ليقوموا بشرح مبادئ الإسلام للعامة .

لقد أدرك الأسمر أنه بمفرده لا يستطيع أن يدعو كل الناس في كل البقاع ، فأرسل رسائله إلى مريديه ليقوموا بمهمة الدعوة إلى شرائع الدين وهذا إن دل على شيء إنما يدل على حرص الأسمر على هداية الناس .

4 ـ عدم الاستهانة ببعض وسائل الدعوة وإن بدى للناس إنها قليلة الشأن زهيدة التكلفة:

ومن تلك الوسائل وسيلة المراسلة، حيث ثبت أن لها أثارا عظيمة نظرا لما اتصفت به من الخصائص والمميزات التي تجعلها قادرة على إحراز نتائج طيبة في الدعوة .

وبالجملة فإن المتأمل لرسائل الأسمر ومؤلفاته يجد فيها العديد من الفوائد الدعوية التي يستفيد منها الداعية في العصر الحاضر، إذ إن آثاره ورسائله على وجه

الخصوص تعد نبراسا لكل الدعاة في العصر الحاضر ، ولا شك أن الباحث يتعذر عليه الإحاطة هنا بكل الفوائد التي يمكن أن تؤخذ من رسائل الأسمر في الدعوة .

خاتمة البحث ونتائجه

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الكائنات وإمام الدعاة وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين ...

الحمد لله ﷻ والشكر له على ما يسر وأعان من كتابة هذا البحث المتواضع في منهج الشيخ عبد السلام الأسمر في الدعوة من خلال رسائله إلى مريديه ، وهو عبارة عن دراسة دعوية تحليلية لرسائل الأسمر

وقد توصل الباحث في هذا البحث إلى عدة نتائج وتوصيات وهي كما يلي :

أولا : النتائج :

1 ـ أهمية وسيلة الرسالة في الدعوة إلى الله تعالى ، قوة تأثيرها في المدعوين وتعدد جوانب الاستفادة منها في الدعوة .

2 ـ إن استخدام وسيلة الرسالة في الدعوة ليس بدعا ولا اختلاقا لوسيلة لم تكن موجودة في عهد النبي ـ ﷺ ـ

3 ـ أن رسائل الأسمر مدارس في الدعوة إلى الله باختلاف موضوعاتها .

4 ـ تنوع أساليب الدعوة في رسائل الأسمر على حسب حال المرسل إليه .

5 ـ عدم اقتصار الأسمر على جانب واحد من موضوعات الشريعة .

6 ـ رقي العلاقة بين العلماء ونظرائهم وطلبتهم في ذلك العصر وعدم تدخل الاحقاد والنزاعات الشخصية فيما بينهم .

7 ـ قوة الإعداد العلمي والتربوي لدى الأسمر من أهم أسباب نجاح الأسمر في دعوته.

8 ـ يعد الأسمر صوفيا مكتمل الجوانب، أعني أنه كان مريدا سالكا تربى على أيدي بعض كبار شيوخ عصره، ثم صار شيخا مربيا تربى على يديه خلق كثير، أقام لهم زاوية خاصة .

هذا إذا نظرنا إلى تجربته العلمية ، سلوكا وتربية، فإذا جئنا إلى الجانب النظري وجدناه قام بوضع مؤلفات مهمة في التصوف عالجت جل قضاياه بعمق وفهم واتزان.

9 ـ تعد رسائل الأسمر من أوضح النماذج الدالة على التصوف الإسلامي الخالص الخالي من كل دخيل .

10 ـ إن رسائل الأسمر تكتسب أهمية خاصة من بين آثاره الأخرى فهي تلقي الضوء على ملامح هامة من عصر الأسمر، وتكشف جوانب عديدة عن شخصيته ، وقد تضمنت إشارات عديدة حول منهجه وأساليبه في الدعوة .

11 ـ إن الدارس لرسائل الأسمر يخرج بدروس وفوائد دعوية قيمة لا غنى للداعية عنها ، وقد سبقت الإشارة إلى بعض هذه الدروس كما تقدم .

12 ـ اعتمد الأسمر في منهجه الصوفي على أساس بناه على العقيدة الصحيحة والالتزام بإقامة التكاليف الشرعية، مستمدا تعاليمه من القرآن الكريم والسنة النبوية ، ولم يأل جهدا في تعليم هذا المنهج .

13 ـ كان الأسمر ولا يزال صاحب فضل غير منكور في تعريفنا بأصول الطريقة العروسية ورجالها، كما يبقى فضله كذلك في إرساء دعائم الدين الإسلامي في هذا القطر من العالم الإسلامي

14 ـ إن الملامح العامة لدعوة الأسمر تقوم على تصحيح العقيدة وإقامة التوازن بين الظاهر والباطن .

15 ـ إن دعوة الأسمر قد تجلت في عدة مستويات متمثلة في العقيدة والتصوف والفقه ، وفي ذلك إشارة إلى الدعوة إلى تحقيق كمالية الإسلام في المسلم ظاهرا وباطنا سرا وعلنيا .

ثانيا : التوصيات :

1 ـ أوصي الباحثين بالاهتمام بمنهج الأسمر الدعوي ، لما يحويه من علم غزير وأدب رفيع وأخلاق عالية وتربية أصيلة ، وتنوع في تناول الموضوعات .

2 ـ كما أوصي الباحثين بالمزيد من الاهتمام والعناية ببقية مؤلفات الأسمر .

3 ـ وأوصي الدعاة اليوم في مشارق الأرض ومغاربها بدراسة سير أعلام الأمة ، ومناهجهم في الدعوة وأسباب نجاحها ، والوسائل والأساليب التي استخدموها في الدعوة ، ليسلكوا مسالكهم ، عل الله أن يكتب للدعوة اليوم النجاح والقبول والتمكين .

4 ـ رسائل الأسمر تتفق مع روح الإسلام ، ويمكن أن تربي أجيالا تربية إسلامية حقيقية تقود البلاد والعباد إلى بر الهداية .

هذه أهم النتائج والتوصيات التي توصلت لها في هذا البحث ، وأسأل الله ﷻ أن يجعل عملي هذا خالصا لوجه الكريم خاليا من الرياء وحب الجاه والسمعة ، وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

أخيرا وليس آخرا أرجو أن أكون بهذا الجهد المتواضع قد وضعت اللبنة الأولى للتعريف بمنهج الأسمر الدعوي والتربوي .

وآملا أيضا أن أتلقى من الأخوة الدارسين والباحثين ملاحظاتهم القيمة وتوجيهاتهم السديدة ، وفي الوقت نفسه معتذرا لهم عما قد يجدونه من نقص وخطأ موردا في هذا السياق ما قاله الاصفهاني ـ رحمه الله ـ ((إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد هذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جميع البشر))[1] .

(1) ـ هذه العبارة للأصفهاني وقد أوردها البشير بن محمد عصام المسفيوي المراكشي في نهاية كتابه شرح منظومة الإيمان ، ص 211